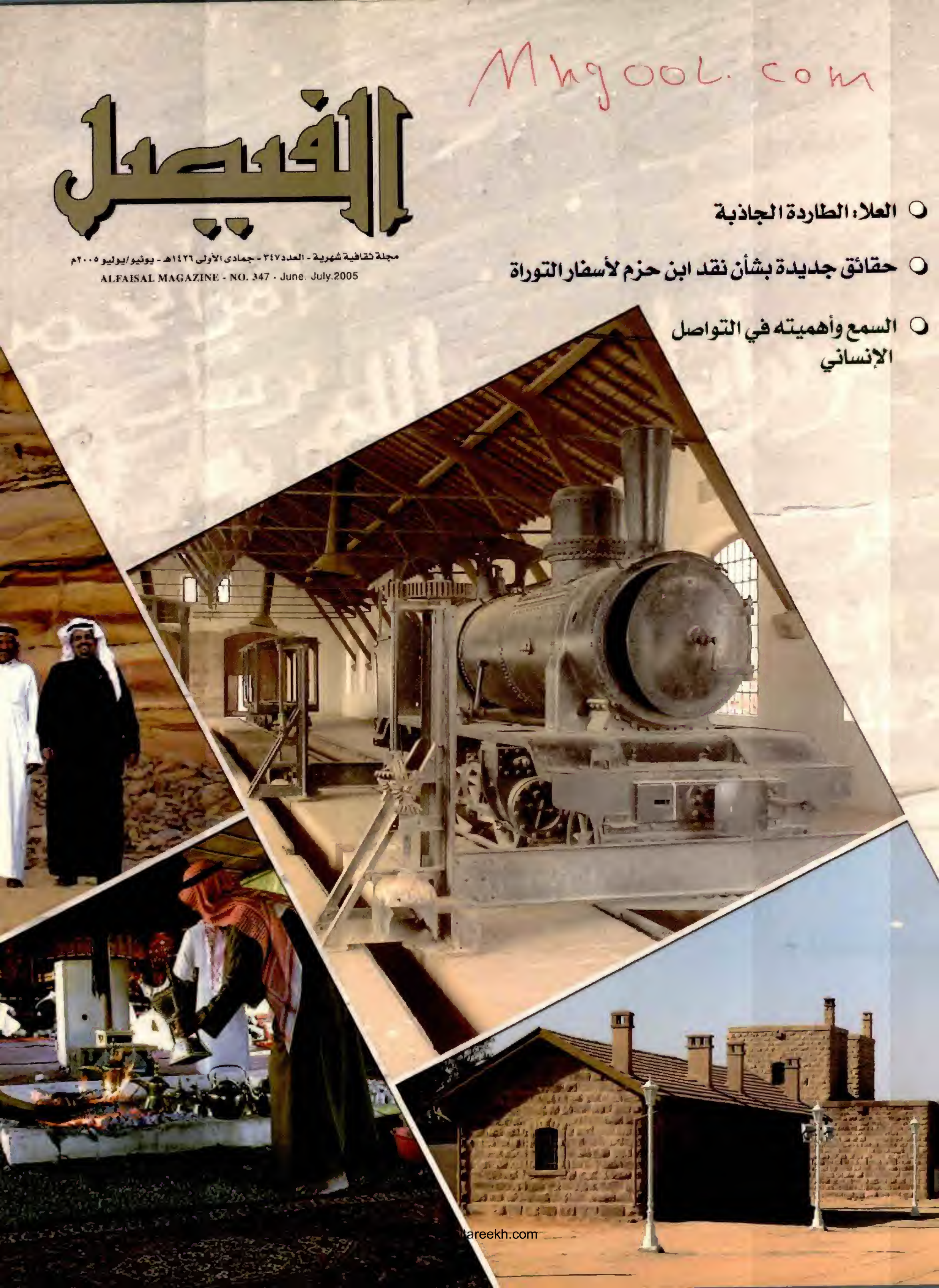


الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٧ - جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يونيو/يوليو ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 347 - June. July.2005

- العلا: الطاردة الجاذبة
- حقائق جديدة بشأن نقد ابن حزم لأسفار التوراة
- السمع وأهميته في التواصل الإنساني

اختر رفاهيتك المنزلية

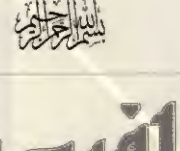
من وجبات مميزة إلى وسائل ترفيهية سمعية ومرئية في كنف ضيافة عربية أصيلة
نقدمها لك على مقاعد وثيرة ... لن تشعر بالفرق بين خدمتنا على أسطولنا الحديث وبين رفاهيتك المنزلية.

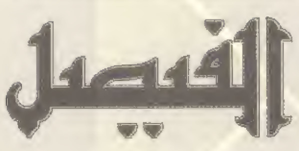
عالم جديد من الاختيارات



SAUDI ARABIAN AIRLINES الخطوط الجوية العربية السعودية

www.saudiairlines.com





مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٤٧- جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - يونيو/يوليو ٢٠٠٥م
ALFAISAL MAGAZINE - No.347 - June-July 2005

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.

يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.

ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات ـ الكويت ٨٠٠ فلس ـ الإمارات ١٠ دراهم ـ قطر ١٠ ريالات ـ البحرين دينار واحد ـ عُمان ريال واحد ـ الأردن ٧٥٠ فلس ـ اليمن ١٠٠ ريال ـ مصر ٤جنيهات ـ السودان ١٥٠ دينارًا ـ المغرب ١٠ دراهم ـ تونس ٢٥٠ـ ١دينار ـ الجزائر ٨٠ دينارًا ـ العراق ٨٠٠ فلس ـ سورية ٤٥ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية ـ الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع ـ هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر ـ مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ ـ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ ـ ٢٠٢ ... سورية ـ المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٣٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨، فاكس ٢١٢٢٥٣٢ ـ ١١. ٠٠٩٦٣، تونس ـ الشركة التونسية للصحافة ـ ٣نهج المغرب ـ ص.ب ٧١٩، فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ ـ ٧١ ـ ٠٠٢١٦، قطر ـ دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع ـ ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ ـ فاكس ٤٦٦١٨٦٥ ـ ٠٠٩٧٤، الأردن ـ شركة وكالة التوزيع الأردنية ـ ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ ـ فاكس ٤٦٣٥١٥٢ ـ ٦ـ ٠٠٩٦٢، البحرين ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ ـ فاكس ٥٣١٢٨١ ـ ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة ـ مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ ـ فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ ـ ٤ ـ ٠٠٩٧١، الكويت ـ شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ ـ فاكس ٢٤١٧٨٠٩ ـ ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ ـ ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية ـ القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ ـ ٣ ـ ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧





العلا: الطاردة والجاذبة

العلا في حقيقتها أعجوبة التكوين، لم يسحب عليها سجل التاريخ أثوابه فحسب، بل لم تزل صفحاته الناصعة تروي للأجيال المتعاقبة ما طرأ عليها من أمم وحضارات لم تزل نسائمها تعطر صفحات قلاعها وتلاعها الشم الصم الصلاب. فهي تزخر بما تزخر به من آثار جمة وجمال طبيعة خلّابة مع تباين واتساع في الرقعة الجغرافية لا تكاد تشبهها أية منطقة أخرى في العالم.

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ .

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨



ملاح يقود ملاحًا ... كيف؟!

تحية طيبة لحضراتكم، ولجميع القائمين على أمر مجلة الفيصل؛ للدور الرائع والهادف الذي تقومون به في تقديم الموضوعات الجادة في شكل راقٍ وجذاب ومتنوع.

أرى في الفيصل تطورًا ملموسًا في الأعداد الأخيرة، كما أرى فيها مصدرًا جديدًا للثقافة العربية.

من عادتي قراءة الفيصل ساعة وصولها، كما أني أتابع موضوعاتها بإمعان وتلهف، وحين أفرغ من قراءتها أقوم مباشرة بإجابة مسابقة العدد ممنّيًا نفسي بفوز محقق على الرغم من أنني طوال معرفتي بالمجلة لم أفز بإحدى المسابقات.

أود أن أشير إلى مسابقة العدد ٣٤٢ يناير/فبراير ٢٠٠٥م «ملاح عربي قاد فاسكو دي جاما من سواحل إفريقية الشرقية إلى سواحل الهند. أذكر اسم الملاح»

أود أن ألفت نظر حضراتكم إلى أن هذه المقولة ذكرها كاتب تاريخ في الماضي. قرأتها كثيرًا، وسمعتها مرارًا طوال حياتي، وإني الآن أقارب خمسة وستين عامًا من العمر. طوال هذا العمر كنت أشك في صحتها. وقد تداولتها أجيال قبلي، وسوف تتداولها أجيال بعدي .. إلا إذا صححت هذه المقولة شكلاً ومضمونًا. أرى فيها شيئًا من المبالغة.

ملاح عربي يقود فاسكو دي جاما.

فاسكو دي جاما ملاح

فكيف ملاح يقود ملاحًا؟

ربما كان أقرب إلى الصواب لو قلنا دليل عربي يقود فاسكو دي جاما .. ولكنها أيضًا غير منطقية؛ لأن القائد كقيادة يمكن أن يستعين بخبرات نسميها دليل/ أدلة، مرشد/ مرشدين، أو غير ذلك ..

إن المؤرخ القديم الذي ذكر هذه المقولة أراد أن ينسب إلى العرب فخرًا بقوله: إن أحمد بن ماجد قاد فاسكو دي جاما في رحلته إلى الهند.

يكفينا فخرًا أن ابن بطوطة قد سبق البرتغاليين في رحلته الأولى عام ١٣٢٥م؛ أي: قبلهم بقرابة قرن ونصف القرن من الزمان. نعم إن العالم والتاريخ يشهدان بأن فاسكو دي جاما ملاح ومكتشف برتغالي قاد أسطولاً برتغاليًا ليصل به إلى الهند عن طريق العبور حول إفريقية ورأس الرجاء الصالح، وكان قد بدأ رحلته من ميناء لشبونة في يوليو عام ١٤٩٧م في أربع سفن، ووصل كلكتا في مايو عام ١٤٩٨م. وقام برحلته الثانية إلى الهند في عام ١٥٠٢م، وقد قتل في أثناء ذلك الكثير من التجار معظمهم من المسلمين.

أرفق مع هذا كتاب فاسكو دي جاما .. وهو كتاب صدر حديثًا، وهو من ضمن مجموعة كتب قصص الرحالين والمكتشفين، صادر من دار المعارف بالقاهرة عام ٢٠٠٤م.

في هذا الكتاب، ومن خلال قراءتي كان البرتغاليون يودون أن يظفروا ببعض الأدلاء العرب الذين يصحبونهم ليدلوهم على طريق الهند، ولكنهم لم ينجحوا في ذلك.

- في موزمبيق طلب فاسكو دي جاما من سلطان موزمبيق المسلم أن يقدم إليه رجلين يصحبان الركب المخاطر في البحار ليدلاه على الطريق إلى الهند وقبل السلطان طلب فاسكو دي جاما، ولكنهما هربا.

- في ملندة وهي بلدة في الشاطئ الإفريقي الشرقي وعد سلطان ملندة المسلم فاسكو دي جاما بأن يبعث لهم بدليل عربي مسلم ليرافقهم في رحلتهم إلى الهند. لكنه لم يف بوعده، وبعث لهم بدليل هندي مسيحي.

- كان مع فاسكو دي جاما كاتب يدون يوميات عن الرحلة وتطوراتها، وكانت هذه اليوميات المصدر الذي اعتمد عليه المؤرخون في تدوين أخبار كشف الطريق إلى الهند. مع تمنياتي لكم ولمجلة الفيصل بالرقي والازدهار.

أبو السعود علي محمد حنفي

القاهرة - مصر

التحرير:

نشكر لك هذه الايضاحات، والاختلاف حول المسائل التاريخية أمر شائع، إذ ليست هناك مسلمات ، ولكن المهم أن تكون هناك أسانيد في كل الأحوال، ومن أهداف المسابقة دفع القارئ الكريم إلى البحث عن المعلومة في مظانها مما يحقق النفع والفائدة.

عام الفيصل الثلاثون

يسرني ويسعدني أن أبعث هذه الرسالة إلى مجلة الفيصل «عروس المجلات العربية» سائلاً المولى عز وجل أن يمنحكم موفور الصحة والتوفيق.

بداية أبارك لكم جهودكم العظيمة في إخراج المجلة بهذه الصورة الجميلة لتصل إلى القارئ العربي، أينما كان حاملة إليه المعرفة والكلمة الصادقة، فهي بحق مجلتي الأولى منذ سنوات وأرجو من سيادتكم أن تلبوا لي رغباتي ما أمكن، وهي كالآتي:

أولاً : مرت ٢٩ عامًا منذ صدور «مجلة الفيصل»، وهي على وشك بلوغ الثلاثين من عمرها المديد أشارك الكثير من القراء في أهمية الاستعداد لهذه المناسبة وضرورة تخليدها بعمل يتفق، وجلال المناسبة، سواء أكان ذلك بهدية مميزة، أم بزيادة صفحات المجلة على غير المعتاد شهريًا.

ثانيًا: أتمنى أن تتوغل المجلة في أدغال إفريقية لتنقل لنا صورًا من الحياة في البلدان الإفريقية المجهولة بالنسبة إلينا، وليتكم تبدؤون باستطلاعات عن جمهورية جزر القمر الإسلامية، وكينيا الساحرة، ونيجيريا التي تعد أكبر دولة إسلامية إفريقية من حيث عدد السكان.

ثالثًا: تخصيص باب يعنى بالطرائف العربية، والحكم، والمأثورات، على أن يكون باسم «دوحة الفيصل».

رابعًا: ضرورة تصميم موقع لمجلة الفيصل «الغراء» على شبكة الإنترنت.

هذه مجرد اقتراحات بسيطة أبديتها لكم، ربما ترون خلافها، والرأي الأمثل لسيادتكم

علاء سالم مهران سالم

أسيوط - مصر

التحرير:

نشكر لك هذا التفاعل الإيجابي مع المجلة، وسرتنا كثيرًا اقتراحاتك المفيدة، ونأمل أن يأتي عدد رجب من المجلة في هذا العام مميزًا، ولائقًا بمناسبة مرور ٣٠ عامًا على انطلاقة المجلة.

بالنسبة إلى الاستطلاعات، لعلك تلمس اهتمامك كثيرًا بها، وقد عرفنا بدول إفريقية كثيرة، ولكن اقتراحاتك مفيدة، ونأمل ترجمتها إلى واقع حي..

كما نعمل على أن يكون انطلاق موقع «الفيصل» متزامنًا مع هذه المناسبة، وعمومًا، ندعو لك بالتوفيق، ونشكر لك هذا الاهتمام.

ردود سريعة

الأخ أحمد علاء الدين موسى ـ الرياض:

نرحب بك صديقًا للمجلة، ويسرنا تلقي مشاركاتك، والشروط الخاصة بالنشر تجدها في الصفحة الثالثة من المجلة، وهناك مجلتان أخريان تصدران عن دار الفيصل الثقافية، هما «الفيصل العلمية»، وتهتم بالموضوعات العلمية، على أن تتسم بالجدة وحسن التوثيق، والثانية «الفيصل الأدبية» وتهتم بقضايا الأدب والنقد، وتنشر قصائد وقصصًا قصيرة، ويسرنا إسهام القارئ الكريم من أي مكان في هذه المجلات التي تهدف إلى تقديم الجديد في ميادين العلم والفكر والأدب.

الأخت سناء أحمد مرسي ـ أستراليا:

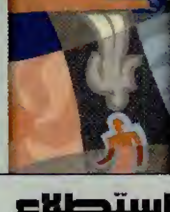
يمكنك الحصول على «الفيصل» بانتظام عن طريق الاشتراك السنوي، إذ تضمنين وصول العدد إليك فور صدوره، ويسعدنا تلقي استطلاعات عن أستراليا ومدنها ومراكزها الحضارية.

الأخ هشام صقر ـ القاهرة ـ مصر:

«الفيصل» توزع في القاهرة والمدن الأخرى في مصر، وهي تصل إلى السوق المصرية فور صدورها، وإذا كانت هناك صعوبة في الحصول عليها لنفادها فيمكنك الحصول عليها بانتظام عن طريق الاشتراك، ويمكنك أيضًا مراسلة قسم الاشتراك للحصول على الأعداد القديمة.

الأخ مجدي عبدالرحيم ـ الكويت:

يسعدنا تلقي مشاركاتك واقتراحاتك، والموضوعات العلمية المتخصصة يمكنك إرسالها إلى «الفيصل العلمية» التي ستقوم بنشرها - إن شاء الله - بعد تحكيمها وإجازتها من اللجنة العلمية، ونأمل أن تهتم بالتوثيق، وأن تكون المادة جديدة في بابها. أما الاستطلاعات المصورة عن المدن والمتاحف والمعالم الحضارية فتنشر في «الفيصل»، ولكن نأمل منك، ومن الإخوة الذين يعدون الاستطلاعات الاهتمام بإرسال صور عالية الجودة.



استطلاع

العلا: الطاردة الجاذبة

(١)

الشريف السمهوني

الرياض - السعودية

كان هذا العمل في أصله مشروعاً استطلاعياً موسوعياً شاملاً يغطي منطقة المدينة المنورة ومنطقة تبوك؛ لما تزخر به هاتان المنطقتان من آثار حضارات موغلة في القدم أو متأخرة، إلا أنها متواصلة دون انقطاع عبر التاريخ، وأغلبها يعود في أصولها إلى حقب ما قبل التاريخ المدون وما بعده.

وما لبثت هذه الفكرة حتى أخذت تتبلور على أرض الواقع، حيث بدأت المخاطبات والمكاتبات مع كل من إمارة المدينة المنورة، وإمارة تبوك؛ من أجل التنسيق، وتبني المشروع، وتوفير ما يمكن أن تقدماه من تسهيلات لإنجاح الاستطلاع، وقد استغرق تحقيق هذا الأمر فترة طويلة، استمرت أشهرًا تمخضت في آخر ها عن تجاوب إيجابي مع المجلة للقيام بكل ما من شأنه إنجاح المشروع، وبخاصة من قبل إمارة تبوك، إذ استعدت لتوفير كل ما يلزم لنجاح رحلتنا، التي بدأت في منتصف شهر ذي القعدة من سنة ١٤٢٥هـ وكانت المدينة المنورة محطتنا الأولى.

المدينة المنورة

وفي المدينة المنورة كانت وجهتنا الرسمية الأولى هي إمارة المدينة المنورة، للقاء وكيل الإمارة الحنيني، وبعد انتظار استطعنا الحصول من الإمارة على تصريح لنا..! وبعدها يممنا وجهتنا إلى الدكتور بهجت الجنيد المدير العام للتعليم بالمدينة المنورة، الذي أبدى أريحية محمودة



تطرى، وأبدى اهتمامه بمشروع الاستطلاع مقدمًا من التسهيلات الكثيرة، والتوصيات اللازمة لمن يتعين علينا لقاؤهم في المدينة، وخيبر، والعلا، ثم توجهنا إلى إدارة الآثار والمتاحف بالمدينة المنورة التي قدمت لنا كل التسهيلات المتاحة دون تردد إلا أننا، وعلى الرغم من هذه التسهيلات الجمة، لم تتح لنا الفرصة العملية لتغطية حصن خيبر - وهو درة آثار خيبر - بسبب محاذير لا مجال لذكرها هنا.. وعليه غيّرنا خطة مشروع الاستطلاع، فقد سبق لمجلة الفيصل أن غطت في استطلاعين منفصلين كلاً من المدينة المنورة في العدد (٢٦٧)، ومدينة تبوك في العدد (٢٨١)، ومن هنا أصبح حصن خيبر خارج خطة مشروعنا عندها ارتئيَ أن يقتصر الاستطلاع على العُلا - وفي العُلا الكفاية - إضافة إلى منطقة تبوك على أن ينشر الاستطلاع على حلقات تبدأ من العُلا.

سجل التاريخ.. وباعثة التأمل تاريخ وطبيعة

للعُلا عدة أسماء، نذكر منها وادي النعام، ووادي



النعيم؛ وأشهرها وادي القرى، وآخرها العُلا، ولكل منها تعليل وتفسير . فإن العلا في حقيقتها أعجوبة التكوين، لم يسحب عليها سجل التاريخ أثوابه فحسب، بل لم تزل صفحاته الناصعة تروي للأجيال المتعاقبة ما طرأ عليها من أمم وحضارات لم تزل نسائمها تعطر صفحات بقلاعها وتلاعها الشم الصم الصلاب، فهي تزخر بما تزخر به من آثار جمة وجمال طبيعة خلاَّبة مع تباين واتساع في الرقعة الجغرافية لا تكاد تشبهها أية منطقة أخرى في العالم . بل لعله لا يوجد لها مثيل.. ولا أحسبني مبالغاً في وصفي هذا، فإن للعين غلبة لا يستطيع القلب بلوغها، بله وصفها.

وعودة إلى أسمائها حيث سميت بوادي النعام؛ لكثرة ما كان بها من النعام، وغيرها من الفرائس بأنواعها، والوحوش الكاسرة، كالأسود والنمور والذئاب. وهو ما

سعادة محافظ العلا وبعض الزوار السويديين يشاركون في تأدية الفنون الشعبية

في العُلا كل شيء يلفت النظر. فهذه عين تدِّعلْ. وتلك أم ناصر. وهنا عريق المدفع. وهناك محلب الناقة. وعن يمينك أو يسارك نقوش أثرية على الصخور. وفي الأعلى مساقط المياه (الشلالات) الموسمية



يتجلى بكثافة في كثير من النقوش المتناثرة في كل مكان على امتداد عشرات الكيلو مترات طولاً وعرضًا في الجبال والصخور. وعلى مختلف المستويات، وعلى قمم الجبال، وكثير منها مرئي بوضوح لأي عابر من بطن الوادي، وهو ما تؤكده أيضًا المراجع التاريخية. وسميت أيضًا بوادي النعيم؛ لطول الشريط الأخضر الذي يمتد من مدائن صالح (الحجر) شمالاً حتى مغيرة جنوبًا، وهو ما يزيد على ٧٠ كم متفرعًا يمينًا وشمالاً في أعماق الأودية والتلاع.. ولكثرة ثمارها، ووفرة مائها الدفّاق، فقد كانت في العهود القديمة أكثر خضرة وأكثف أشجارًا وأعم نفعًا مع ملاحظة أنه حتى يومنا هذا لا يعرف نبات تمت تجربة زراعته بها ولم ينجح، بل إن كل ما نقل إليها من فصائل النباتات نجح بها بدرجة عالية من الجودة والإنتاج. حتى قيل: إنه في عهود قديمة كانت المرأة تخرج من دارها واضعة قفة مصنوعة من سعف النخيل فوق رأسها، ولا تلبث حتى تعود بها، وقد امتلأت بشتى صنوف الثمار المتساقطة في إشارة إلى كثافة الأشجار المثمرة، وكثرة أصنافها، ووفرة ثمارها. وقد يكون في هذا نوع من المبالغة، ولكنه لا يخلو من دلالة قوية على خصوبة الأرض، ووفرة المياه، وهو ما يدل عليه كثرة المساقط (الشلالات) المائية الموسمية في هذا العصر، وكثرة العيون حتى عهد قريب مضى حيث كان في العُلا ما يزيد على (٣٧) عينًا جارية بعضها تصح تسميتها بجدول أونهير، بقيت جارية إلى ما يراوح بين ٢٥ و٣٥ سنة مضت. وأما أشهر أسمائها فهو وادي القرى وهو الاسم الذي تعرف به في كتب التراث، وفي الشعر. ومن أهم شعرائها جميل بثينة أشهر الشعراء العذريين، وقد كانت قبيلة عذرة تنزل في ضاحية العذيب، وهي من الضواحي الشمالية للعُلا، والمحصورة بين سلسلتي جبال العُلا الشرقية والغربية عندما تضيق كعنق

الديرة هي أصل العُلا قبل التوسع الحديث وهي تشتمل على أهم عيون الماء مثل السعة، والسالمية، والصالحية، وأشهرها تدعل. وعلى أهم الأحياء التي لا يزال بعضها مأهولاً، وبعض المعالم مثل أم ناصر، وغيرها



محطة سكة حديد الحجاز بالبركة وتظهر مروحة الماء وقصر الإمارة القديم

الزجاجة لتعود إلى الانفراج آخذة طبيعة شكلية مغايرة.. ومن قول جميل بثينة:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بوادي القرى إني إذًا لسعيد

وأما العلا في المعجمات فقد جاءت في لسان العرب لابن منظور، وفي معجم البلدان لياقوت، وغيرهما من المصادر الجغرافية، وكتب الرحلات، وبها نكتفي لمن يود الاطلاع.. وفي العُلا كل شيء يلفت النظر، فهذه عين تدّعِل، وتلك أم ناصر، وهنا عريق المدفع، وهناك محلب الناقة، وعن يمينك أو يسارك نقوش أثرية على الصخور، وفي الأعلى مساقط المياه (الشلالات) الموسمية، وانظر أمامك مزارع الحمضيات، وشارع الياسمين والحلف والشقيق، وهكذا هي الحال دون انقطاع، بل إن أكثر هذه المشاهد تستوقفك إما للتأمل، وإما للسؤال، وأكثر من هذا أن بعضها يستدعيك للتوقف والترجل لإمتاع النظر بها عن قرب.

ولما كان وصولي إلى العلا في مساء يوم الثلاثاء كان لزامًا عليَّ أن أذهب في الصباح التالي إلى سعادة الأستاذ/ أحمد عبدالله السديري محافظ العُلا، الذي استقبلنا في مكتبه مهللاً ومرحبًا ومشجعًا، بل ومتحمسًا لاهتمام مجلة الفيصل، وقد دار معه حديث شائق عن البلد وأهلها وتراثها، ولمست عنده حرصًا على إظهار العلا بمظهرها اللائق من جميع النواحي التاريخية والجمالية والحضارية، بل إن حديثه يشي بحب عميق لهذه البلدة وأهلها، الذين يكنّ لهم كل احترام وإعجاب.. ويتجلّى ذلك في حرصه على أن تتبوأ العلا مكانتها اللائقة في مهرجان الجنادرية وقد تحقق ذلك حيث أصبح جناح العُلا من أكثر الأجنحة ازدحامًا منذ مشاركتها غير البعيدة حتى الآن.. وقد تزامن وجودنا مع وجود جماعة سياحية سويدية مكونة من طلاب الجامعات وأساتذتهم. فدعانا سعادة المحافظ وإياهم إلى مزرعته في العذيب لوجبة الغداء.. ذهبت إلى العذيب متأخرًا قليلاً، وبعد أن سألت عن المزرعة وصلت إليها، وقد أسماها «منيفة» لكونها نائفة «مرتفعة» عما حولها.

سميت بوادي النعام: لكثرة ما كان بها من النعام، وغيرها من الفرائس بأنواعها، والوحوش الكاسرة، كالأسود والنمور والذئاب. وهو ما يتجلى بكثافة في كثير من النقوش المتناثرة في كل مكان على امتداد عشرات الكيلو مترات



منظر طبيعي إيحائي من جبال العلا

بركة الماء في الطرف الجنوبي من محطة سكة حديد الحجاز ـ الحجر

وتطل على وادي القرى من أوله إلى آخره.

هناك وجدنا سعادة المحافظ الذي وجه بإعداد لوحات من الفنون الشعبية أدتها فرقة «العُلا»، وكانت لوحات منوعة وثرية أسعفتنا الكاميرا بتسجيلها صوتًا وصورة، وكانت هذه أولى بشائر التفاؤل بهذه الرحلة، إذ لم يكن في حسباني أن أحظى بهذه الهدية الرائعة، بعدها توجهنا إلى صيوان الطعام، حيث كانت المائدة زاخرة بكل ما لذ وطاب من أصناف الطعام أغلبه من منتجات العلا، وما عساه يكون أطيب من ذلك..!

بعد الغداء جلسنا في الصيوان المجاور لتناول الشاهي، والاستمتاع بلوحات شعبية إضافية، شارك فيها هذه المرة بعض الشبان السويديين، وبعض أساتذتهم الذين رقصوا على الإيقاعات، فأجادوا أداء، وأضفوا على الجو بهجة وسروراً، وكانت من أجمل الأوقات.

قرب العصر انفض الجمع، وذهب كل إلى غايته، وبقينا مع سعادة المحافظ بعد هدوء المكان، وتبادلنا معه أطراف الحديث عن العلا، وعن أهلها وقبائلها، وعن رؤيته لمستقبلها المأمول، وعن عزمه على إبراز البلد إلى حيث يجب.. وبعد صلاة العصر ذهبنا في جولة على المزرعة مع المحافظ بسيارته الجيب ـ فالمنطقة رملية ـ وكان معنا الأستاذ محمود العزامي فنان العلا ورسامها المبدع، والمزرعة مترامية الأطراف تحتوي على عدد من أجمل الصخور والجبال المتناثرة التي تفصل بين أجزاء المزرعة الحديثة.. بعدها ودعنا سعادة المحافظ على أن نلتقيه في المساء في منطقة تسمى «الشيروان» تقع جنوب طريق حايل حيث توجد رعاياه (إبله)، ولما ذهبنا

وجدنا جمعًا غفيرًا، من الحضور مثلما كان في النهار، وكان الجو بارداً جدًا إذ كان الفصل شتاءً. ورافقني هذه المرة كل من فهد الرويلي، وخالد ماضي، وهما من رفقاء جولاتي العلاوية، واشتملت السهرة على عروض شعبية سجلناها هي الأخرى، وقد تنوعت بين فنون البادية حيث الربابة والقصيد، والفنون الشعبية لأهل العلا.



بقايا عربات سكة حديد الحجاز وطرف من قلاعها في محطة البرُكة - العلا

ورشة الصيانة وبداخلها (محرك بخاري) في محطة سكة حديد الحجاز - الحجر

وامتدت السهرة حتى الساعة الثالثة صباحًا شارك في ختامها المحافظ بالعرضة النجدية. وقبل مغادرتنا خصص لنا سعادته سكنًا في دار الضيافة الملحق بمقر المحافظة: إضافة إلى سيارة وسائق، وأوصاهم بتلبية احتياجاتي كافة، وأخذي إلى أي مكان أرغب الذهاب إليه ضمن المنطقة.. وهو الشيء الذي يحمد عليه، ويشكر لوعيه الثقافي والحضاري، ولاستعداده الفطري لمساعدة الآخرين في أداء مهامهم، ولرغبته الطموح في تقديم ما تستحقه العلا وتوفيره بكل جدارة.

وبعد الإعداد للجولة والاتفاق مع بعض الشباب، من أقاربي، ومعارفي لمصاحبتي في جولاتي، وفي فجر يوم السبت كان مبارك - خوي الإمارة - عندي حسب الموعد، فخرجنا بعد الصلاة متجهين إلى الحجر، وكان معنا فهد الرويلي. فلما وصلنا الحجر طلبت من مبارك وفهد أخذي إلى بعض المواقع مثل: جبل الحوار، والمزحم، والبئر النبطي، ومربط الفرس: وذلك لمعرفة مواقعها.. ولكون عملي يتطلب مني وقوفًا متكررًا، وأحيانًا عودة إلى أشياء تلفت الانتباه، أو اختيار أوقات محددة لغرض التصوير، وهو ما قد يثقل على سائقنا أو على الأقل لا يجعلني مرتاحًا في عملي، ففضلت أن أستخدم سيارتي الخاصة في جولاتي مصطحبًا معي

كانت في العهود القديمة أكثر خضرة وأكثف أشجارًا وأعم نفعًا مع ملاحظة أنه حتى يومنا هذا لا يعرف نبات تمت تجربة زراعته بها ولم ينجح، بل إن كل ما نقل إليها من فصائل النباتات نجح بها بدرجة عالية من الجودة والإنتاج

الرفاق.. وهو ما دعاني إلى الاستغناء عن سيارة المحافظة والسائق مقدرًا لهم وفاءهم وجميل صنعهم، حيث بدأت في اليوم نفسه جولاتي مع رفاقي الذين كان لهم فضل كبير في هدايتي إلى مواقع لا أعرفها من قبل، أو كنت قد سمعت عنها وأنا ابن العُلا، ففيها نشأت، وفيها تعلمت، وفيها تسلقت، وارتقيت كثيرًا من جبالها، وفي أغلب أوديتها وتلاعها تجولت.. فشكرًا للشباب رفاقي في العُلا.


ورشة الصيانة وملحقاتها ضمن محطة سكة حديد الحجاز . الحجر

الديرة

لعله من الأسلم أن نلقي النظرة الأولى على بلدة العُلا القديمة، وهي المعروفة منذ ما قبل العهد النبوي الشريف، وتسمى في أيامنا بالديرة، والديرة هي أصل العُلا قبل التوسع الحديث وهي تشتمل على أهم عيون الماء مثل السعة، والسالمية، والصالحية، وأشهرها تدعل، وعلى أهم الأحياء التي لا يزال بعضها مأهولاً، وبعض المعالم مثل أم ناصر، وغيرها. وللعُلا التاريخية حكاية مع رسول الله ﷺ حين وصلها في طريقه إلى غزوة تبوك، فعندما وصل ﷺ إلى العُلا بعث إلى أهلها يدعوهم إلى الإسلام، فانقسم القوم إلى فريق سالم فأسلم، وفريق رأى خلاف ذلك فكان أن دخلها ﷺ عنوة، وأدخلها جميعًا في حوزة الإسلام، ولكن واقعة الانقسام تركت بصمتها على الديرة حيث سمي الجزء الذي اختار السلام بـ «الحلف»، وهو أن أهله حالفوا الرسول ﷺ. وأما الآخر المناوئ فقد عرف بـ «الشقيق»، وهو أن أهله شاقوا (شاققوا) ولم يستجيبوا في بادئ الأمر، وبقيت هذه التسميات منذ ذلك الزمن حتى يومنا هذا، وإلى أن يشاء الله.. وعسى ألا يطالها التغيير والتبديل والتحوير، مثلما حدث مؤخرًا لمسميات عريقة وشهيرة في العُلا، فإن في بقائها والعناية بها لأشوق عامل في تقوية السياحة الدولية، والدعاية الرائعة

عرف جبل أم ناصر بهذا الاسم: لكونه يضم في قمته قبر القائد الإسلامي العظيم موسى بن نصير، الذي وافاه أجله في العلا، بينما كان في طريقه إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، بعد أن عزله الخليفة سليمان بن عبدالملك عن قيادة الجيوش والفتوحات

لبلدنا، فضلاً عن إعطاء صورة حضارية لبلدنا عند من يزورها، ويُعجب بها من الأهل والغرباء.

وهذه الديرة تشتمل على عدد من المعالم الطبيعية والأثرية والإسلامية؛ مما لا يمكن تجاهله، أو حتى مجرد المرور عليه مرور الكرام.. ففي الديرة (كانت) عين تدعل تفيض إلى عهد قريب، لا يتعدى ثلاثين عامًا خلت، وهي العين التي نزل عليها رسول الله ﷺ وكانت أغزر عيون العلا ماءً، وأحلاها مذاقًا، وأسلسها ارتشافًا، وأعذبها منهلاً، وكان عليها خلوات (حواجز)، كل واحدة منها مخصصة لغرض معين.. فهنا مكان الري حيث تملأ القرب والأواني للأغراض المنزلية (طبخ وشرب)، بعدها مكان الوضوء للرجال، بعده تكون خلوة الغسيل، وفيها تقوم النسوة بغسل الملابس وما إليها في هذه الخلوة، ولا تستعمل لغير ذلك.. تليها خلوة الاستحمام الخاصة بالرجال حيث يستحم الرجال، ويغتسلون، وأخيرًا خلوة النساء، وبقيت هذه الحال حتى انحبست العين عن

لوحة جبلية تحتوي على كتابات ونقوش تعود إلى عدة حضارات .. عربية قديمة وحديثة . نبطية . ثمودية ... إلخ ومثلها كثير في العلا وضواحيها



الجريان، وهجر سكان الدور الكثيفة المحيطة بمنبع العين دورهم إلى الأحياء الحديثة والمباني الأسمنتية، واستغنت المزارع بالآبار الإرتوازية، ففقدت العلا أحد أهم معالمها التاريخية المرتبطة مباشرة بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم، ومع هذا لم يتحرك مواطن أو مسؤول لإنقاذ هذا الأثر القدسي المهم، ويُعيد إليه ما غبر من صلة أثرية بخير من وطئ الثرى.. بل إن بعض الأفكار البدعية أساءت إلى هذه المعالم بحجج واهية، وأفعال تتم على جهل مطبق، فهذا مسجد رسول الله ﷺ القريب من أطلال تدعل، والكائن فوق تلعة يسقط عليها ظل جبل أم ناصر في وقت العصر، قد كبل بسلال الحديد، وتوقفت فيه الصلاة بحجة أقبح من ذنب، تزعم باطلاً أن بعض الناس من أهل العُلا يطوفون حوله، وهذا زعم باطل مغرض، لا صحة له إطلاقاً، وما إلى ذلك من أوهام، حتى إنه قد هدد، ولا يزال بالإزالة بسبب أفكار حاقدة، وقلوب مريضة ليس فيها نأمة حبٍّ لرسول البشرية الصادق المصدوق ﷺ، بل الأدهى من كل ذلك أن معلم «الطنطورة» التاريخي العلمي، وهي مزولة شمسية مبنية من الحجر، ولها تاريخ قديم، وكان أهل العلا يحددون الفصول والمواسم على طرف ظلها، إذا ما أصاب علامات محددة على الأرض.. جاء أخيرًا من ينسب إلى

العلا القديمة تتكون من شبكة متسعة من البيوت والدور المتراصة والمضغوطة والمفضية بعضها إلى بعض عن طريق الأسطح. فهي متلاصقة تمامًا .. فهذا السطح يؤدي إلى ما يحيط به من أسطح دور مجاورة، أو أزقة ضيقة جدًا متفرعة ومتعرجة. ويقودك بعضها إلى بعض


نقوش ورموز آثارية في جانب من أحد الجبال في العلا

الطنطورة وما تؤديه من عمل تفرضه الفريضة الإسلامية علينا من أفعال لم تحدث قط في يوم، ولم تقع أبدًا؛ فزعم من زعم أن الناس يقدسونها و...... و...... فطالتها يد الهدم والتخريب، وألحقت بركب المعالم المعتدى عليها لأغراض مختلفة، وما أكثرها في العلا! فانسحبت يد البلى على أثر علمي إسلامي فذ كان قد تفتق عنه العقل العربي الإسلامي، فكان المفروض أن ترمم، ويحافظ عليها كأثر تاريخي علمي أصيل يدل على اهتمام المسلمين بالعلوم التطبيقية في دينهم ودنياهم وحياتهم، وقديماً قيل:

هذه آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ففي الآثار عبرة لمعتبر، وعظة لمتعظ، ورسول الله ﷺ إلى البشرية كافة يقول: «العاقل من اتعظ بغيره فاتعظ».

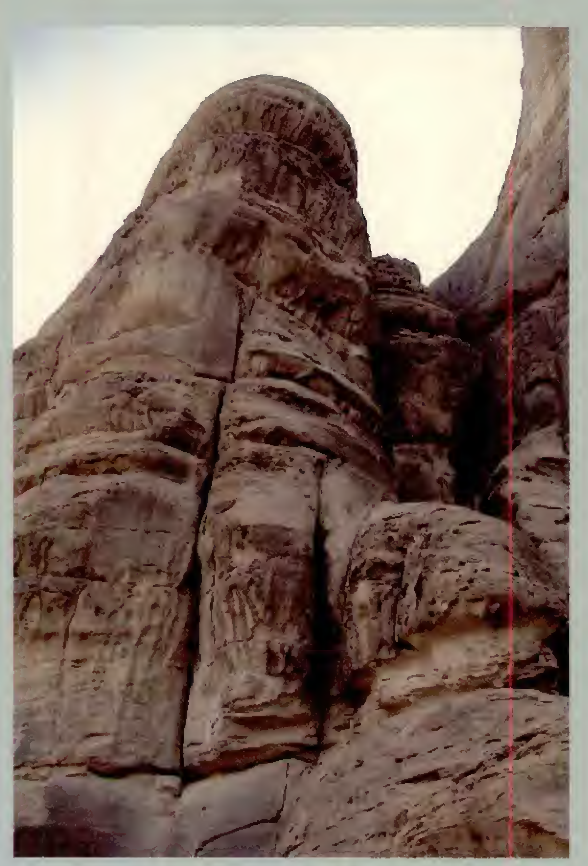


نفق في أعلى أحد الجبال المملؤ بالنقوش الآثارية والقبور المعتدى عليها .
وإلى جانب هذا الجبل أحدثت حفرة شهيرة بحثًا عن الكنوز ..

جبل ناصر

أما جبل أم ناصر فهو جبل منفرد يقع على مقربة من جبال العلا الغربية في وسط الديرة القديمة المحصورة بين سورين طينيين مشيدين من الشمال، ومن الجنوب، ومحدودة من الشرق والغرب بسلاسل جبال العلا، وهي أطواد عظيمة وعرة في أغلبها توفر حماية مثالية للعُلا.

وجبل أم ناصر ينبثق من مرتفع أرضي (تلعة) - الطرف الغائر من الجبل في الأرض - وتقع خلفه الديرة القديمة ومساكنها، وأمامه تقع المزارع الممتدة شمالاً وجنوبًا بطول



تكوين طبيعي من جبال العلا

الوادي.. وعرف جبل أم ناصر بهذا الاسم: لكونه يضم في قمته قبر القائد الإسلامي العظيم موسى بن نصير، الذي وافاه أجله في العلا، بينما كان في طريقه إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج، بعد أن عزله الخليفة سليمان بن عبدالملك عن قيادة الجيوش والفتوحات.

والعلا القديمة تتكون من شبكة متسعة من البيوت والدور المتراصة والمضغوطة والمفضية بعضها إلى بعض عن طريق الأسطح، فهي متلاصقة تماماً .. فهذا السطح يؤدي إلى ما يحيط به من أسطح دور مجاورة، أو أزقة ضيقة جداً متفرعة ومتعرجة، ويقودك بعضها إلى بعض حتى إنه ينطبق عليها تعريف المتاهة (Zig Zag)، وهذا صحيح تماماً، فمن لم يكن من أهلها وساكنيها لا يمكنه أن يخرج من بوابة معينة مرتين، إن لم تسعفه المصادفة..

ولهذا التخطيط دواعٍ أمنية بحتة، فإذا ما أغلقت أبواب مداخل أزقتها المؤدية إلى تلافيفها فإنه لا يمكن لغازٍ أو طالب شر اقتحام البلد، وإن استطاع تجاوز الأسوار، أو حتى الجبال الحاضنة للعلا. وبقيت الديرة وسوقها الرئيس تعج بحياة صاخبة في أثناء النهار؛ فبيع وشراء واتفاقات وثمار وسيارات محملة وأخرى أفرغت حمولتها ومثلها من الدواب من جمال وحمير - وضجيج لا يهدأ طوال النهار.. ولا يخلو الأمر من زوار أجانب أو سياح أو رحالين يتنقلون هنا، ويسألون هناك، ويطلبون مساعدة من هذا، أو معلومة من ذاك.. حتى إذا ما أرخى الليل سدوله، وخيم الظلام، أخذ كل يلملم أشياءه ونفسه جاراً رجليه بتثاقل إلى داره إن قربت، أو بعدت.. إن داخل الديرة أو خارجها في الضواحي القريبة كالعذيب والحجر والعيون (البحرية والبركة والرزيقية والحميدية والمحمودية والمنشية واليسيرة والحزم والمحاش....إلخ) وهذه كلها من أحياء ضواحي العلا أو القرى القريبة منها.



أينما نظرت في العلا تشاهد تجليات الطبيعة وآثارها

يقال: إن أول مدرسة في الجزيرة العربية كانت في العلا، وهي التي آلت لتصبح مدرسة عبدالرحمن بن عوف الابتدائية في هذا الزمن طبقاً لمن يقول بهذا، وينافح بعض أبناء العلا عن هذا الرأي بما لديهم من أدلة وحجج

طاردة جاذبة

ولكون العلا طاردة جاذبة في الوقت نفسه فإن ظاهرة التغير الديموغرافي وتبدل التركيبة السكانية دائمة الحدوث ومتواصلة دون انقطاع منذ عُرفت العلا، فمن



جبل أم ناصر بالديرة - العلا - حيث قبر القائد موسى بن نصير في قمته

ناحية هي طاردة، ومنذ القديم، لأبنائها لدواعي العمل والوظائف والتعلم، وطلب الرزق لمحدودية كل ذلك فيها حتى يومنا هذا.. وساعد على أن تكون طاردة أن أهل العلا من المجتمعات الحضرية الأصيلة في الحضارة.. فلكون العلا مأهولة بالحضارة عبر التاريخ دون انقطاع، نجد أن هذا قد انعكس على أهلها، فهم متعلمون يحملون إرثًا حضاريًا متنوعًا ومتراكمًا وعريقًا، يفاخرون به، قد ترك بصماته على سلوكياتهم، وأساليب عيشهم، وهم مَنْ عُرفوا بدماثة الخلق، وشدة الأدب والاستقامة والسلام، وقد كان التعليم في العلا قديمًا وضاربًا في عمق بدايات التعليم في مجمل شبه الجزيرة العربية، حتى إنه يقال: إن أول مدرسة في الجزيرة العربية كانت في العلا، وهي التي آلت لتصبح مدرسة عبدالرحمن بن عوف الابتدائية في هذا الزمن طبقًا لمن يقول بهذا، وينافح بعض أبناء العلا عن هذا الرأي بما لديهم من أدلة وحجج.. وما هذا إلا دليل على قدم مؤسسات التعليم النظامية في العلا.

وأما أنها مستقطبة.. فعلى الرغم من محدودية الفرص المعيشية الطموح بها، أو بالأحرى انعدامها، إلا أنها جاذبة لأبناء القبائل والمدن القريبة، وهو ما يبدو واضحًا هذه الأيام لأي عارف، حيث يتجلى تغير البناء الديموغرافي بشدة..

ومن أعيان العلا أهل الديرة، وهم كُثر نكتفي بذكر: آل خميس بن صالح، وآل سليم بن صالح، وآل المطلق، وآل ناصيف، وآل مبارك، وآل الحداد، ومنهم الشاعر والأديب والمربي الفاضل سالم الحداد، وآل نوح، وغيرهم كثر، ومنهم الحجاج، وهو الذي أوقف بئر الماء الكائنة في أول سوق الديرة، وعليها بناء، وفيه حجر منقوش يحكي قصة الوقف وتاريخه.

وإذا ما خرجنا من العلا القديمة نجد ضواحي العلا الحديثة قبلاً وبعدًا قد ملأت وادي القرى طولاً وعرضًا، وجميع هذه الضواحي قامت حول عيون الماء، فالزهرة تليها العذيب، ثم الحجر، هي أهم الضواحي الشمالية التي تضم أحياء أصغر، وأما الضواحي الجنوبية فنجد أهمها البركة، والبحرية، والمنشية، والرزيقية، والمحمودية، والحميدية، وصدر، وآخرها جنوبًا مغيرة. وبينها عدد من الضواحي الصغيرة المتناثرة هنا وهناك.

يمرّ طريق سكة حديد الحجاز من العلا، ففي الحجر تقع أكبر محطات السكة في الأراضي السعودية، وهي تشتمل على بضعة عشر مبنىً "قلاع عثمانية" مخصصة لمكاتب الإدارة، ومخادع عسكرية، واستراحات للمسافرين


سعادة المحافظ وبجانبه فنان العلا - محمود العزامي - أمام أحد الجبال الرائعة في مزرعة المحافظ «منيفة» بضاحية العذيب

مدفع رمضان

وفي العلا تحتاج إلى التوقف والسؤال عن كل شيء؛ فهذا طويل المدفع (مدفع رمضان)، وكان مقرًا للحامية العثمانية، ولا يزال يقع فوقه عدد من المباني التركية المستخدمة للمراقبة والإشراف على الوادي، وعلى محطة سكة حديد الحجاز الواقعة إلى يسار الطويل (جنوب)، والمشتملة على مقرات الإدارة، والمكاتب العسكرية، ومروحة ضخ الماء من البئر الخاصة بالمحطة، ومباني الركاب والمسافرين، وخدمات القطار.. وكانت محطة السكة هي المباني الوحيدة خارج أسوار الديرة القديمة حيث لا يرى غيرها، كما هو مثبت بصورة التقطت سنة ١٣٢٧هـ معروضة في متحف العلا، مأخوذة من موقع محاذٍ للجبال الغربية، حيث تظهر الجبال الشرقية، وقد خلا المكان من كل شيء عدا محطة السكة، فلا مزارع، ولا بيوت، ولا أي أثر أو معلم عدا المعالم الطبيعية والأثرية، والأشجار البرية. وبمقارنة تلك الصورة مع الحاضر - وقد أخذتُ عددًا من الصور من الموقع نفسه تقريبًا - تظهر مفارقة عجيبة بين القديم والحديث.


حمام البر على طرف من جبال العلا - داخل البلور يرتاده الحمام بكثرة لوفرة الحبوب بالقرب منه حيث حراج المواشي

المحاش

ويقع مقابل محطة السكة الحديد من ناحية الشرق «المحاش»، والمحاش كان متنفساً لأهل العلا، ومرتعًا لدوابهم ومواشيهم، وتقوم في بعض نواحيه بيوتات كانت في بداياتها عششًا، وصنادق تحولت إلى بيوت طينية قبل أن يصبح المحاش مسكونًا بأكمله.

وفي المحاش ركوة الحمام وهي ركن في الجبال كان يتردد عليه حمام البر والحجل بكثرة، وفي المحاش عدد من الجواد تزيد على ثلاثة تتسلق الجبال



تكوين خرافي يفخر به - الأستاذ محمود العزامي - ومن حيث نظرت إليه أوحى إليك بشيء مغاير عن سابقه - أما مادته فيظهر أنها خشبية

الأعمار، وأما (رجاء) الراعي فهو نجم المهرجان غير المنازع، وكثيراً ما كان يعود حاملاً بين يديه، وعلى كتفيه صغار الأغنام الوليدة ليقوم بتوزيعها على أهلها بدقة، دون خلط بينها، أو خطأ في أمهاتها.

المحطة

أما محطة السكة الحديد فقد نمت حولها حارة جديدة (في منتصف القرن الماضي) سميت بـ «البركة» نسبة إلى العين المحدثة فيها التي تسقيها، وفي البركة كنا نقيم قبل الرحيل، وفي البركة كان يقيم بعض كبار

وتوصل إلى السفوح، وكثير من الجواد أنشأها العثمانيون، ووسعوها لاستخداماتهم العسكرية، حيث كانت تصعدها الإبل محملة والبغال جارة عربات المؤونة والذخيرة، وجارة المدافع وما إلى ذلك.. وتشاهد من الوادي على قمم الجبال علامات (عيارات) المدافع التركية المستخدمة لضبط توجيه القذائف، وهذه العيارات عبارة عن أعمدة من الحجر.. وعلى سفوح الجبال تكثر المباني العثمانية الخاصة بالاستخدامات العسكرية، وهي - في أغلبها - أبنية بسيطة لأغراض محدودة لم يبق منها إلا الأطلال. وهذا عكس القلاع العثمانية الرائعة التصميم المتينة البناء الحصينة الموجودة في الوادي على غرار محطات القطار في الحجر والبركة والعذيب ومغيرة، وعلى امتداد سكة القطار بتوزيع خاضع لمسافات محددة (نحو ٢٥كم)، وبحسب أهمية المواقع والأماكن.

وفي المحاش وسفوح جباله كانت ترعى أغنام الأهالي، وكان موعد التسليم الصباحي للراعي والاستلام المسائي منه عبارة عن مهرجان يومي يشارك فيه غالبية الأهالي من الجنسين وبكل

حجر دائري ثقيل الوزن متلألئ من مقتنيات حمزة عبد الدايم



البلد من أمثال: الشيخ حمزة آل عبدالدايم ـ رحمه الله ـ وكان من كبار أعيان العلا، وعميد آل عبدالدايم ذائعي الصيت، وكان في البركة أيضًا كبير أئمة العلا وخطبائها الشيخ محمد العبدالكريم ـ رحمه الله ـ إضافة إلى بعض كبار المسؤولين، ومنهم الشريف علي بكير ـ رحمه الله ـ والأستاذ أحمد عبدالكريم، وعبدالله النويصر، وكان في البركة قصر الإمارة الذي يشغل قلاع محطة سكة الحديد، ومقر إقامة أمير العلا في مجمع المحطة، وفيه المسجد الجامع الكبير.

وفي البركة جنوب مباني المحطة، وبمحاذاة أطلال طريق السكة الحديد بقيت حتى اليوم آثار ظاهرة إجرامية تفاقمت على نحو خطر في العقود الأخيرة، حيث بقايا حفرة أحدثت بحثًا عن كنوز الذهب والآثار، وقد ألقي إلى جانبها عمود إنارة استخدم للتمويه في حينه، ولما قضي الأمر ترك العمود في مكانه بجانب الحفرة إلى يومنا هذا، ليبقى شاهدًا على تلك الواقعة التي أثارتها الإشاعة الكاذبة في وجود كنوز ذهبية، دفنها العثمانيون فيها.

أما في طرف مجمع المحطة الشمالي فقد أقفل الطريق العام من جهتيه، وأحضرت المعدات، وحفرت الأرض في النهار عيانًا جهارًا، وفي الليل تواصل الحفر تحت أضواء كاشفة، واستمر الاعتداء عدة أيام بلياليها، وكان الله بالسر عليمًا.

ولا تزال آثار الحفر والشقوق المحدثة قاطعة الشارع العام، شاهدة على الجريمة، بحثًا عن سراديب عثمانية مكدسة بالذهب.. والثروات الأثرية والعلمية والإنسانية والحضارية والتاريخية المهدورة. وما أكثر هذه الحقائق في العلا، والحقائق الغائبة في العلا تفوق الحصر. وضمن السياق نفسه لا ننسى جبل أم درج الذي هو من أهم مواقع الآثار المهملة في العلا، وهو جبل شاهق قائم وعر المراقي. خطير، هلك فيه كثير من الطامعين المتهورين، وسنذكره في حينه إنشاء الله.

وفي البركة كان شارع الياسمين الذي يعبق في الفجر والمغرب بروائح الياسمين؛ لكثرة أشجار الحمضيات في المزارع المطلة عليه، وإلى الشمال من البركة يقع خيف البحرية حيث عين البحرية، وعين الفراة، ويفصل بينهما وبين سور العلا القديمة (الديرة) خيف الخميسية، وكل خيف قام حول عين ماء خاصة به تسقي سكانه ومزارعهم، يتقاسمون ماءها حسب جداول وحصص دقيقة، لا يتلاعب بها أحد، فكل منهم له حق في ماء

حجر أثري منقوش مثبت فوق باب إحدى الدور بالديرة





منظر للجبال الشرقية ويظهر جزء من المحاش وضاحية البركة وبوابة العلا - وهي حديثة - بينما يظهر الموقع نفسه في صورة المتحف وقد خلا من كل الإحداثات

العين بقدر معين، حسب مساحة أرضه الزراعية، وكثافة ما فيها من زراعة وأنواعها.. وغرب البركة قام خيف الرزيقية، وكان أغلبية سكانه من أبناء بادية العلا. وأما إلى الجنوب من البركة فتتوالى أخياف الحميدية، والمحمودية، والحزم، واليسيرة، والمنصورة، ثم المنشية، وهي آخر خيف في طرف العلا الجنوبي - القديمة طبعًا - وقد انحبست الآن، وغارت جميع تلك العيون دون استثناء، بل إنه حتى معالمها قد درست، واندثرت، وأصبحت أثرًا بعد عين - وليته - كان لنا في عُمان قدوة.

استمرارية إبداعات الطبيعة

لعل من أجمل الأشياء مشاهدةَ التغيرات الحادثة على وجه الطبيعة، وهو ما يعرف بعوامل التعرية، فمنذ عام تقريبًا، وفي أحد الأيام الممطرة، حيث الغيوم الكثيفة، والأمطار الغزيرة، والعواصف الرعدية تهدر في كل جهة، أصابت إحدى تلك العواصف الجبارة بصواعقها الهادرة صفحة قمة أحد الجبال الغربية، حيث أقيم في حضنه واحد من أجمل المتنزهات العلاوية؛ لكونه يقع فوق مرتفع في نهاية حي الرزيقية الجنوبي، ومنه يتراءى لك كامل وادي القرى من مغيرة جنوبًا، حتى الحجر شمالاً، وهو الموقع ذاته الذي أخذت منه صورة محطة السكة المشار إليها، والمأخوذة سنة ١٣٢٧هـ، والتي تظهر هي الأخرى بعض التغيرات في شكل الجبال الشرقية التي حدثت على مدى ١٠٠ (مئة) عام.. ولشدة ضربة العاصفة انفلقت من قمة الجبل كتلة هائلة الحجم أخذت تتدحرج، وترتطم بالجبل، متحدرة كالغضب، ساحقة كل من ألقاه



حظه التعيس في مسارها، متشظية في زحفها المدمر إلى عددٍ من الصخور، وحافزة كل الصخور الأخرى معها، حتى وصلت هي وكوكبتها إلى أسوار المتنزه المتماسة مع الجبل فسحقت كل ما ارتطمت به هي وشظاياها ومرافقاتها في طريقها، ولا يقل حجم أغلبها عن حجم سيارة عائلية.. سحقت الأسوار الخرسانية والأشجار، وتركت حفرًا عميقة في طريق تدحرجها إلى أن استقرت متناثرة على كامل أرض المتنزه، الذي كان من لطف الله خاليًا من الزوار تمامًا.. بعدها أغلق المتنزه، ووضعت لوحات تحذيرية من احتمال تساقط الصخور، وبقيت هذه الحادثة، وما نتج منها شاهدًا حيًا على قوى الطبيعة. واللافت أن مكان الفلق والسلخ شكل لوحة جديدة تضاف إلى آلاف اللوحات المتشكلة على جميع الجبال، وفي كل مكان. وبالمناسبة فإن هذا الجبل، وهو بروز متقدم من السلسلة الغربية، ويمتد نحو ٣ كم ببروز يبلغ نحو نصف كم يسمى طرفه الشمالي بـ «طور الباشا»، حيث كان منزلاً للباشا إبراهيم بن رفادة شيخ قبيلة بلي أوائل القرن الماضي، وبه عرف الطور، ونسب إليه فأخذ كنيته. وأما طرفه الجنوبي فهو خشم جبل صدر، ويخفي كل من طرفيه وراءه ضاحية تسمى الجنوبية بـ «صدر»، وهي ضاحية كبيرة ممتدة في تعاريج الجبال مزروعة بأكملها، ومأهولة منذ القديم، ونجد النقوش الأثرية المتنوعة والمتعددة منتشرة على طول هذا الجبل - كما هي الحال في الجبال الأخرى - وعلى الصخور المتناثرة أمامه، وهذه النقوش تنتمي إلى أمم وحضارات متعاقبة لحيانية - نبطية - ثمودية - عبرية - رومانية - معينية - عربية ...إلخ - أما طرفه الشمالي فيخفي وراءه أحد أحياء العلا الحديثة، وقمةُ هذا الطرف ترقّ في جزء منها، وفي هذا الجزء تظهر ثغرة «شباك» لافتة نظر أي عابر من الوادي.. وبعضهم يزعم



مباني محطة البركة وقصر الإمارة القديم والجبال الغربية حيث انفلتت كتلة صخرية غطت أرض المتنزه



جانب من محطة سكة حديد الحجاز بالحجر وتظهر بعض أعمدة الإنارة ومشروعات الاستثمار المتوقفة

أن هذه الثغرة حدثت بسبب قذيفة مدفع تركي عثماني، ولكنني لا أظن أن أي مدفعٍ حديث أو حتى صاروخ قادر على إحداث مثلها.. بل لعلها حدثت بسبب قوى طبيعية جبارة لا تصل إلى طاقتها المتفجرات المعروفة.

وتجد في جبال العلا كثيراً من هذه الظواهر لعل أشهرها «الجرة» الواقعة شمال طريق حايل ناحية مدخل العلا الشرقي، وهي فتحة في جبل ترى من الطريق، وهي على هيئة جرة متقنة التكوين، تحفها من الغرب تكوينات جبلية خرافية، يحرسها من الشرق تشكيل طبيعي حجري على هيئة أسد رابض أمامها فوق مصطبة، وعلى مقربة منها يقع أحد أهم المعالم السياحية الطبيعية في هذه المنطقة الخرافية، وهو جبل الفيل (صخرة الفيل). وهو فيل صخري كامل التفاصيل هائل الحجم انغرست قوائمه في الأرض لا يعلو منه على سطحها إلا نصفه العلوي ونصف خرطومه المغروس في الأرض هو الآخر.

سكة حديد الحجاز

يمرُّ طريق سكة حديد الحجاز من العلا، وله فيها أهم المحطات، ففي الحجر تقع أكبر محطات السكة في الأراضي السعودية، وهي تشتمل على بضعة عشر مبنىً «قلاع عثمانية» مخصصة لمكاتب الإدارة، ومخادع

تجد في جبال العلا كثيراً من الظواهر لعل أشهرها "الجرة" الواقعة شمال طريق حايل ناحية مدخل العلا الشرقي، وهي فتحة في جبل على هيئة جرة متقنة التكوين

عسكرية، واستراحات للمسافرين، وبركة ماء ضخمة، وبئر بمروحة هوائية، وخزانات ماء؛ إضافة إلى المباني الفنية المشتملة على ورشة كبيرة، ملحق بها ورش صغيرة، ومستودع أرضي، ولا تزال بعض القاطرات «المحركات» وقطعها ومعدات العمل وأدوات الشغل موجودة في الورشة، وكانت بعض مباني المحطة تستخدم مقراً لمركز إمارة الحجر وسكناً للموظفين قبل تحريم الإقامة بمدائن صالح.. وتحريم كل ما يتعلق بها من مسكن ومشرب ومأكل، وغيرها.

وكان في الحجر قبل التحريم مزارع غنّ، يصح تسميتها بجنات، فأشجارها باسقة، وظلالها وارفة، وثمارها دانية، أصبحت الآن خاوية على عروشها تبكي زمان عزّها الغابر.

وفي هذا التحريم آراء متباينة، وقناعات متعارضة؛ ففي فريق التحريم من ذهب إلى اعتبار مدائن صالح «الحجر» أرضاً ملعونة - الصيحة الحزينة في البلد اللعينة، رسالة في حكم زيارة مدائن صالح، وما شابهها لمحمد الطرهوني، نشرتها دار ابن القيم للنشر والتوزيع. ولكننا نجد في المقابل من أجاز الإقامة بها، والسكن والمعاش - كما جاء في: حجر ثمود ليس حجراً محجوراً للشيخ عبدالله بن زيد آل محمود.

وبغض النظر عن هذا وذاك نجد أن الحجر ووادي القرى كانا منزلاً وموطناً لعدد من الرسل والأنبياء، وطريقاً عبره أبو الأنبياء الخليل عليه السلام في طريقه إلى مكة ومنها، ثم ختمها/ محمد ﷺ خاتم الأنبياء في طريقه إلى الشام في رحلة التجارة قبل البعثة وبعد البعثة، في غزوة تبوك، ومروراً بصالح عليه السلام، وشعيب عليه السلام، وموسى عليه السلام.. وهو ما يتعارض مع رأي من ذهبوا إلى التحريم، وحتى اللعن.. ولكن هذا مقام آخر يتصل بالعلم والعلماء من أهل الحديث والأثر، فهم أولى بتتبعه، والحديث فيه، والله تعالى أعلم.





حقوق المتهم في ضوء نظام الإجراءات الجزائية

كمال سراج الدين مرغلاني

الرياض ـ السعودية

لم يقتصر نظام الإجراءات الجزائية الصادر بالمرسوم الملكي ذي الرقم م/٣٩ والتاريخ ١٤٢٢/٧/٢٨هـ، على تحديد مهمة كل من رجال الضبط الجنائي، والتحقيق، والقضاء، في الكشف عن حقيقة الجرائم، ومعرفة فاعليها، ومحاكمتهم فيما نسب إليهم وفقًا للوجه الشرعي، وطبقًا للإجراءات المنصوص عليها في هذا «النظام»؛ تحقيقًا لمصلحة المجتمع الأمنية والعدلية؛ بل إنه حدَّد في الوقت نفسه الضمانات التي تكفل حقوق أطراف الدعوة، وخصوصًا المتهمين والمحافظة على كرامتهم، وعدم تقييد تصرفاتهم وحرياتهم إلا في الحدود والأحوال التي بيَّنها «النظام» تمشيًا مع مبادئ حقوق الإنسان التي كفلتها الشريعة الإسلامية، والتي أكَّدها النظام الأساسي للحكم في المملكة في عدد من المواد؛ منها المادة السادسة والعشرون التي نصت على أن «تحمي الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية»، والمادة السادسة والثلاثون التي نصت على أنه: «... لا يجوز تقييد تصرفات أحد أو توقيفه إلا بموجب النظام».



وقد جرى استعراض تلك الضمانات والحقوق بحسب تسلسل ورودها في «النظام»، كما جرى - إضافة إلى ذلك - استعراض بعض إجراءات التحقيق والمحاكمة، وكيفية القيام بها، بشيء من التفصيل؛ وبخاصة تلك الإجراءات التي تمسّ حريات المتهمين، وتقيد تصرفاتهم، مثل: التفتيش، والقبض، والتوقيف، وكان الهدف من ذلك هو تعريف المتهم بمشروعية تلك الإجراءات، وحدودها النظامية، وتمكينه - في ضوء ذلك - من ممارسة حقوقه التي كفلها «النظام».

ضمانات التحقيق

ويمكن تلخيص تلك الضمانات والحقوق فيما يأتي:

أولاً: الضمانات العامة لإجراءات التحقيق؛ وتشمل ما يأتي:

- الضمانات الخاصة بالقواعد الأساسية للتحقيق (1)؛ وتتمثل فيما يأتي:

أ. مشروعية إجراءات التحقيق.

ب - تحديد السلطة المختصة بالتحقيق.

ج - علانية إجراءات التحقيق بالنسبة إلى أطراف الدعوى.

د - تحديد مكان التحقيق.


أحاط النظام إجراءات القبض والتوقيف بالضمانات الكافية لصيانة حقوق الإنسان

هـ - تدوين إجراءات التحقيق.

و- حق الدفاع.

ز- حق الاستعانة بوكيل أو محام.

ح - حقوق بعض المتهمين من الفئات الخاصة.

ولا شك أن الضمانات المذكورة مما يكفل حقوق المتّهم؛ وبخاصة تلك الضمانات المتعلقة بمبدأ علانية إجراءات التحقيق، ومبدأ حق الدفاع، وحق الاستعانة بوكيل أو محام.

❖ فبالنسبة إلى مبدأ علانية إجراءات التحقيق؛ فالمقصود من ذلك هو تطبيق الناحية العملية لحق الخصوم وأطراف الدعوى في حضور إجراءات التحقيق، والعلم بها ومتابعتها في أثناء القيام بها وممارستها من قبل سلطة التحقيق، لتوفير الطمأنينة في نفوسهم، وتمكينهم من الدفاع، وتوضيح موقفهم من القضية.

وتستند علانية إجراءات التحقيق إلى ما ورد في

لأن القبض والتوقيف من الإجراءات الخطيرة التي تمس الحريات الفردية، فقد حرص "النظام" على إحاطتها بالضمانات الكافية لصيانة حقوق الإنسان، والمحافظة على حرماته، التي كفلتها الشريعة الإسلامية، وأكّدها النظام الأساسي للحكم

المادة التاسعة والستين من «النظام» التي تنص على أن «للمتهم والمجني عليه، والمدعي بالحق الخاص ووكيل كل منهم أو محاميه أن يحضروا جميع إجراءات التحقيق، وللمحقق أن يجري التحقيق في غيبة المذكورين أو بعضهم متى رأى ضرورة ذلك لإظهار الحقيقة، وبمجرد انتهاء تلك الضرورة يتيح لهم الاطلاع على التحقيق»، ولتأكيد حق حضور الخصوم إجراءات التحقيق نصت المادة الحادية والسبعون من «النظام» على أن «يبلغ الخصوم بالساعة واليوم الذي يباشر فيه المحقق إجراءات التحقيق والمكان الذي تُجْرَى فيه).

❖ وبالنسبة إلى حق الدفاع؛ فيقصد به تمكين المتهم من دفع الاتّهام عن نفسه إما بإثبات فساد دليل الاتّهام، وإما بإقامة الدليل على نقيضه، وإما بكليهما جميعًا. ومما يؤكد هذا الحق ما ورد في الحديث الشريف الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم: (إن لصاحب الحق مقالاً) (٢).

وممارسة المتهم حقه في دفع الاتهام عن نفسه لا يقتصر عليه وحده، إن شاء مارسه، وإن شاء أهمله، بل هو حق للمجتمع، وواجب عليه في الوقت ذاته، لأن إدانة بريء تعني إفلات مجرم، مما يترتب على ذلك إخلال بأمن المجتمع ونظامه.

ممارسة المتهم حقه في دفع الاتهام عن نفسه لا يقتصر عليه وحده، إن شاء مارسه، وإن شاء أهمله، بل هو حق للمجتمع، وواجب عليه في الوقت ذاته؛ لأن إدانة بريء تعني إفلات مجرم، مما يترتب على ذلك إخلال بأمن المجتمع ونظامه



من الأحوال التي يجوز فيها القبض - نظاماً - على المتهم أن يكون في حالة التلبس

❖ أما بالنسبة إلى مبدأ حق الاستعانة بوكيل أو محام، فيقصد به جواز استعانة المتهم بوكيل أو محام إذا كان عاجزًا عن الدفاع عن نفسه لسبب إعاقة بدنية، أو تقصير في التعبير عما يرغب الإفصاح عنه، لما ينتابه من اضطراب يشتت تفكيره وذهنه، أو لجهله بوسائل الدفاع الشرعية والنظامية وطرائقها، ويستند هذا الحق إلى ما ورد في المادتين: الرابعة، والرابعة والستين من «النظام».

ـ الضمانات الخاصة بإجراءات جمع الأدلة (٣)، وتتمثل تلك الإجراءات في الآتي:

أ ـ ندب الخبراء.

ب ـ الانتقال والمعاينة.

ج ـ التفتيش وضبط الأشياء المتعلقة بالجريمة.





يحق للمتهم إذا لم يقتنع بالحكم الصادر ضده أن يعترض عليه خلال ثلاثين يوماً

د - الاستماع إلى الشهود.

هـ - الاستجواب والمواجهة.

حقوق المتهم

وقد كفل «النظام» في كل إجراء من الإجراءات الموضحة أعلاه عدداً من الضمانات التي تحافظ علي حقوق المتهم بخاصة، وحقوق أطراف الدعوى بعامة، ويعدّ كل من إجراء التفتيش، وإجراء الاستجواب والمواجهة من أهم الإجراءات التي تمس كرامة المتهم وحقوقه.

❖ فبالنسبة إلى إجراء التفتيش الذي قد يشمل شخص المتهم أو مسكنه حدّد «النظام» الأحوال التي يجوز فيها إجراء ذلك، والسلطات التي تقوم به، والشروط التي يتعيّن التزامها عند مباشرته؛ حماية لحريات الأشخاص، ومستودع أسرارهم.

❖ وبالنسبة إلى تفتيش الأشخاص نصت المادة الثانية والأربعون من «النظام» على أنه «يجوز لرجل الضبط الجنائي - في الأحوال التي يجوز فيها القبض نظاماً على المتهم - أن يفتشه. ويشمل التفتيش جسده

المطلوب من المحقق احترام كرامة المتهم وآدميته، وعدم استعمال أي وسيلة من وسائل الإكراه أو العقاقير أو الأجهزة التي تؤثر في إرادته؛ بهدف الحصول على اعترافه. وإذا التزم المتهم الصمت، فيسعى المحقق بالطرائق الشرعية إلى استظهار أسباب صمته

وملابسه وأمتعته. وإذا كان المتهم أنثى وجب أن يكون التفتيش من قبل أنثى يندبها رجل الضبط الجنائي»، وبالرجوع إلى المادة الثالثة والثلاثين من «النظام» يتضح أن الأحوال التي يجوز فيها القبض - نظامًا - على المتهم هي أن يكون في حال التلبس، وأن توجد دلائل كافية على اتّهامه، كما نصت المادة الحادية والثمانون على أن «للمحقق أن يفتش المتهم، وله تفتيش غير المتهم إذا اتضح من أمارات قوية أنه يخفي أشياء تفيد في كشف الحقيقة، ويراعى في التفتيش حكم المادة الثانية والأربعين من هذا النظام».

❖ وبالنسبة إلى تفتيش المساكن، فهناك فرق بين التفتيش، كإجراء من إجراءات التحقيق، وغيره من الإجراءات المشابهة، وكذلك بين التفتيش ودخول المساكن دون تفتيشها، أو تفتيشها بإذن صاحبها. أما تفتيش منزل المتهم في غير الأحوال السابقة، فقد حدَّد «النظام» الشروط التي يجب توافرها، فأشار إلى أنه يجوز لرجل الضبط الجنائي أن يفتش منزل المتهم، ويضبط ما فيه من الأشياء التي تفيد في كشف الحقيقة، إذا توافرت ثلاثة شروط، هي:

- أن يكون المتهم في حالة تلبس بالجريمة.
- أن تكون هناك أمارات قوية على وجود أشياء في منزل المتهم تفيد في كشف الحقيقة، (المادة ٤٣ من «النظام»).
- أن يصدر أمر مسبب من هيئة التحقيق والادّعاء العام، إذا كان المنزل مسكونًا، (المادة ٤١ من «النظام»).

كما أشار إلى أنه يجوز للمحقق اللجوء إلى تفتيش مسكن المتهم، وضبط كل ما يحتمل أنه استعمل في ارتكاب الجريمة أو نتج عنها، وكل ما يفيد في كشف الحقيقة، وذلك:

- بناءً على اتّهام موجه إلى الشخص المقيم في المسكن المراد تفتيشه، أو باشتراكه في ارتكابها.
- إذا وجدت قرائن تدل على أنه حائز أشياء تتعلق بالجريمة.
- صدور أمر مسبب من هيئة التحقيق والادّعاء العام، ولا يصدر عادة مثل هذا الأمر إلاّ بعد إطلاع رئيس فرع الهيئة على طلب الإذن بالتفتيش، واقتناعه بتوافر الشروط النظامية لجواز عملية التفتيش، (المادة ٨٠ من «النظام»).

كما أشار «النظام» إلى أنه يجوز تفتيش مسكن غير المتهم إذا اتضح من أمارات قوية أن هذا التفتيش سيفيد في التحقيق (المادة ٥٤ من «النظام»)، مع ضرورة استصدار أمر مسبب من هيئة التحقيق والادّعاء العام من باب أولى.

ويراعى في كل الأحول التقيد بعدد من الضوابط:

لا شك أن تحديد السلطة المختصة بالمحاكمة، واختصاصاتها، وضرورة توافر حياد القاضي، وما يترتب على ذلك من استقلالية القضاء، وتحديد الموانع التي تحول دون نظر الدعوى؛ كل ذلك يُعدُّ من الضمانات الخاصة التي تعود لمصلحة المتهم

من أهمها:

- لا يجوز التفتيش إلا للبحث عن الأشياء الخاصة بالجريمة الجاري جمع المعلومات عنها، أو التحقيق بشأنها، (المادة ٤٥ من «النظام»).
- أن يتم تفتيش المسكن بحضور صاحبه، أو من ينيبه، أو أحد أفراد أسرته البالغين المقيمين معه، وإذا تعذر حضور أحد هؤلاء وجب أن يكون التفتيش بحضور عمدة الحي أو من في حكمه أو شاهدين، ويُمكّن صاحب المسكن، أو من ينوب عنه من الاطلاع على إذن التفتيش، ويثبت ذلك في المحضر، (المادة ٤٦ من «النظام»).
- يجب أن يكون التفتيش نهارًا من بعد شروق الشمس، وقبل غروبها في حدود السلطة التي يخولها النظام، ولا يجوز دخول المساكن ليلاً إلا في حال التلبس بالجريمة، (المادة ٥١ من «النظام»).
- إذا لم يكن في المسكن المراد تفتيشه إلا المتهمة، وجب أن يكون مع القائمين بالتفتيش امَرأة، (المادة ٥٢ من «النظام»).

❖ أما بالنسبة إلى إجراء الاستجواب والمواجهة: فيقصد به: مناقشة المتهم مناقشة تفصيلية في أقواله التي أدلى بها بعد إحاطته بالتهمة المنسوبة إليه، ومواجهته بالأدلة القائمة ضده، وبأقوال غيره من المتهمين، أو الشهود بهدف الوصول إلى حقيقة موقفه من التهم المنسوبة إليه، وهو ما أشارت إليه المادة الأولى بعد المئة من «النظام».

❖ وبسبب خطورة الاستجواب وأهميته، فقد أحاطه «النظام» بعدد من الضمانات التي تكفل تحقيق الهدف منه، وهو إثبات الجريمة أو نفيها بطريقة لا تقبل الشك، ومن ذلك ما يأتي:

أ- حق المتهم في الاستعانة بوكيل أو محام في مرحلة الاستجواب، وفي إجراءات التحقيق كافة (المادتان ٤، ٦٤ من «النظام»).

ب - قصر إجراءات الاستجواب على سلطة التحقيق، أو المحقق المختص، (المادة ٦٥ من «النظام»)، إلا في الأحوال التي يخشى فيها فوات الوقت: فيجوز لرجل الضبط الجنائي استجواب المتهم، متى كان ذلك متصلاً بالعمل المندوب له، ولازمًا في كشف الحقيقة (المادة ٦٦ من «النظام»).

ج - حق المتهم ووكيله أو محاميه بحضور جميع إجراءات التحقيق، والاطّلاع على أوراق التحقيق الذي جرى في غيبته، (المادة ٦٩ من «النظام»).



الدفاع عن المتهم حق وواجب على المجتمع

خارج مقر جهة التحقيق إلا لضرورة يقدِّرها المحقق»، (المادة ١٠٢ من «النظام»).

أي إن المطلوب من المحقق احترام كرامة المتهم وآدميته، وعدم استعمال أي وسيلة من وسائل الإكراه أو العقاقير أو الأجهزة التي تؤثر في إرادته؛ بهدف الحصول على اعترافه، وإذا التزم المتهم الصمت، فيسعى المحقق بالطرائق الشرعية إلى استظهار أسباب صمته، مع إفهامه بأهمية إبداء دفوعه، وإن أصر مع ذلك على الصمت، فلا يجبره أو يكرهه على الكلام، ويكتفي المحقق بتسجيل ذلك في المحضر مع استكمال إجراءات التحقيق الأخرى التي قد تثبت إدانة المتهم أو براءته؛ لأن الاستجواب حتى لو أدَّى إلى اعتراف المتهم، فإنه لا بد من التأكد من صدق هذا الاعتراف بتعزيزه بأدلة أخرى.

إجراءات الاحتياط

- الضمانات الخاصة بإجراءات الاحتياط قِبَلَ المتهم (٤)، وتتمثل تلك الإجراءات فيما يأتي:

أ. التكلف بالحضور.

ب ـ القبض والإحضار.

ج ـ الأمر بالتوقف.

ولأن القبض والتوقيف من الإجراءات الخطيرة التي تمس الحريات الفردية، فقد حرص «النظام» على إحاطتها بالضمانات الكافية لصيانة حقوق الإنسان، والمحافظة على حرماته، التي كفلتها الشريعة الإسلامية، وأكَّدها النظام الأساسي للحكم، لذا فقد نص «النظام» في المادة الثانية منه على أنه «لا يجوز القبض على أي إنسان، أو تفتيشه، أو توقيفه، أو سجنه إلا في الأحوال المنصوص عليها نظامًا، ولا يكون التوقيف أو السجن إلا في الأماكن المخصصة لكل منهما، وللمدة المحددة من السلطة المختصة. ويحظر إيذاء المقبوض عليه جسديًا، أو معنويًا،



الحبس الاحتياطي لمنع المتهم من الهرب أو الاستمرار في نشاطه الإجرامي

د ـ عدم عزل المتهم عن وكيله أو محاميه في أثناء التحقيق، (المادة ٧٠ من «النظام»).

هـ ـ «لا يجوز للمحقق أن يضبط لدى وكيل المتهم أو محاميه الأوراق والمستندات التي سلّمها إليه المتهم لأداء المهمة التي عهد إليه بها، ولا المراسلات المتبادلة بينهما في القضية»، (المادة ٨٤ من «النظام»).

و. «يجب أن يتم الاستجواب في حال لا تأثير فيها على إرادة المتهم في إبداء أقواله، ولا يجوز تحليفه ولا استعماله وسائل الإكراه ضده. ولا يجوز استجواب المتهم

كما يُحْظَر تعريضه للتعذيب، أو المعاملة المهينة بالكرامة».

❖ فبالنسبة إلى حالات القبض التي حدَّدها «النظام» فقد أشارت المادة الثالثة والثلاثون إلى أولى تلك الحالات، والشروط اللازمة لها والسلطة المختصة بها؛ فنصت على أن «لرجل الضبط الجنائي في حال التلبس بالجريمة القبض على المتهم الحاضر الذي توجد دلائل كافية على اتّهامه؛ على أن يحرر محضرًا بذلك، وأن يبادر بإبلاغ هيئة التحقيق والادّعاء العام فورًا. وفي جميع الأحوال لا يجوز إبقاء المقبوض عليه موقوفًا لأكثر من أربع وعشرين ساعة إلا بأمر كتابي من المحقق».

ثم نصت المادة الخامسة والثلاثون على أنه «في غير حالات التلبس، لا يجوز القبض على أي إنسان أو توقيفه إلا بأمر من السلطة المختصة بذلك، ويجب معاملته بما يحفظ كرامته، ولا يجوز إيذاؤه جسديًا أو معنويًا، ويجب إخباره بأسباب إيقافه، ويكون له الحق في الاتصال بمن يرى إبلاغه»، كما نصت المادة الثالثة بعد المئة على أن «للمحقق في جميع القضايا أن يقرر ـ حسب الأحوال ـ حضور الشخص المطلوب التحقيق معه، أو يصدر أمرًا بالقبض عليه إذا كانت ظروف التحقيق تستلزم ذلك» وإذا لم يحضر المتهم ـ بعد تكليفه بالحضور رسميًا ـ من غير عذر مقبول، أو إذا خيف هروبه، أو كانت الجريمة في حالة تلبس، فيجوز للمحقق أن يصدر أمرًا بالقبض على المتهم وإحضاره أمام المحقق إذا رفض الحضور طوعًا في الحال، (المادة ١٠٧ من «النظام»)، ومنعًا من حدوث لبس في تحديد الشخص المطلوب حضوره أو القبض عليه، وتحديدًا للوقت المطلوب فيه الحضور، فيجب أن يشتمل كل أمر بالحضور أو القبض على اسم الشخص المطلوب رباعيًا، وجنسيته، ومهنته، ومحل إقامته، وتاريخ الأمر وساعة الحضور وتاريخه، واسم المحقق وتوقيعه والختم الرسمي (المادة ١٠٤ من «النظام»).

و«يجب على المحقق أن يستجوب المتهم المقبوض عليه فورًا، وإذا تعذر ذلك يودع دار التوقيف إلى حين استجوابه. ويجب ألاّ تزيد مدة إيداعه على أربع وعشرين ساعة، فإذا مضت هذه المدة وجب على مأمور دار التوقيف إبلاغ رئيس الدائرة التي يتبعها المحقق، وعلى الدائرة أن تبادر إلى استجوابه حالاً، أو تأمر بإخلاء سبيله».

و«إذا قبض على المتهم خارج نطاق الدائرة التي يجري التحقيق فيها، يُحَضَّر إلى دائرة التحقيق في الجهة التي قبض عليه فيها، والتي عليها أن تتحقق من جميع البيانات الخاصة بشخصه، وتحيطه علمًا بالواقعة المنسوبة إليه، وتدون أقواله في شأنها، وإذا اقتضت الحال نقله فَيُبَلَغ بالجهة التي سَيُنْقَلُ إليها»، (المادة ١١٠ من «النظام»).

و«إذا اعترض المتهم على نقله، أو كانت حالته الصحية لا تسمح بالنقل يبلغ المحقق بذلك، وعليه أن يصدر أمره فورًا بما يلزم»، (المادة ١١١ من «النظام»).

وفي كل الأحوال «يبلغ فورًا كل من يقبض عليه، أو يوقف بأسباب القبض عليه أو توقيفه، ويكون له حق الاتصال بمن يراه لإبلاغه، ويكون ذلك تحت رقابة رجل الضبط الجنائي»، (المادة ١١٦ من «النظام»)، وبالإضافة إلى هذا الحق الذي كفله «النظام» للمتهم، فإن مفهوم

حدّد النظام الضمانات التي تكفل حقوق أطراف الدعوة، وخصوصًا المتهمين والمحافظة على كرامتهم، وعدم تقييد تصرفاتهم وحرياتهم إلا في الحدود والأحوال التي بيَّنها "النظام" تمشيًا مع مبادئ حقوق الإنسان التي كفلتها الشريعة الإسلامية

المخالفة للمادة الثالثة والثلاثين بعد المئة من «النظام» تعني أنه لا يجوز القبض على شخص لم توجد دلائل كافية على اتهامه، أو إذا أتى بما يبرئه من التهمة.

أسباب التوقيف ومسوغاته

❖ أما بالنسبة إلى التوقيف، وهو ما يطلق عليه: (الحبس الاحتياطي)، فإن الأسباب والمسوغات، التي تدعو إلى اتخاذ مثل هذا الإجراء، والالتجاء إليه، تتمثل في مساعدة جهة التحقيق على ضبط الأدلة دون تأثير المتهم فيها، ومنع المتهم من الهرب أو الاستمرار في نشاطه الإجرامي، وإرضاء جزئي لشعور المجني عليه، والتخفيف من غضبه، ومن حزن ذويه، وحماية المتهم نفسه مما قد يقع عليه من اعتداء من ذوي المجني عليه انتقامًا منه.

ولخطورة هذا الإجراء وأهميته، فقد حدَّد «النظام» شروطًا يجب توافرها قبل إصدار الأمر به، ومدة أو مددًا للتوقيف لا يجوز تجاوزها، ومكانًا معينًا لتنفيذه، ومسوِّغات لإنهائه، أو ما يسمى بالإفراج المؤقت، وأخيرًا جهات محدَّدة تختص بإصداره أو إنهائه.

وضمانًا لعدم التعسف في استخدام هذا الإجراء الخطير، فقد اشترط «النظام» في اتخاذه أن تكون الجريمة المتهم بها كبيرة (المادة ١١٢ من «النظام»)، وألاَّ يتم إلاَّ بعد استجوابه، وأن تكون الأدلة كافية ضده (المادة ١١٣من «النظام»)، ومع ذلك فيجوز استثناءً إصدار أمر بالتوقيف دون استجواب المتهم في حالة هروبه في جريمة كبيرة إذا كانت الأدلة كافية ضده، أو كانت مصلحة التحقيق تستوجب توقيفه لمنعه من الهرب، أو من التأثير في سير التحقيق، أو إذا لم يكن له محل إقامة معروف، ولم يتمكن أن يعيِّن محلاً يقبله المحقق، (المادة ١٠٨ من «النظام»)، وفي كل الأحوال حددت المادة الثالثة عشرة بعد المئة بأن مدة التوقيف التي يجوز للمحقق أن يصدر أمرًا بها في الحالات التي تتوافر فيها شروط التوقيف لا تزيد على خمسة أيام من تاريخ القبض عليه، فإذا انتهت المدة المذكورة، ورأى المحقق تمديد مدة التوقيف، فيجب عليه أن يقوم - قبل انقضائها - بعرض الأوراق على رئيس فرع هيئة التحقيق والادعاء العام بالمنطقة ليصدر أمرًا بتمديد مدة التوقيف مدة أو مددًا متعاقبة على ألاَّ تزيد في مجموعها على أربعين يومًا من تاريخ القبض عليه، أو الإفراج عن المتهم، وفي الحالات التي تتطلب التوقيف مدة أطول يرفع الأمر إلى رئيس هيئة التحقيق والادّعاء العام ليصدر أمره بالتمديد مدة أو مددًا متعاقبة لا تزيد أي منها على ثلاثين يومًا، ولا يزيد مجموعها على ستة أشهر من تاريخ القبض على المتهم، يتعين بعدها مباشرة إحالته إلى المحكمة المختصة أوالإفراج عنه، (المادة ١١٤ من «النظام»).

وإذا أحيل إلى المحكمة المختصة يكون الإفراج عنه إذا كان موقوفًا، أو توقيفه إذا كان مفرجًا عنه من اختصاص المحكمة المحال إليها، (المادة ١٢٣ من «النظام»)، ويتم إصدار القرار اللازم بذلك من القاضي الذي ينظر القضية خلال أربع وعشرين ساعة من ورود معاملته. وتخضع مدة التوقيف القضائي للشروط والضوابط التي تضعها اللائحة التنفيذية «للنظام».

من حق المتهم إذا لم يقتنع بالحكم الصادر ضده أن يعترض عليه خلال ثلاثين يومًا من اليوم التالي لاستلام صورة الحكم. ولتأكيد هذا الحق نصت المادة الثالثة والتسعون بعد المئة على أن على المحكمة إعلام أطراف الدعوى بحقهم في الاعتراض على الحكم



لايجوز القبض على شخص من دون دلائل كافية على اتهامه

وإذا كان المحكوم عليه بعقوبة السجن قد أمضى مدة موقوفًا بسبب القضية التي صدر الحكم فيها وجب احتساب مدة التوقيف من مدة السجن المحكوم بها عند تنفيذها، (المادة ٢١٧ من النظام»).

وضمانًا لعدم الإساءة للمتهم في أثناء التوقيف حدَّدت المادة السادسة والثلاثون من «النظام» بأنه «لايجوز توقيف أي إنسان أو سجنه إلا في السجون أو دور التوقيف المخصصة لذلك، وأن يخضع لرقابة التفتيش من قبل المحقق من أعضاء هيئة التحقيق والادّعاء العام»، (المادة ٣٧ من «النظام»)، ولكل مسجون أو موقوف الحق في أن يقدم في أي وقت لمأمور السجن أو دار التوقيف شكوى كتابية أو شفهية، ويطلب منه تبليغها إلى عضو هيئة التحقيق والادّعاء العام، (المادة ٣٨ من «النظام»).

ولعدم التوسع في التوقيف، وتضييق نطاقه، فقد حدَّد «النظام» أحوالاً أوجب فيها الإفراج عن المتهم قبل الفصل في الدعوى الجزائية، وأحوالاً أخرى أجاز فيها ذلك.

فبالنسبة إلى حالات الإفراج الوجوبي؛ فإنه يتم بعد انتهاء مدة أو مدد التوقيف التي حدَّدتها المادة الرابعة

يجوز لرجل الضبط الجنائي ـ في الأحوال التي يجوز فيها القبض نظامًا على المتهم ـ أن يفتشه، ويشمل التفتيش جسده وملابسه وأمتعته. وإذا كان المتهم أنثى وجب أن يكون التفتيش من قبل أنثى يندبها رجل الضبط الجنائي



كفل النظام الضمانات التي تحافظ على حقوق المتهم

عشرة بعد المئة من «النظام»، إذا لم تتم إحالة المتهم بعدها مباشرة إلى المحكمة المختصة، كما يتم في حالة صدور قرار بحفظ الأوراق بموجب المادة الثانية والستين من «النظام»، أو بحفظ الدعوى بموجب المادة الرابعة والعشرين بعد المئة من «النظام»، وكذلك إذا صدر الحكم

لعدم التوسع في التوقيف، وتضييق نطاقه، فقد حدَّد «النظام» أحوالاً أوجب فيها الإفراج عن المتهم قبل الفصل في الدعوى الجزائية، وأحوالاً أخرى أجاز فيها ذلك

بعدم الإدانة، أو بعقوبة لا يقتضي تنفيذها السجن، أو إذا كان المتهم قد أمضى مدة العقوبة المحكوم بها في أثناء توقيفه (المادة ٢١٦ من «النظام»)، فيجب الإفراج عنه.

أما بالنسبة إلى حالات الإفراج الجوازي؛ فقد نصت المادة العشرون بعد المئة على أن «للمحقق الذي يتولى القضية، في أي وقت - سواء من تلقاء نفسه أو بناءً على طلب المتهم - أن يأمر بالإفراج عن المتهم إذا وجد أن توقيفه ليس له مبرر، وأنه لا ضرر على التحقيق من إخلاء سبيله، ولا يُخشى هروبه أو اختفاؤه، بشرط أن يتعهد المتهم بالحضور إذا طلب منه ذلك». ويشترط في جميع الأحوال عدم الإضرار بسير العدالة أو مصلحة التحقيق، وعدم احتمال هروب المتهم أو اختفاؤه، وأن يتعهد المتهم بالحضور كلما طلب منه ذلك، وأن يعيِّن

مكانًا في بلد المحكمة التي تنظر الدعوى يوافق عليه المحقق؛ لتلقي الإبلاغات اللازمة إذا لم يكن مقيمًا فيها (المادة ١٢١ من «النظام»).

ضمانات انتهاء التحقيق

- الضمانات الخاصة بانتهاء التحقيق والتصرف في الدعوى (٥):

ينتهي التحقيق عادة بالتصرف في الدعوى الجزائية بأحد وجهين:

أولهما: حفظ الدعوى، وثانيهما: إحالة الدعوى إلى المحكمة المختصة؛ ولا شك أن كلا الوجهين يمثلان ضمانات مهمة للمتهم بوجه خاص، وللعدالة بوجه عام.

فبالنسبة إلى حفظ الدعوى فقد يكون لأسباب نظامية، مثل سحب المضرور دعواه في جريمة لا تحرَّك الدعوى العامة فيها إلا بناءً على شكواه (المادة ١٨ من «النظام») أو لانقضاء الدعوى الجزائية بأحد الأسباب الواردة في المادتين (٢٢، ٢٣ من «النظام»)، كما يكون لأسباب موضوعية؛ مثل عدم كفاية الأدلة لإقامة الدعوى (المادة ١٢٤ من «النظام»)، أو لعدم صحة نسبة الواقعة إلى المتهم، أو لعدم الأهمية. وفي كل الأحوال يترتب على حفظ الدعوى لأي سبب كان أثر مهم يتمثل في الإفراج عن المتهم إذا كان موقوفًا بسبب الدعوى، وفي ذلك نفع لمصلحة كل من المتهم والعدالة.

❖ أما بالنسبة إلى إحالة الدعوى إلى المحكمة المختصة فقد اشترط «النظام» لذلك توافر الأدلة الكافية ضد المتهم قبل إصدار قرار الاتهام، ورفع الدعوى (المادة ١٢٦ من «النظام»)، وهو ما يُعدُّ من الضمانات الضرورية للمتهم وللعدالة، ويجب أن يشمل قرار الاتهام إبراز الوقائع الثابتة في القضية، والأوصاف الجرمية، وأدلتها، والنصوص الشرعية أو النظامية التي يستند إليها في طلب توقيع العقوبة بحق المتهمين، كل ذلك مما يساعد المتهم أو وكيله في وضع حقه من الدفاع موضوع التنفيذ بكل ثقة وطمأنينة ووضوح.

ضمانات المحاكمة

ثانيًا: الضمانات العامة لإجراءات المحاكمة؛ وتشمل ما يأتي:

- الضمانات الخاصة بالسلطة المختصة بالمحاكمة (٦)، وتتمثل فيما يأتي:

أ. تحديد السلطة المختصة بالمحاكمة.

ب - حياد القاضي.

ولا شك أن تحديد السلطة المختصة بالمحاكمة، واختصاصاتها، وضرورة توافر حياد القاضي، وما يترتب على ذلك من استقلالية القضاء، وتحديد الموانع التي تحول دون نظر الدعوى؛ كل ذلك يُعدُّ من الضمانات الخاصة التي تعود لمصلحة المتهم؛ لأنها توفر الظروف المناسبة لتحقيق العدالة والمساواة بين أطراف الدعوى.

- الضمانات الخاصة بإجراءات المحاكمة (٧)؛ وتتمثل فيما يأتي:

أ. علنية المحاكمة (المادة ١٥٥ من «النظام»).

ب - شفوية المرافعة (المادة ٦٢ من نظام المرافعات الشرعية).

ج - حضور الخصوم لإجراءات المحاكمة (المواد ١٣٧ - ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٥٧، ١٧٣ من «النظام»).

في غير حالات التلبس، لا يجوز القبض على أي إنسان أو توقيفه إلا بأمر من السلطة المختصة بذلك، ويجب معاملته بما يحفظ كرامته، ولا يجوز إيذاؤه جسديًا أو معنويًا، ويجب إخباره بأسباب إيقافه، ويكون له الحق في الاتصال بمن يرى إبلاغه



تحمي الدولة حقوق الإنسان وفق الشريعة الإسلامية

د ـ حدود الدعوى (المادة ٢٠ من «النظام»، و٩٧ من نظام المرافعات الشرعية).

هـ ـ مرحلة إصدار الحكم، وما تتطلبه من: مداولة (المادتان ٧، ١٢٩ من «النظام»)، والفصل في طلبات المتهم (المادة ١٨١من «النظام»)، وعلنية إصدار الحكم وتسبيبه (المادة ١٨٢ من «النظام»)،وتسليم صورته (المادة ١٨٣ من «النظام»)، وعدم جواز تكرار رفع الدعوى الجزائية ضد المتهم عن الأفعال والوقائع التي صدر الحكم بشأنها (المادة ١٨٧ من «النظام»)، وتدوين إجراءات المحاكمة (المادة ١٥٦ من «النظام»).

ولا شك أن تطبيق المبادئ المذكورة آنفًا تبعث الطمأنينة في نفس المتهم الذي يشعر بأن حقوقه لا يمكن أن تنتهك علنًا، وعلى رؤوس الأشهاد، وتؤدي إلى طمأنينة الأفراد على تنظيم العدالة الجزائية، وإلى الثقة الموضوعية بأعمال القضاء، وتوافر الظروف المناسبة لتمكين المتهم من الدفاع عن نفسه بصورة واضحة.

ضمانات صدور الأحكام وتنفيذها

ـ الضمانات الخاصة بصدور الأحكام وتنفيذها(٨)، وتتمثل فيما يأتي:

أ ـ حق الاعتراض على الأحكام عن طريق طلب التمييز، أو طلب إعادة النظر.

فبالنسبة إلى طلب التمييز فمن حق المتهم إذا لم يقتنع بالحكم الصادر ضده أن يعترض عليه خلال ثلاثين يومًا من اليوم التالي لاستلام صورة الحكم (المادة ١٩٤من «النظام»)، ولتأكيد هذا الحق نصت المادة الثالثة

والتسعون بعد المئة على أن على المحكمة إعلام أطراف الدعوى بحقهم في الاعتراض على الحكم، وعلى المحكمة أن تنظر في اللائحة الاعتراضية، فإن ظهر ما يقتضي تعديل الحكم عدّلته، وإلا رفعته إلى محكمة التمييز(المادة ١٩٧ من «النظام»)، وتفصل محكمة التمييز في موضوع الاعتراض استناداً إلى ما يوجد في الملف من أوراق (المادة ١٩٩ من «النظام»)، وإذا قبلت محكمة التمييز اعتراض المحكوم عليه شكلاً وموضوعًا، فعليها أن تحيل الحكم إلى المحكمة التي أصدرته مشفوعًا برأيها لإعادة النظر على أساس الملحوظات التي استندت إليها محكمة التمييز في قرارها، فإذا اقتنعت المحكمة بهذه الملحوظات، فعليها تعديل الحكم على أساسها، فإن لم تقتنع، وبقيت على حكمها السابق، فعليها إجابة محكمة التمييز على تلك الملحوظات، (المادة ٢٠٣من «النظام»).

و«إذا اقتنعت محكمة التمييز بإجابة المحكمة على ملحوظاتها، فعليها أن تصدق على الحكم. فإذا لم تقتنع فعليها أن تنقض الحكم المعترض عليه كله، أو بعضه - بحسب الأحوال - مع ذكر المستند، ثم تحيل الدعوى إلى غير من نظرها للحكم فيها وفقًا للوجه الشرعي. ويجوز لمحكمة التمييز - إذا كان موضوع الحكم المعترض عليه بحالته صالحًا للحكم، واستدعت ظروف الدعوى سرعة الإجراء - أن تحكم في الموضوع.

وفي جميع الأحوال التي تحكم فيها محكمة التمييز يجب أن تصدر حكمها بحضور الخصوم، ويكون حكمها نهائيًا، ما لم يكن الحكم بالقتل أو الرجم أو القطع أو القصاص فيما دون النفس، فيلزم رفعه إلى مجلس القضاء الأعلى»، (المادة ٢٠٥ من «النظام»)، ومن الأسباب التي تدعو إلى نقض الأحكام إن خالفت نصًا من الكتاب والسنة أو الإجماع، (المادة ٢٠٠ من «النظام»).

أما بالنسبة إلى طلب إعادة النظر في الأحكام، ويقصد بها الأحكام النهائية، المكتسبة للقطعية بقناعة المحكوم عليه، أو بتصديق محكمة التمييز، أو مجلس القضاء الأعلى بحسب الاختصاص (المادة ٢١٣ من «النظام») فمثل هذه الأحكام لا يجوز طلب إعادة النظر فيها إلا في الأحوال الآتية:

- إذا حكم على المتهم في جريمة قتل ثم وُجد المُدَّعَى قتله حيّاً.

- إذا صدر حكم على شخص من أجل واقعة، ثم صدر حكم على شخص آخر من أجل الواقعة ذاتها وكان بين الحكمين تناقض يُفْهَم منه عدم إدانة أحد المحكوم عليهما.

- إذا كان الحكم قد بُني على أوراق ظهر بعد الحكم تزويرها، أو بُني على شهادة ظهر بعد الحكم أنها شهادة زور.

- إذا كان الحكم بُني على حكم صادر من إحدى المحاكم ثم ألغِي هذا الحكم.

- إذا ظهر بعد الحكم بيِّنات أو وقائع لم تكن معلومة وقت المحاكمة، وكان من شأن هذه البيِّنات أو الوقائع عدم إدانة المحكوم عليه، (المادة ٢٠٦ من «النظام»).

و«يُرْفَعُ طلب إعادة النظر بصحيفة تقدم إلى المحكمة التي أصدرت الحكم، ويجب أن تشتمل صحيفة الطلب على بيان الحكم المطلوب إعادة النظر فيه وأسباب الطلب»، (المادة ٢٠٧ من «النظام»).

و«تنظر المحكمة في طلب إعادة النظر، وتفصل أولاً في قبول الطلب من حيث الشكل، فإذا قبلته حددت جلسة للنظر في الموضوع، وعليها إبلاغ أطراف الدعوى»، (المادة ٢٠٨ من «النظام»).

و«لا يترتب على قبول المحكمة طلب إعادة النظر من حيث الشكل وقف تنفيذ الحكم، إلاّ إذا كان صادرًا بعقوبة جسدية من قصاص، أو حدّ، أو تعزير وفي غير ذلك يجوز للمحكمة أن تأمر بوقف التنفيذ في قرارها بقبول طلب إعادة النظر»، (المادة ٢٠٩ من «النظام»).

للمحقق الذي يتولى القضية، في أي وقت ـ سواء من تلقاء نفسه أو بناءً على طلب المتهم ـ أن يأمر بالإفراج عن المتهم إذا وجد أن توقيفه ليس له مبرر، وأنه لا ضرر على التحقيق من إخلاء سبيله، ولا يُخشى هروبه أو اختفاؤه، بشرط أن يتعهد المتهم بالحضور إذا طلب منه ذلك

و«كل حكم صادر بعد الإدانة - بناءً على طلب إعادة النظر - يجب أن يتضمن تعويضًا معنويًا ومادياً للمحكوم عليه لما أصابه من ضرر إذا طلب ذلك»، (المادة ٢١٠ من «النظام»).

ب - إجراءات تنفيذ الأحكام:

لا يجوز تنفيذ الأحكام الجزائية إلاّ إذا أصبحت نهائية (المادة ٢١٥ من «النظام»).

و«يُفْرَجُ في الحال عن المتهم الموقوف إذا كان الحكم صادرًا بعدم الإدانة، أو بعقوبة لا يقتضي تنفيذها السجن، أو إذا كان المتهم قد قضى مدة العقوبة المحكوم بها في أثناء توقيفه»، (المادة ٢١٦ من «النظام»).

و«إذا كان المحكوم عليه بعقوبة السجن قد أمضى مدة موقوفًا بسبب القضية التي صدر الحكم فيها وجب احتساب مدة التوقيف من مدة السجن المحكوم بها عند تنفيذها.

ولكل من أصابه ضرر نتيجة اتّهامه كيدًا، أو نتيجة إطالة مدة سجنه أو توقيفه أكثر من المدة المقررة الحق في طلب التعويض»، (المادة ٢١٧ من «النظام»).

كما «يجوز للمحكمة التي أصدرت الحكم بالإدانة أن تأمر بتأجيل تنفيذ الحكم الجزائي لأسباب جوهرية توضحها في أسباب حكمها، على أن تحدد مدة التأجيل في منطوق الحكم»، (المادة ٢١٨ من «النظام»)، وهو ما يطلق عليه: إصدار الحكم مع وقف التنفيذ، كما أن هناك أسبابًا أخرى أشارت إليها المادتان الثانية والعشرون والثالثة والعشرون من «النظام» تؤدي إلى إسقاط العقوبة نهائيًا، وهي: عفو ولي الأمر فيما يدخله العفو وما تكون العقوبة فيه بضوابطها الشرعية، ووفاة المتهم وعفو المجني عليه أو وارثه.

وفيما يتعلق بتنفيذ الأحكام نصت المادة التاسعة عشرة بعد المئتين على أن «يرسل رئيس المحكمة الحكم الجزائي الواجب التنفيذ الصادر من المحكمة إلى الحاكم الإداري لاتخاذ إجراءات تنفيذه، وعلى الحاكم الإداري اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ الحكم فورًا».

ولاختلاف طبيعة الأحكام الجزائية وأنواعها التي تصدرها المحكمة؛ فإن تنفيذها يتطلب التقيد بنوع من الإجراءات لكل منها، وهو ما سيتم تفصيله في اللائحة التنفيذية لنظام الإجراءات الجزائية (المادة ٢٢٢ من «النظام»).

الهوامش والمراجع

١. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الأول من الفصل الأول من هذه المحاضرة، ص ٢٦- ٤٤.
٢. صحيح البخاري، كتاب الوكالة، باب الوكالة في قضاء الديون، حديث رقم (٢٣٠٦).
٣. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الثاني من الفصل الأول من هذه المحاضرة، ص ٤٤- ٨١.
٤. راجع تفصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الأول من هذه المحاضرة، ص ٨٤ - ١٠٢.
٥. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الرابع من الفصل الأول من هذه المحاضرة، ص ١٠٣ - ١٠٦.
٦. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذه المحاضرة، ص ١١٠- ١٢١.
٧. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذه المحاضرة، ص ١٢٣ - ١٣٩.
٨. راجع تفصيلات الضمانات المذكورة في المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذه المحاضرة، ص ١٤٠ - ١٦٠.



حقائق جديدة بشأن نقد ابن حزم لأسفار التوراة

سمير قدوري

سلا ـ المغرب

أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي من أعلام علماء الإسلام، بل الإنسانية: فهو الفقيه المجتهد، والمحدث الحافظ، والناقد والأديب الشاعر، والمؤرخ المطلع اليقظ، وهو الباحث في الملل والنحل على سبيل النقد والمعارضة، ثم هو بعد ذلك المفكر الملم بعلوم الأوائل. صنف مصنفات كثيرة، العدد منها ما استغرق المجلدات، ومنها ما ضمنه وريقات، وما وصل إلينا منها دال ـ بلاشك ـ على ذكائه، واتساع دائرة علمه، وأما قوة جدله، وإخلاصه للحق، ودفاعه عما أداه إليه اجتهاد، فحدث ولا حرج.

لم يعبأ ابن حزم يومًا بخصومه مهما تكاثرت أعدادهم، وتفرقت مواطنهم، واختلفت مذاهبهم. وفي هذا يقول شعرًا بديعًا (١):

قالوا تحفظ فإن الناس قد كثرت
أقوالهم وأقاويل العدا محنُ
فقلت: هل عيبهم لي غير أنيَ لا
أقول بالرأي إذ في رأيهم فتنُ
إني لأعجب من شأني وشأنهمُ
واحسرتا إنني بالناس ممتحنُ
وما قصدت لأمر قط أطلبه
إلا وطارت به الأضغان والسفنُ
أما لهم شغل عني فيشغلهم
أو كلهم بيَ مشغول ومرتهنُ
كأن ذكريَ تسبيح به أُمروا
فليس يغفل عني منهمُ لسنُ
إن غبت عن لحظهم هاجوا بغيظهمُ
حتى إذا ما رأوني طالعًا سكنوا
دعوا الفضول وهبوا للبيان لكي



يُدرى مـقـيم على الحـسنى ومـفـتتنُ
وحـسـبيَ الله في بدء وفي عـقـب
بذكـره تدفع الغـمّـاء والإحنُ

سيرة ابن حزم

ولد أبو محـمـد بن حـزم بمدينة قـرطبة - جـوهرة الأندلس - سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤م، وكان أبوه أحمد بن سعيد بن حزم وزيرًا للمنصور بن أبي عامر (٢) (حاجب الخليفة الأموي هشام بن الحكم)، ثم لابنه المظفر عبدالملك بن المنصور (ت٣٩٩هـ). اشتهر أحمد بن سعيد بن حزم ببراعته وحنكته في تدبير الأمور، وقضى ولده علي بن أحمد سنواته الـ ١٢ الأولى في القصر تحت عناية الجواري اللواتي علمنه القرآن والخط، وروّينه الشعر، وكانت عليه رقابة صارمة، كما وصف ذلك في كتابه طوق الحمامة. ثم بدأ يطلب العلم في المسجد الجامع بقرطبة قبل بلوغه سن الـ ١٦ من عمره خلافًا لما في تلك الرواية التي تجعل بدءه للطلب عند سن ٢٦، لكن عيشة الهناء لم تدم لابن حزم؛ إذ سرعان ما ألقت الفتنة بجرانها على





يهود أمام حائط المبكى

أهل قرطبة، بما فيهم أسرة ابن حزم بعد سقوط حكم العامرية، وظهور محمد المهدي كبديل للخليفة هشام المذكور، لكنه لم يلبث أن قتل، ورجع هشام الذي لم يستطع ضبط الأمور؛ لأن القائد واضحًا الصقلبي حجز أمواله، وأودعه بالسجن، فاضطرت عائلة ابن حزم مداراة النظام الجديد. ثم مات أحمد والد ابن حزم، فتعاقبت على أسرته المحن، فاضطر ابن حزم إلى الخروج من قرطبة في المحرم من سنة ٤٠٤هـ، ليستقر بحاضرة المرية مدة، سرعان ما انقضت بعد ما نكبه خيران العامري صاحب المرية، وسجنه عنده شهوراً ثم غرّبه. فتوجه بعد ذلك إلى حصن القصر، فأكرمه عبدالله بن هذيل التجيبي صاحب البلدة. فلما سمع ابن حزم بقيام الأمير المرتضى عبدالرحمن بن محمد سنة ٤٠٧هـ، لإحياء الدولة الأموية، ركب البحر للقائه في بلنسية، وسكن معه هو وصديقه أبو بكر محمد بن إسحاق (ت٤٥٠هـ) . ثم توجه الصديقان إلى مالقة سنة ٤٠٨ هـ، وبعد ذلك عاد ابن حزم إلى قرطبة سنة ٤٠٩هـ، في أثناء حكم القاسم بن حمود الحسني، وبقي هناك حتى سنة ٤١٤هـ، وهو وقت ظهور دعوة الأمير الأموي عبدالرحمن بن هشام - الملقب بالمستظهر - الذي وزر له ابن حزم، لكن خلافة المستظهر انقطعت بعد ٤٧ يومًا، وبويع المستكفي، فاعتقل ابن حزم وسجنه مدة، ثم أطلقه. ثم كان ابن حزم في سنة ٤١٧هـ بمنزل له بشاطبة، وهناك شرع في تأليف كتابه طوق الحمام. وفي الفترة التي بين ٤١٨ و٤١٩ هـ، عاد ابن حزم إلى قرطبة، واتخذ لنفسه مجلسًا في المسجد الجامع لتدريس الفقه على

سلط ابن حزم على متن الأسفار الخمسة نقدًا معياريًا يجلي مخالفة النصوص التوراتية لمعالم خارجية، كالعلوم الدقيقة والأخلاق والعقيدة، بعد ذلك يستنتج ابن حزم أن تلك الأسفار تشكو من عيوب كثيرة تحول دون الجزم بأنها التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى

غير مذهب الإمام مالك بن أنس، وكذلك كان دأب شيخه اللغوي أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت (ت٤٢٦هـ)، وهو فقيه ظاهري المذهب. فارتفعت الأصوات بوجوب إيقاف هذه الجسارة في الخروج عن عرف المالكيين بالأندلس، وتولى النكير عليهما، صاحب أحكام الشرطة والسوق بقرطبة، وهو أبوبكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن سعيد القيسي (ت٤٣١هـ) المعروف بابن أبي القراميد. فقام بمراسلة الخليفة الأموي هشام ابن محمد الملقب بالمعتدّ بالله (حكم بين ٤١٨ و٤٢٢هـ) وكان مقيمًا حينئذ بحصن البونت (شمال بلنسية) فأجابه يستصوب رأيه في إخراج الفقيهين الظاهريين من المسجد ونهيهما عن الفتوى، ومنع العامة من التحلق إليهما. فتمادى الرجلان على انقباضهما.

ثم توفي الشيخ أبو الخيار ابن مفلت سنة ٤٢٦هـ، فلم يلبث ابن حزم أن غادر قرطبة، ودخل المرية قبل سنة ٤٢٨هـ، ثم قصد دانية حيث اتصل بالكاتب أبي العباس أحمد بن رشيق، فنقله نحو ٤٣٤هـ إلى جزيرة ميورقة، وشرط عليه ألاّ يفتيهم إلا بمذهب مالك لا بما سواه، وظل بالجزيرة يدرس، ويؤلف، ويجادل مخالفيه إلى أن دخل أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت٤٧٤هـ) نحو ٤٣٩ - ٤٤٠هـ، فكانت له مناظرات كثيرة مع ابن حزم انتهى أمرها بخروج ابن حزم عن ميورقة بعد أن كان رأس أهلها. فقصد دانية ثم غادرها إلى المرية نحو سنة ٤٤١هـ، وألف لصاحبها معن بن صمادح التجيبي (ت ٤٤٣هـ) رسالة في مسألة الوعد والوعيد، ثم دخل ابن حزم سرقسطة وشرق الأندلس، ثم قصد إشبيلية في تاريخ أخمن أنه يقع بعد سنة ٤٤٨هـ، لكن خصومه أفسدوا ما بينه وبين المعتضد بن عباد، فأمر بإحراق كتب ابن حزم، وفرض عليه ألاّ يغادر بلدة أجداده منت ليشم من ناحية لبلة، وألاّ يفتي أحدًا بمذهب مالك أو غيره، وتوعد من يدخل إليه بالعقوبة والأدب. وهناك توفي أبو محمد بن حزم سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٩م (٣).

دراسة متن الأسفار الخمسة قادت الإمام ابن حزم إلى تحرير تاريخ موجز لتطوير دين اليهود منذ عصر القضاة وإلى زمن انقراض مملكة يهوذا على يد جيوش الملك نبوخذ نصر الفارسي، وتدمير بيت المقدس، وإجلاء اليهود إلى مدينة بابل

الفصل في الملل

وبالجملة فالرجل نسيج وحده، لذلك لا نستغرب تواتر الكلام عليه في المشرق والمغرب من المسلمين وغيرهم منذ عصره وإلى اليوم، إذ يحتل مكانة متميزة لدى المعنيين بتاريخ الأديان، فالدراسات التي كتبت عنه تكاد تُجمع على أنه من أكبر الرواد المسلمين في ميدان التاريخ النقدي للملل والنحل، وخاصة دراسته لليهودية والنصرانية. قالت حواء لزاروس يافه Hava - Lazarus Yafeh: «لا شك أن النقد الذي خص به ابن حزم متن الكتاب المقدس يعد دراسة متكاملة لا مثيل لها في الكتب الإسلامية في القرون الوسطى»(٤).

لقد أفرد ابن حزم، الديانة اليهودية بدراسة نقدية تتألف من ثلاثة محاور متمايزة، شغلت ٢٠٨ صفحات من كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل».

- المحور الأول، سلك فيه ابن حزم مسلكين في النقد:

١- مسلك النقد التاريخي والعقلاني (٥) الذي يحاكم قصص الأسفار الخمسة إلى الحقائق القطعية في علوم الجغرافية والحساب والفلك. وساق نتائج بحثه مرتبة



على (٥٧) فصلاً، منها فصول لم تتجاوز بضعة أسطر، وفصول شغلت بضع عشرة صفحة.

٢ـ مسلك الفحص الوثائقي لتاريخ تداول اليهود للتوراة منذ عصر يوشع بن نون إلى زمن عِزرا الوراق (٦).

فدراسة متن الأسفار الخمسة قادت الإمام ابن حزم إلى تحرير تاريخ موجز لتطوير دين اليهود منذ عصر القضاة وإلى زمن انقراض مملكة يهوذا على يد جيوش الملك نبوخذ نصر الفارسي، وتدمير بيت المقدس، وإجلاء اليهود إلى مدينة بابل نحو عام ٥٨٦ قبل الميلادي، وقصد ابن حزم بهذا المسلك إبطال دعوى اليهود في أن: «موسى تلقى الأسفار الخمسة من الله، كما هي الآن، وكتبها بنفسه وسلّمها لقومه، ثم تواتر نقلهم لها جيلاً بعد جيل».

فابن حزم يرى أن أمورًا كثيرة قد حالت دون اتصال نقل التوراة من لدن عزرا إلى موسى، منها:

- ارتداد بني إسرائيل سبع ردات في عصر القضاة (٧).
- ثم ارتداد جميع ملوك الأسباط العشرة (مملكة الشمال) وهم عشرون ملكًا.
- فضلاً عن ارتداد خمسة عشر ملكًا من بين عشرين ملكًا حكموا مملكة الجنوب وتسمى يهوذا (٨). ثم يشرح ابن حزم تطور اليهودية بعد أن دَوَّنَ لهم عزرا الوراق التوراة، التي بأيديهم اليوم، وكيف تأسست طقوس اليهودية الحالية بصلواتها وأدعيتها، بفضل أحبار العصر المكابي، فهم الذين أحدثوا البيع والجوامع في كل مكان، خلافًا لما كان عليه أسلافهم من عدم تجويز الصلاة والاجتماع للعبادة في غير بيت المقدس.

قال ابن حزم: «إلى أن أملها (أي التوراة) عليهم من حفظه عزرا الوراق الهاروني، وهم مقرون أنه وجدها عندهم وفيها خلل كثير فأصلحه، وهذا يكفي، وكان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس، وكتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم ويصلحها إلا بعد نحو أربعين عامًا من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عامًا التي كانوا فيها جالين، ولم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا (....)، ومن ذلك الوقت انتشرت التوراة ونسخت، وظهرت ظهورًا ضعيفًا أيضًا، ولم تزل تتداولها الأيدي مع ذلك إلى أن جعل أنطاكيوس الملك - الذي بنى أنطاكية - وثنًا للعبادة في بيت المقدس، وأخذ بنو إسرائيل بعبادته، وقربت الخنازير على مذبح البيت، ثم تولى أمرهم قوم من بني هارون بعد مئين من السنين، وانقطعت القرابين، فحينئذ انتشرت نسخ التوراة التي بأيديهم اليوم، وأحدث لهم أحبارهم صلوات لم تكن عندهم جعلوها بدلاً من القرابين، وعملوا لهم دينًا جديداً، ورتبوا لهم



يعدّ حَيُّويَه البلخي من أكبر خوارج اليهود خلال القرن التاسع الميلادي. وقد ألف كتابًا من ٢٠٠ مسألة ضد العهد القديم. تصدى للرد عليها الحبر اليهودي المعروف بسعديا الفيومي

الكنائس في كل قرية بخلاف حالهم طوال دولتهم، وبعد هلاك دولتهم بأزيد من أربعمئة عام، أحدثوا لهم اجتماعًا في كل سبت، على ما هم عليه اليوم، بخلاف ما كانوا طوال دولتهم، فإنه لم يكن لهم في شيء من بلادهم بيت عبادة، ولا مجمع ذكر وتعلم، ولا مكان قربان قربة، ألبتة، إلا ببيت المقدس فقط (٠٠٠) ففي دون هذا كفاية، لمن عقل، في أنها (أي الأسفار الخمسة) كتاب مبدل مكذوب موضوع، ودين معمول خلاف الدين الذي يقرون أن موسى أتاهم به» (٩).

ـ المحور الثاني:

يبحث فيه ابن حزم بإيجاز مسألة صحة نسبة باقي أسفار العهد القديم إلى مؤلفيها التقليديين، ويركز ابن حزم نقده في: سفر يشوع، وسفر المزامير المنسوب إلى داود، والأسفار الثلاثة المنسوبة إلى سليمان (١٠)، وسفري إشعياء، وسفر حزقيال. وقد كشف هذا المحور (١١) عن الحقائق الآتية:

أولاها: أن ابن حزم أقدم ناقد مسلم عارض صحة نسبة سفر يشوع إلى يوشع بن نون، ورجح أن هذا السفر المذكور ألف بعد أن بنى سليمان بيت المقدس بزمن غير يسير.

ثانيتها: أن ابن حزم أول من اعترض على نسبة سفر المزامير إلى النبي داود عليه السلام.

ثالثتها: أنه أول من كذب دعوى اليهود بأن سليمان هو مؤلف الأسفار الثلاثة المنسوبة إليه في كتاب العهد القديم (١٢).

رابعتها: أنه أول ناقد قال بأن بعض الأسفار المنسوبة إلى أنبياء العهد القديم قد كتبت بعد بناء الهيكل الثاني (في عصر المكابيين) خلال القرن الخامس ق ـ م (١٣).

ثم ختم ابن حزم كلامه في هذا المحور بالفقرة الآتية: «لم نكتب مما في الكتب التي يضيفونها إلى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إلا طرفًا يسيرًا دالاً على فضيحتها أيضًا وتبديلها (٠٠٠) ثم لا ندري كيف يمكنهم اتصال شيء من ذلك إلى نبي من أنبيائهم، لا سيما من لم يكن إلا في أيام كفرهم مُخافًا أو مقتولاً» (١٤).

ـ المحور الثالث:

وفيه ينتقد ابن حزم بعض الأقوال الواردة في تآليف الأحبار، كالتلمود البابلي، وكتاب شِعُر قُومًا، وكتاب سدر ناشيم وغيرها، وغرضه من ذلك هو الاستدلال على أن الأحبار ـ الذين نقل اليهود عنهم دينهم ـ كانوا مُشَبِّهة





مشركين بل كفارًا، يجب - حسب قول ابن حزم - رفع الثقة عنهم، والشك في أمانتهم في الحفاظ على نص التوراة سليمًا من التحريف والتبديل(١٥).

وقد صنف الدكتور تيودور بولسيني Théodore Pulcini (١٦) أغراض الحجج الحزمية الواردة في المحاور الثلاثة المذكورة إلى تسعة أصناف، كالآتي:

- نقد النصوص التي بها قذف في حق الأنبياء.
- نقد النصوص التي بها تجديف في حق الله.
- نقد النصوص التي بها أغلاط حسابية.
- نقد النصوص التي بها أخطاء تاريخية.
- نقد النصوص المخالفة لعلم الجغرافية.
- بيان المناقضات داخل النصوص التوراتية.
- التنبيه على الاستحالات العقلية التي في التوراة.
- نقد النصوص التي بها تشبيه للخالق بمخلوقاته.
- نقد النصوص ذات المغزى الشركي أو تنسب إلى الله البنين والبنات.

سيكون كلامنا بالأساس على مسألتين أغفل بحثهما كثير من الباحثين، وهما:

المسألة الأولى: ما هي المصادر التي أغنت النقد الحزمي؟

المسألة الثانية: ما حقيقة النسخة العربية للتوراة التي كانت بحوزة ابن حزم؟

- المبحث الأول بشأن الحجج الحزمية التي سبقه إليها غيره:

لقد سلط ابن حزم على متن الأسفار الخمسة نقدًا معياريًا يجلي مخالفة النصوص التوراتية لمعالم خارجية، كالعلوم الدقيقة والأخلاق والعقيدة، بعد ذلك يستنتج ابن حزم أن تلك الأسفار تشكو من عيوب كثيرة تحول دون الجزم بأنها التوراة التي أنزلها الله على نبيه موسى.

لقد اكتشفت بعد البحث والتنقيب أن قدرًا لا بأس به من اعتراضات ابن حزم لها ما يماثلها عند قدماء خصوم اليهودية قبل الإسلام، وهم: مرقيون Marcion، وسلسوس المشرك Celsus (١٧)، والفيلسوف فرفوريوس Porphyre (٢٣٣ - ٣٠٤م) (١٨)، ويوليان المرتد Julian I,apostat، وآخرون ظهروا بعد الإسلام، وهم: حيوية البلخي، وإسماعيل العكبري، وألعازار بن عزريا، الذي يعدّ من الخوارج على دين اليهود.

ابن حزم وخصوم اليهود

لقد سبق للدكتور يهوذا روزنتال Judah Rosenthal (١٩) أن درس بإجمال انتقادات خصوم اليهودية (قبل الإسلام وبعده) للعهد القديم، فقال: «نقف في المؤلفات الجدلية للكنيسة (النصرانية) في أول العصور الوسطى على جلّ



اعتراضات المارقين (من الدين) على أسفار العهد القديم، مشفوعة بالردّ عليها، لكن أهم تلك الاعتراضات نجدها معروضة في كتاب «الهادي إلى الصراط»Hodegos الذي ألفه أنستاسيوس سينايتا Anastasius Sinaita وكان بطريارك مدينة أنطاكية خلال نهاية القرن السابع الميلادي، حيث حكى أنه لما زار المشرق ألقت عليه جماعة من المارقين عدة مسائل معضلة (حول الكتاب المقدس). ثم سرد أنستاسيوس ما يعادل ١٥٤ مسألة عن الكتاب المقدس مع جواباته عنها». قال روزنتال: «أغلب تلك المعضلات كان بشأن أسفار العهد الجديد، أما المسائل الباقية فكانت بشأن العهد القديم». ثم عدد روزنتال سلسلتين منها، الأولى شملت ٧ أسئلة، والثانية شملت ١٨ سؤالاً. ثم أضاف أن في كتاب فوتيوس القسطنطيني Photius de co-stantinople (من القرن التاسع الميلادي) ٣٢٤ مسألة، كثير منها متعلق بالكتاب المقدس، ولكن روزنتال اقتصر على العرض الموجز لثمانٍ وثلاثين مسألة فقط.

وقد سعيت لعرضها على ما لدى ابن حزم، فكانت النتائج كالآتي:

- المسائل التي ذكرها أنستاسيوس، ونجدها عند ابن حزم: وهي خمس مسائل، أعيد طرحها في كتاب «الفصل» لابن حزم.

المسألة الأولى: الأربعمئة سنة التي قيل: إن بني إسرائيل يستعبدون فيها بمصر (تكوين ١٥: ١٣-١٦) تخالف الواقع، لأنهم لم يستعبدوا إلا ١٤٠ سنة بعد وفاة يوسف (خروج ١: ٦ـ ١١). يقارن هذا بما في الفصل لابن حزم ١/١٢٤ ـ ١٢٨ (فصل ١٣).

المسألة الثانية: إن الله حدد أعمار البشر بعد طوفان نوح في ١٢٠ عامًا (تكوين ٦:٣) ولم يلتزم ذلك (تكوين ١١: ١٢). يقارن هذا بكتاب الفصل ١/١٢١ـ ١٢٢(فصل٩).

المسألة الثالثة: وعد الرب بني إسرائيل أن يعطيهم ميراثًا

(تكوين ١٥ :١٨) ولم يرثوا إلا أقلّ من معشار الأرض الموعودة. يقارن بكتاب الفصل ١/١٢٨ـ ١٢٩(فصل ١٤).

المسألة الرابعة: بم نفسر النص الآتي: «وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ... » (تكوين ٦: ١ـ٢. ٦ :٤)؟ يقارن مع كتاب الفصل ١/١٢١(فصل ٨).

المسألة الخامسة: كيف نقبل حكاية العَرَّافة المقيمة في عين دور، التي قصدها الملك شاول متنكرًا، وطلب منها استحضار روح النبي صموئيل (سفر صموئيل ٢٨ : ٧ـ ١٤).

هذه الحكاية انتقدها ابن حزم في المحور الثالث، فقال:

«وفي بعض كتبهم مما لا يختلفون في صحته أن السحرة يحيون الموتى على الحقيقة (٠٠٠) وأن عجوزًا ساحرة أحيت لشاول الملك ـ وهو طالوت ـ شمؤال النبي بعد موته» (٢٠)، (كتاب الفصل ١/٢١٨).

ـ المسائل التي ذكرها فوتيوس، ونجدها لدى ابن حزم:

وهي أيضًا خمس مسائل ترد في كتاب الفصل لابن حزم كالآتي.

المسألة الأولى: لماذا لم يذكر موسى (في الأسفار الخمسة) شيئًا عن الآخرة؟

قال ابن حزم: «ليس في توراتهم ذكر لمعاد أصلاً، ولا لجزاء بعد الموت» كتاب الفصل (١/٢٠٧).

المسألة الثانية: ما معنى النص: «لنصنع الإنسان على صورتنا» (تكوين ١ :٢٦). راجع أيضًا الفصل ١/١١٧ـ ١١٨ (فصل ٢).

المسألة الثالثة: ما معنى: «هل الإنسان صار كواحد منا، يميز الخير والشر»؟ (تكوين ٣ :٢٢).

تقارن بكتاب الفصل ١/١٢٠ـ ١٢١(فصل ٤).

المسألة الرابعة: كيف تعدون إبراهيم صالحًا، وهو يقول لربه «كيف أعلم أني أرثها»؟ (تكوين ١٥ :٨).

قارن بكتاب الفصل ١/١٢٩ (فصل ١٥).

المسألة الخامسة: لماذا صارع الملاك يعقوب؟ (تكوين ٣٢ :٢٥). /الفصل ١/١٤١ـ١٤٢ (فصل ٢٦).

ـ تشابه حجج ابن حزم وبعض مسائل حَيُّوَيْهِ البلخي:

يعدّ حَيُّوَيْهِ البلخي من أكبر خوارج اليهود خلال القرن التاسع الميلادي ، وقد ألف كتابًا من ٢٠٠ مسألة ضد العهد القديم، تصدى للرد عليها الحبر اليهودي المعروف بسعديا الفيومي (ت ٩٤٢م)(٢١) في كتاب مفرد وصلتنا منه نقول يسيرة في كتاب تفسير سفر التكوين للربي يهوذا بن برزلي. وقد قام بعض الباحثين المعاصرين بجمع اعتراضات حيّويه البلخي، منهم بوزننسكي Poznanski، ودافيد سون Davidson. قال يهوذا روزنتال بشأنها:

«من خلال ما وصلنا من آراء البلخي استطعنا أن نعرف أنه انتقد صحة الكتاب المقدس، واعترض على

الرجل نسيج وحده، لذلك لا نستغرب تواتر الكلام عليه في المشرق والمغرب من المسلمين وغيرهم منذ عصره وإلى اليوم، إذ يحتل مكانة متميزة لدى المعنيين بتاريخ الأديان، فالدراسات التي كتبت عنه تكاد تُجمع على أنه من أكبر الرواد المسلمين في ميدان التاريخ النقدي للملل والنحل

اكتشفت بعد البحث والتنقيب أن قدرًا لا بأس به من اعتراضات ابن حزم لها ما يماثلها عند قدماء خصوم اليهودية قبل الإسلام، وهم: مرقيون وسلسوس المشرك والفيلسوف فرفوريوس، ويوليان المرتد وآخرون ظهروا بعد الإسلام، منهم: حيوية البلخي، وإسماعيل العكبري





نسخة تاريخية من التوراة

شـرائعـه، وعلى مـا وصف به الله فيـه، واسـتـخـرج بعض التناقض الموجود في قصصه».

لقد استطاع روزنتال أن يحصي ٦٥ مسألة من مسائل البلخي المذكورة، فاكتشفت أن خمساً منها وردت في كتاب الفصل لابن حزم.

المسألة الأولى: نجد في التوراة أن ذات الله ممثلة في ثلاثة أشخاص (٢٢).

تقارن بما في كتاب الفصل ١/ ١٣٠- ١٣١ (فصل ١٦).

المسألة الثانية: في التوراة يوصف الرب بأكل الطعام. يقارن بما في الفصل لابن حزم ١/ ١٣٠ (فصل ١٦).

المسألة الثالثة: الرب بارك يعقوب، لكنه جعل ذرية عيسو أحسن حالاً من بني إسرائيل.

يقارن بما في كتاب الفصل ١/ ١٣٧- ١٣٩ (فصل ٢٤).

المسألة الرابعة: في العهد القديم يوصف الرب بأنه يصعد وينزل (الخروج ٣٣:١-٥؛١٤). يقارن بما في كتاب الفصل ١/ ١٦٤ (فصل ٤٨).

المسألة الخامسة: لا ذكر في كتب العهد القديم للجزاء ولا للحساب في اليوم الآخر.

وهي تشبه المسألة الأولى من مسائل فوتيوس المذكورة سابقًا.

مناظرة

- تأثر ابن حزم بالمناظرة التي جرت بين نصراني قبطي ويهودي في مجلس ابن طولون:

ذكر المسعودي في كتابه: مروج الذهب ومعادن الجوهر أن أحمد بن طولون (القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) أراد أن يعرف حقيقة أهرام بلاد مصر فدلّوه على شيخ من علماء النصارى الأقباط، فأشخصه لديه، وسأله عما شاء، وفي بعض تلك المجالس أراد طبيب يهودي أن يسخر من الشيخ القبطي، فقال له القبطي:

- وما أنت أيها الرجل؟ وما نحلتك؟

- فقال له: (أنا) يهودي.

- فقال له: مجوسي إذًا؟

- قال له: كيف ذلك وهو يهودي؟

- قال: لأنهم يرون نكاح البنات في بعض الحالات.

(....) ثم أقبل القبطي على ابن طولون، فقال: أيها

يبحث ابن حزم مسألة صحة نسبة باقي أسفار العهد القديم إلى مؤلفيها التقليديين، ويركز نقده في: سفر يشوع، وسفر المزامير المنسوب إلى داود، والأسفار الثلاثة المنسوبة إلى سليمان، وسفري إشعياء، وسفر حزقيال

الأمير هؤلاء يزعمون - وأشار إلى اليهودي - أن الله خلق آدم على صورته، وعن نبي من أنبيائهم - سماه (دانيال) - قال في كتابه: إنه رأى قديم الزمان أبيض الرأس واللحية، وأن الله تعالى قال: إني أنا النار المحرقة، والحمى الآخذة، وأنا الذي آخذ الأبناء بذنوب الآباء، ثم في توراتهم أن بنات لوط سقينه الخمر حتى سكر وزنى بهن، وحملن منه، وولدن، وأن موسى ردّ على الله الرسالة مرتين حتى اشتد غضب الله عليه، وأن هارون صنع العجل الذي عبده بنو إسرائيل، وأن موسى أظهر معجزات لفرعون، وفعلت السحرة مثلها، ثم ما قالوا في ذبائح الحيوان، والتقرب إلى الله بدمها ولحومها، وتحكمهم على العقل ومنعهم من النظر بغير برهان، وهو قولهم: إن شريعتهم لا تنسخ، ولا يقبل قول أحد من الأنبياء

ينتقد ابن حزم بعض الأقوال الواردة في تآليف الأحبار، كالتلمود البابلي، وكتاب شِعُر قُومَا، وكتاب سدر ناشيم وغيرها، وغرضه من ذلك هو الاستدلال على أن الأحبار - الذين نقل اليهود عنهم دينهم - كانوا مُشَبِّهة مشركين بل كفارًا، يجب رفع الثقة عنهم

بعد موسى، إذا انحرف عما جاء به موسى، ولا فرق في قضية العقل بين موسى وغيره من الأنبياء إذا أتى ببرهان، وبان بحجة. ثم الأكبر من كفرهم قولهم في يوم عيد الكفور، وهو يوم الاستغفار، وذاك لعشر تخلو من تشرين الأول: إن الرب الصغير، ويسمونه ميططرون يقوم في هذا اليوم قائمًا، وينتف شعور رأسه، ويقول: «ويلي إذ أخربت بيتي، وأيتمت بني [وبناتي] ، قامتي منكسة لا أرفعها، حتى أبني بيتي». قال المسعودي: «وذكر عن اليهود أقاصيص وتخاليط كثيرة، ومناقضات واسعة» (٢٣). وقد وردت حجج القبطي متفرقة في كتاب الفصل لابن حزم كما يأتي:

- الفصل ١/١١٧ - ١١٨ (فصل٢).
- الفصل ١/١٣٣ - ١٣٥ (فصل ٢٠).
- الفصل ١/ ١٥٤ - ١٥٦ (فصل ٣٩).
- الفصل ١/١٥٩ - ١٦٠ (فصل ٤٣).
- الفصل ١/١٦١ - ١٦٣ (فصل ٤٦).
- الفصل ١/٢٠٩.
- الفصل ١/٢٢٣.

هذا كله يشهد جليًا على إلمام ابن حزم باعتراضات من سبقه وانتقائه بعضها ليدرجه في كتابه.

لا شك أن وصول تلك الحجج إلى ابن حزم كان من خلال كتب المقالات والملل والنحل، وردود كل طائفة على الطوائف المخالفة لها في الملة أو النحلة. لكننا لا نشك في أن لابن حزم أيضًا انتقادات وحججًا لم يسبق إليها، نجد عليها طابعه الذي عرف به في النقد والجدل، أعني قدرته على كشف المناقضات، وصك وجوه الخصوم بالمعضلات، وفحص الروايات التاريخية بعرضها على المعارف العلمية، واستخراج أغلاطها لإثبات أن مؤلفيها ما كانوا معصومين من الزلل، فهم بذلك ليسوا أنبياء.

- المبحث الثاني بشأن نسخة التوراة التي كانت بحوزة ابن حزم:

دعوى كاميلا

في هذه الفقرة سنبرهن على غلط دعوى الدكتورة كاميلا أدانغ Camilla Adang، التي قالت بأنه: «لم تكن لدى ابن حزم سوى نسخة ناقصة أو مختصرة من الأسفار الخمسة». وتقوية لدعواها سعت الدكتورة كاميلا إلى تقدير عدد كلمات التوراة (المترجمة للعربية) التي وصفها ابن حزم في كتابه الفصل، فخلصت إلى أن: «مجموع كلمات تلك النسخة يقارب ٥٠٦٠٠ كلمة»، ثم أضافت قائلة: «في حين أن عدد كلمات التوراة العبرانية يبلغ ٩٧٠٨٥٦» (٢٤).

والحق أن كلا العددين يخالف الواقع، من وجوه:

الوجه الأول:

أن ابن حزم وصف نسخته من التوراة فقال: «فما ظنكم بمثل هذا العدد من الكذب والمناقضة في مقدار توراتهم، وإنما هي مئة ورقة وعشر أوراق في كل صفحة منها من ثلاثة وعشرين سطرًا إلى نحو ذلك بخط هو إلى الانفساح أقرب، يكون في السطر بضع عشرة كلمة» (٢٥).

فالدكتورة كاميلا لم تحسن ترجمة قوله: «بضع عشرة كلمة» إذ اعتبرت في حسابها أن عدد الكلمات في السطر هو عشر، في حين أن الصواب هو: أن عددها بين ١٣ و١٩.

الوجه الثاني:

أنني حسبت مجموع عدد الكلمات في توراة عبرانية، ثم في أخرى عربية، فحصلت على نتائج متقاربة، ثم بالاختبار اكتشفت أن نسخة ابن حزم كانت تشتمل على نحو ١٧ كلمة في السطر.

إذًا فقول كاميلا بأن «عدد كلمات التوراة العبرانية

المراجع والهوامش

١. راجع كتاب إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣.
٢. مدة ولايته بين سنتي ٣٦٦ و٣٩١هـ.
٣. للمزيد من المعلومات عن ابن حزم راجع، ثلاث مقالات لسمير القدوري، وهي:
- «الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية»، مجلة الأحمدية، دبي، العدد ١٣ المحرم ١٤٢٤هـ/ مارس ٢٠٠٣م، ص ٢٧١ ـ ٣٤٦.
- «كتاب التنبيه على شذوذ ابن حزم تأليف القاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الجياني (ت ٤٨٦هـ/١٠٩٣م)» مجلة الذخائر، لبنان، العددان ١٥، ١٦ السنة ٤ صيف ـ خريف ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ٩٥ ـ ١٠٨.
- «مخطوطة أندلسية فريدة في الرد على ابن حزم الظاهري» مجلة الذخائر، العدد ٥، شتاء ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٣٩ ـ ٢٥٦.

4- Hava Lazarus -Yafeh: Intertwined Worlds, Medival Islam and Bible Criticism, P, 135.

٥. الفصل لابن حزم ١/١١٦ ـ ١٨٦.
٦. الفصل ١/١٨٧ ـ ٢٠٣.
٧. قال ابن حزم: «فاعلموا الآن أنه كان، مذ دخلوا الأرض المقدسة ـ إثر موت موسى ـ إلى ولاية أول ملك لهم وهو شاول، سبع ردات، فارقوا فيها الإيمان، وأعلنوا بعبادة الأصنام (...) فتأملوا أي كتاب يبقى مع تمادي الكفر، ورفض الإيمان هذه المدد الطوال؟ «الفصل ١/١٨٩ ـ ١٩٠».
٨. قال ابن حزم: «فقد صح يقينا أن جميع أسباط بني إسرائيل ـ حاشا سبط يهوذا وبنيامين: ومن كان بينهم من بني هارون ـ بعد سليمان عليه السلام (....) لم يظهر فيهم قط إيمان ولا يومًا واحدًا فما فوقه، وإنما كانوا عباد أوثان، ولم يكن قط فيهم نبي إلاّ مخاف، ولا كان للتوراة عندهم ذكر ولا رسم ولا أثر ولا كان عندهم شيء من شرائعها أصلاً. مضى على ذلك جميع عامتهم وجميع ملوكهم، وهو عشرون ملكًا، ... وظهر يقينا أن بني يهوذا وبني بنيامين كانت مدة ملكهم بعد موت سليمان عليه السلام أربعمئة سنة ... ملك هذين السبطين في هذه المدة عشرون ملكًا ... كانوا كفارًا معلنين بعبادة الأوثان، حاشا خمسة منهم فقط كانوا مؤمنين ... فأي كتاب أو أي دين يبقى مع هذا؟» راجع كتاب الفصل ١/١٩٥ ـ ١٩٦.
٩. كتاب الفصل ١/١٩٧ ـ ١٩٨.
١٠. قال ابن حزم: «وأما الكتب التي يضيفونها إلى سليمان عليه السلام، فهي ثلاثة، واحدها يسمى شار هشريم، ومعناه شعر الأشعار (...)، والثاني يسمى مشلا، ومعناه الأمثال (...)، والثالث يسمى قوهلث، ومعناه الجوامع». الفصل ١/٢٠٧ ـ ٢٠٨.
١١. الفصل ١/٢٠٤ـ ٢٠٩.

لانشك في أن لابن حزم أيضًا انتقادات وحججًا لم يسبق إليها، نجد عليها طابعه الذي عرف به في النقد والجدل، أعني قدرته على كشف المناقضات، وصك وجوه الخصوم بالمعضلات

يعادل ٩٧٠٨٥٦ كلمة»، قول غير صحيح، وغالب الظن أن ذلك عدد حروف التوراة. فمما سبق يظهر جليًا أن الإمام ابن حزم (خلافًا لما ظنت كاميلا) قد وقف على نسخة عربية كاملة للأسفار الخمسة.

لكن المسألة الأساسية هي: على أي ترجمة عربية للتوراة اعتمد ابن حزم؟

أهم من بحث هذه المسألة بتفصيل هو أرنست ألجرميشن Algermissen في موضوع رسالته للدكتوراه (باللغة الألمانية) تم طبعها عام ١٩٣٣م، وخلاصة ما توصل إليه: «أن الترجمة العربية للتوراة التي استعملها ابن حزم لها مصدر يهودي، وأنها معمولة استنادًا إلى ترجوم فلسطيني عتيق» (٢٦).

على كل حال فقضية نقد ابن حزم لليهودية، وأسفارها المقدسة، ما زالت مفتوحة، ولنا فيها بحوث أكثر تفصيلا وتدقيقًا، سترى النور، إن شاء الله، في الوقت المناسب.

ولم أشأ التدليل هنا على تأثير ابن حزم على من بعده، فهو يحتاج إلى مبحث خاص. وحسبنا أن نكون قد زودنا الساحة العلمية بقضايا جديدة تقذف دماء جديدة في عروق ما يكتب عن هذا الموضوع.

١٢. وأسماؤها في الترجمة العربية الحديثة للكتاب المقدس على التوالي: سفر الأمثال، وسفر الجامعة، ونشيد الأنشاد.

١٣. قال ابن حزم: «فصح بلا شك أنها [كتب] من توليد من عمل لهم الصلوات التي هم عليه، والشرائع التي يقرون أنها من عمل أحبارهم في دولتهم الثانية». الفصل ١/٢٠٩.

١٤. الفصل ١/٢٠٩.

١٥. الفصل ١/٢١٧، ٢٢٤.

16- Pulcini, T., Exegesis as Polemical Discourse, Ibn Hazm on Jewish and Christian Scriptures 57 -95.

١٧. قال زالمان شازار: «عرفنا من أقوال أوريجن (Origen) النصراني في أثناء ردّه على سلسوس المشرك، أن سلسوس وجد عدة تناقضات في سفر التكوين، وأنه يرى من المستبعد أن يكون هذا السفر كله من وضع مؤلف واحد». راجع كتاب: تاريخ نقد العهد القديم تأليف زالمان شازار، ص ٨٥.

١٨. له كتاب في الرد على النصارى، (Adversus Christianos).

19- Rosenthal, J., "Hiwi al-Balkhi, a Compartive Study", Jewish Quartly Review, XXXIX, (1947- 1948), 317- 32, XXXVIII (1948), 419- 94, XXXIX (1949), 79 -94.

٢٠. لعل ابن حزم تنبه لإشكال هذا النص من خلال قراءته لكتاب فردوس الحكمة لعلي ابن ربن الطبري، فمما جاء فيه ص ٧٢، قوله: «وفي كتب الأنبياء وأهل الأديان أشياء عجيبة، لا تعرف عللها، مثل: المرأة الساحرة التي جاءت إلى قبر شمويل النبي فأخرجته من القبر حيًا حتى تنبأ وعاد إلى قبره». رجعت إلى طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ/٢٠٠٢م.

٢١. قال ابن النديم في الفهرست في الفن الثاني من المقالة الأولى، ص ٤٠- ٤١ «ومن أفاضل اليهود وعلمائهم المتمكنين من اللغة العبرانية، وتزعم اليهود أنها لم تر مثله، الفيومي، واسمه سعيد، ويقال سعديا، وكان قريب العهد، وقد أدركه جماعة في زماننا. وله من الكتب: وكتاب المبادئ، وكتاب الشرائع، وكتاب تفسير (يعني ترجمة) أشعيا، وكتاب تفسير التوراة نسقا بلا شرح، وكتاب الأمثال، وهو عشر مقالات، وكتاب تفسير أحكام داود، وكتاب تفسير النكت وهو تفسير زبور داود عليه السلام، وكتاب تفسير السفر الثالث من النصف الآخر من التوراة مشروح، وكتاب تفسير أيوب، وكتاب إقامة الصلوات والشرائع، كتاب الدبور وهو التاريخ».

٢٢. يقصد قصة ضيف إبراهيم حسب رواية سفر التكوين ١٨: ١-٥.

٢٣. مروج الذهب ١/٢٩٢-٣٩٤.

24- C. Adang "Islam Frente a Judaismo" P,91.

٢٥. الفصل ١/١٨٧.

٢٦- راجع: Camilla Adang, Islam Frente a Judaismo, La Polémica de Ibn Hazm de Cordoba,P,90.



السمع وأهميته في التواصل الإنساني

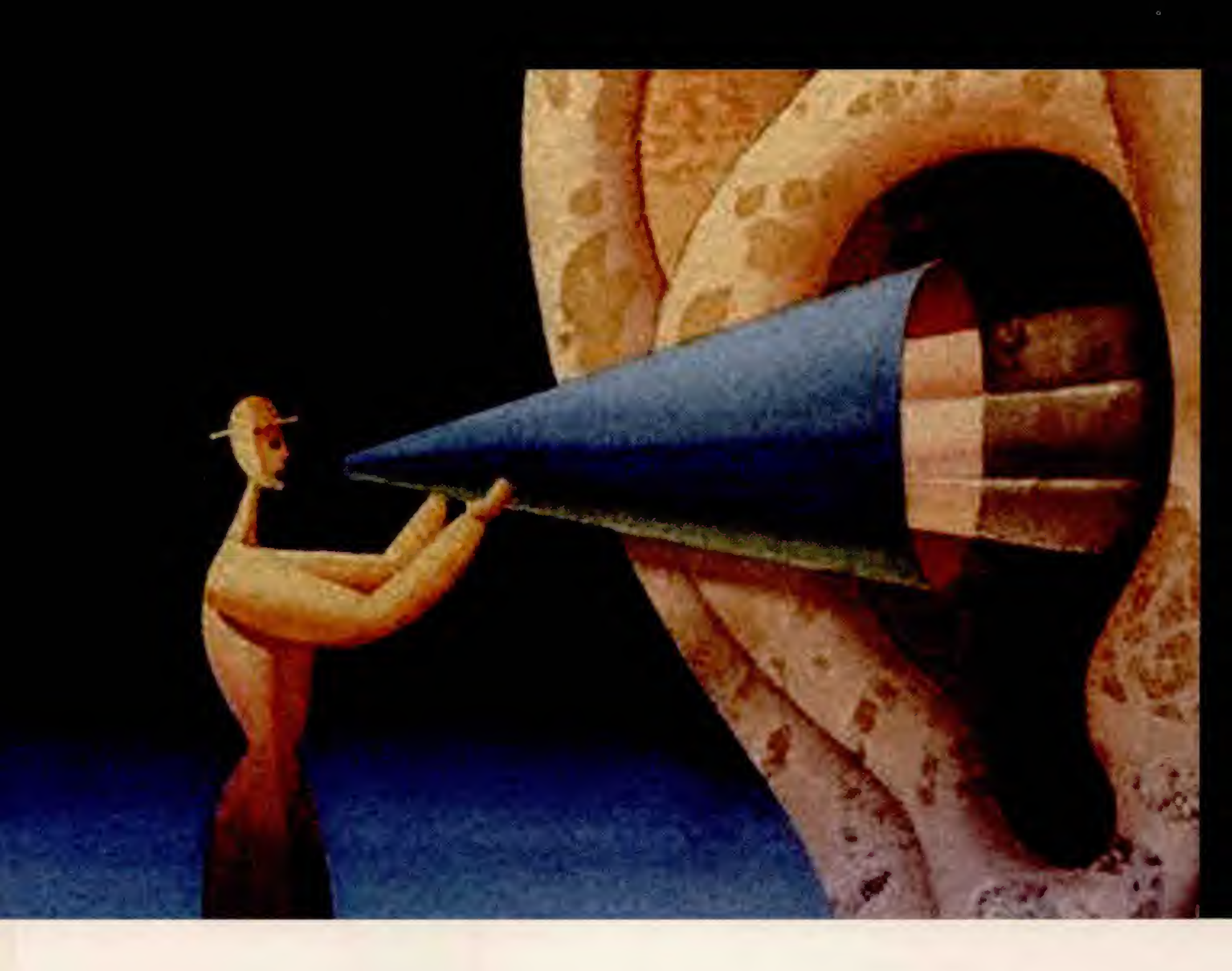
لطيفة الوارتي

وجدة ــ المغرب

في حياة الإنسان أصوات متعددة مطلقة أو مقيدة أدركها بأذنه مستفيدًا من جهازه السمعي، ومميزة إياها، فحفيف الشجر غير خرير الماء، وزئير الأسد غير نباح الكلب ... وهي جميعًا غير صوت الإنسان: كان كلاما مفهومًا أو أنينًا، أو صراخًا أو نداء ...

ولا شك أن الإنسان هدي واهتدى إلى التمييز بين دلالات هذه الأصوات بما عقده من نسبة بينها وبين غيرها أو ما يدل عليها مركزًا في الاستفادة من جهازه السمعي في الرمز إلى الأشياء، سواء كان ذلك بإلهام أو بمحاولة المحاكاة (١).

وقد عبر عن مفهوم الحركة بأصوات أخرى جعلها دالة على مدلول معين، وعلى كل فالإنسان رمز بالأصوات إلى الأشياء أولاً، ثم إلى المعاني (٢). وبهذا أصبحت اللغة وسيلة تواصل إنساني منحصر بالمحيط الذي ارتضى أفراده بطريقة غير مقصودة أو غير معجمية أصواتًا محددة للتعبير عن الذوات والصفات التي كان لها مفهومها المستقر في ذهن كل فرد من أفراد المجتمع الصغير، الذي كان أول الأمر يمثل جزءًا من لغة غير تواصلية. وهكذا صارت اللغة أصواتًا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، كما قال ابن جني (٣). وصارت الأصوات اللغوية وسيلة تواصل ميسرة بين أفراد المجتمع الواحد. معتمدين على الأذن بوصفها حاسة السمع، والتقاط الأصوات لغوية كانت أو حركية .. وقد اهتم اللغويون



كثيرًا بالجهاز السمعي، وبيّنوا أهميته وقوته في الوجود الإنساني، فدي سوسور - مثلاً - عنى بالانطباع السمعي في تميز التقسيمات الفرعية للحركات، ومعرفة نقاط البداية والنهاية لأي صوت منطوق، وبهذا ربط بين النطق والسمع بمعنى الأثر المتبادل للوحدات السمعية، والوحدات المنطوقة. وألفريد توماتيس قام بتجارب دراسة نمو أعضاء الجنين مركزًا في الفم والأذن، فأكد أهمية الأذن بوصفها مركز تقبل الأصوات حيث بها يستيقظ الإنسان على وجود ذاته (٤) كما أكد أن استعمال الحنجرة في الكلام يكون مشروطًا باستماع الأذن له، لأن المرء لا يتمكن دونها من اكتساب اللغة أو استعمالها (٥). وقد ركزت في هذا المقال في أهمية الأذن وقوتها في التقاط الأصوات؛ لأن الفرد من بني البشر بواسطتها يتمكن من المحافظة على توازنه وتفاعله مع ذاته ثم مع العالم الخارجي أولاً، وقدرة هذا المخلوق البشري على التواصل مع غيره ثانيًا.

وفي محور لاحق تحدثت عن الصوت واللغة أي علاقة؟ بينت أن اللغة أصوات مركبة، لها دلالات معينة،

يعيها السامع بأذنه، ويجسدها في دماغه، فيفهم معانيها؛ وذلك راجع إلى أهمية العضو الصغير في الجسد، الذي يعمل ضمن آلة كبرى هي الإنسان، وهو بعمله هذا يشمل الذاتي واللغوي والجسدي. ونستطيع بذلك أن نؤكد أن الإنسان يتواصل مع غيره بواسطة الذات والجسد معًا، فعندما أتكلم أو أبث رسالة لغوية، أكون أنا أول من اطلع على مضمونها بواسطة أذني، ثم باستخدام جسدي كله؛ «لأن بجسدنا يبدأ عالمنا، وهو الذي علينا بادئ الأمر أن نطمئنه وأن نقنعه بصحة خطابنا (رسالتنا). وجسدنا يستجيب لهذه اللعبة؛ لأن الكلمة تلعب به، وكأنه آلة تردد الصوت بائتلافات لا حصر لها، وبتنوع لا نهاية له. فإذا كان الفم يبين مدى ارتباط اللغة بالتجربة الجسدية فإن الأذن لا تقل أهمية عن الفم، إذ تقو م بالمهمة الرئيسة، وهي تلقف تلك الأصوات.

وعن طريق هذا الجهاز استطاع العربي أن ينقل تراثه، ويحفظه في ذاكرته، ويسلمه للعلماء والمفكرين؛ لتدوينه وحفظه، وجعله ذخيرة تضاهي به الأمة العربية غيرها من الأمم في الفكر والمعرفة والعلوم، ويطلع سلفها على جزئيات مواطنها وأيامها وحسبها ونسبها وتشريعاتها القانونية؛ الوضعية والإلهية.

الأذن مركز التوازن الإنساني

إن للسمع أهمية عظمى في توازن الإنسان الداخلي من جهة وفي توازنه مع العالم الخارجي، وتعرفه إليه، وتفاعله معه من جهة ثانية. فعن طريق الأذن، يحصل كل متكلم نظامه الصوتي، ويثبته، إذ لا يكون للأصوات السمعية عند السامع قيمة إلاّ إذا حولها إلى صور متحركة ومجسدة في خياله؛ ذلك أن إنتاج الأصوات اللغوية واستقبالها مهمة في استمرار الحياة الإنسانية، وتفاعل البشر بعضهم مع بعض، داخل مجتمع واحد أو مجتمعات متعددة؛ لأن شرط وجود لغة يتوقف على وجود مرسلين ومستقبلين. وأن ينطق الكلام لكي يسمع، مما يؤكد أن الإنسان يحصل نظامه الصوتي، ويثبته عن طريق الأذن.

ومما لا شك فيه أن الإنسان يسمع بأذنيه، والأذن هي آلة السمع الوحيدة لدى الإنسان والحيوان معًا، إذ تؤكد كل الدراسات أن الأذن هي عضو تلقف الأصوات، فلا يمكن إنتاج صوت لا تسمعه الأذن (٦). لذلك فإن الوظيفة الأساسية للجهاز السمعي، وميكانيكية عمله هي استقبال الذبذبات الصوتية، وتموجات الصوت لحظة استقبالها في أذن السامع، وتحوله إلى رسائل مرمزة L'encodage Des Message عبر الجهاز العصبي، ومنه إلى الدماغ Decodag-es Des Messages الذي يعمل على حل هذه الرموز، سواء كانت كلامًا أو صوتًا أو فعلاً مباشرًا (٧).

والأصوات، مثلها مثل لغة الجسد، تعبر عن كل الوسائل المقصودة وغير المقصودة، فإذا كانت الرسالة مقصودة فإن الصوت يعبر عن انطباعات كثيرة، يقول علماء الاجتماع: إن تلقف الأذن للأصوات يجعلنا نتعلم؛ وذلك ناتج عن تنشئتنا الاجتماعية؛ لذلك فإنهم يشخصون أولوية الأذن، فأنا أشارك بواسطة الأذن، وأكون بداخل ذلك الأمر أو تلك الصورة أو ذلك الفعل. أما علماء النفس فيرون أن العمى أهون من الصمم؛ لأن

اللغة أصوات مركبة، لها دلالات معينة، يعيها السامع بأذنه، ويجسدها في دماغه، فيفهم معانيها؛ وذلك راجع إلى أهمية العضو الصغير في الجسد، الذي يعمل ضمن آلة كبرى هي الإنسان



الأذن هي الحاسة الأساسية بحضور الموجودات والأشياء

الأذن هي الحاسة الأساسية لحضور الموجودات والأشياء، فالعين تتموضع فوق أو في الواجهة، أما الأذن فتتموضع بداخل الشيء، وتغطس فيه. وقد أكد ماك لوهمان أن العين ترى بالأذن، أي بطريقة إجمالية وتشاركية عوضًا عن الرؤية بطريقة حادة ومهيمنة، إذ

إنتاج الأصوات اللغوية واستقبالها مهمة في استمرار الحياة الإنسانية، وتفاعل البشر بعضهم مع بعض. داخل مجتمع واحد أو مجتمعات متعددة؛ لأن شرط وجود لغة يتوقف على وجود مرسلين ومستقبلين



العين تكتسب شكل تلقي الأصوات ويقربها من شكل تلقي الأذن



تحول الرؤية حسب الميزات الخاصة لحاسة السمع إذ إن الانغماس والإجمالية والاستقبالية والصدمة والحواسية تؤدي بالأحرى إلى الممارسة الداخلية للحلم بقوة، وليس إلى الأفكار الواضحة (٨).

وعلى كل حال فإن العين تكتسب شكل تلقي الأصوات ويقربها من شكل تلقي الأذن، وبهذا المعنى تهيمن الأذن حيث يتم الإحساس بالأشياء، انطلاقًا من الشكل الذي تتلقى به الأذن؛ أي: الحساسية أمام الاهتزازات والبيئة.

الصوت واللغة أي علاقة؟

على الرغم من تبيان وظيفة كل من المتكلم والمستمع؛ فإن السمع والتلفظ يرتبطان بعضهما ببعض من خلال تعاملهما مع الإشارة الصوتية الواحدة. فيتوافق في الدماغ

النطق بالأصوات المختلفة، والانطباع السمعي الذي تلتقطه الأذنان نتيجة هذا النطق، ويسمى ذلك التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادل Correlation Phone-tique مع العلم أنه يبقى للتلفظ الأهمية الأساسية في مجال الإرسال والاستماع بالمقابل الأهمية الأساسية في مجال الالتقاط على النحو ذاته يسمى بالارتباط الدلالي المتبادل Correlation Semantique.

فالعمل الذي يقوم به المستمع إلى الأصوات من حوله ليس سهلا؛ لأنه يستمع في الواقع إلى أصوات لغوية متتالية، تصل إلى وجدانه معاني وأفكارًا ومعلومات، يراد منه فهمها واستيعابها. فتنبني وظيفته على ضرورة الإصغاء إلى الأصوات الموجهة إليه، ثم تحليل العناصر الصوتية بالتوافق مع المهارات الفونولوجية، التي اكتسبها خلال لغته، فيتقبل الصوت من حيث تأليفه لجمل صحيحة بالقياس إلى معرفته الضمنية لقواعد لغته، ثم إعطاؤه التفسير الدلالي الملائم؛ ذلك أن تفهم الأصوات في الحقيقة يتخطى المحتوى اللغوي للتعابير نفسها، وأخيرًا يتأكد المستمع من ملاءمة دلالات الأصوات لمعرفته العامة بالعالم المحيط به (٩).

وهكذا فإن اللغات الصوتية المسموعة تقيم مع باقي اللغات الأخرى علاقات نسقية متعددة، ومعقدة، ولا أهمية لإقامة تعارض ما بين الخطاب اللغوي والصوتي، بوصفهما قطبين كبيرين يحظى كل منهما بالتجانس والتماسك في غياب أي رابط بينهما؛ لأن العالم الصوتي واللغة ليس غريبًا أحدهما عن الآخر، وعلى الرغم من أن تقاطعهما السنني Coodique لم يدرس بدقة كبيرة، فإن ذلك لا ينفي أن من وظائف اللغة الأساسية تسمية الوحدات التي تقطعها اللغة، كما أن من وظائف السمع منح التشكلات الدلالية للغة، واستلهام هذه التشكلات منها أيضًا.

بيّن علماء العربية أهمية الأذنين وتأثيرهما في إنتاج صوت، ومده وخفضه وخشونته وجهاته في أثناء قراءتهم المتعددة والمختلفة للقرآن العظيم. فقد كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم في أثناء التلاوة

إن التفكير في الصوت هو في غالب الأحيان إنتاج لا للأصوات، بل للغة (الكلمات)، ومن هذا المنظور، فإن اللغة تعد بمنزلة واصفة Metalangue بالنسبة إلى اللغات المختلفة، حتى غير اللسانية منها، من حيث كون هذه اللغات (موضوعًا)، ونستطيع أن نؤكد أن الصوت موجود؛ لأننا نسمعه.

إن إسناد الوظيفة التواصلية لصوت ما يعني أساسًا أن هذا الصوت قد أنتج بغرض تبليغ رسالة ما. ولأهمية السمع قدمه الله عز وجل على غيره من الحواس قال جل وعلا: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ الإسراء: ٣٦. وقد أثبتت

الإنسان يتواصل مع غيره بالذات والجسد معاً

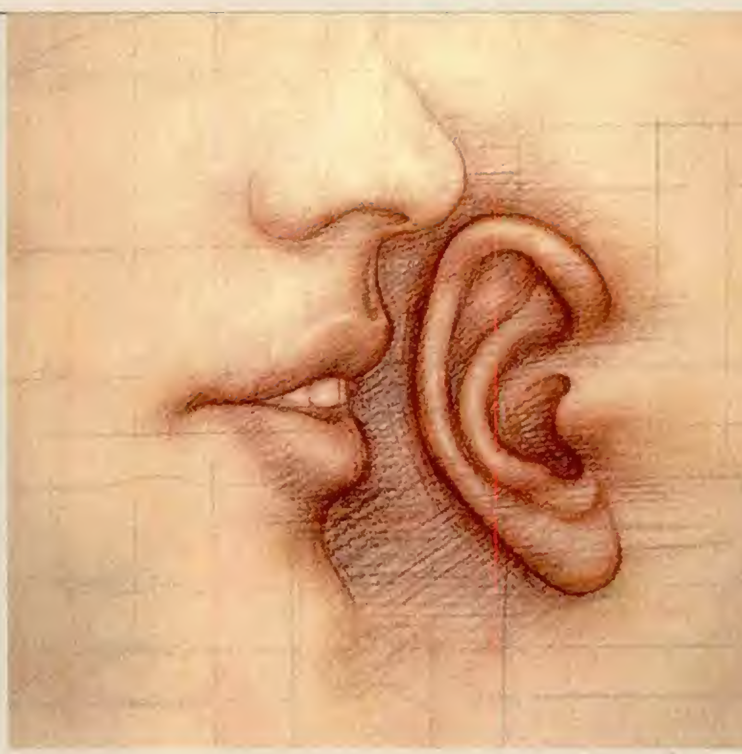




للسمع أهمية عظمى في توازن الإنسان الداخلي وفي توازنه مع العالم الخارجي

التجارب العلمية الحديثة المستندة إلى علم التشريح، وإلى دراسة تطور نمو الجنين في الرحم(١٠) أن الفم - وهو عضو الكلام - والأذن - وهي عضو التلقي - يتكونان في مجموعة واحدة، ويبقيان كذلك حتى فترة متأخرة من عمر الجنين ونموه؛ مما يشير إلى التناسق والتناغم والتكامل في عمليتي إنتاج الصوت والتقاطه، بل ويشير إلى ضرورة التقاط الأذن للصوت من أجل إنتاجه، فقد قال ابن خلدون مؤكداً أهمية السمع: «إن السمع أبو الملكات اللسانية» (١١).

فالأذن إذن هي آلة السمع الطبيعية التي وهبها الله عز وجل للإنسان، وتتميز هذه الأذن بقدرتها على سماع النغمات العالية، واستمتاع الإنسان بمختلف الأصوات، غير أن هذه الفكرة لا تعطينا الانطباع المطلق عن امتلاك الصوت لهذه الوظيفة وحدها. فعندما يكون الشيء المبلغ عن طريق الصوت إحساساً وانفعالاً ما، لا يبقى هناك حديث عن رسالة Message بمفهومها الإبداعي فقط؛ لأن الصوت يسعى في غالب الأحيان، وبشكل واع، إلى إنتاج أثر شبه بيولوجي أو صدمة؛ أي: إنه مثير Stimulus موجه إلى الحصول على رد فعل، وهو إذن مختلف تماماً عن الرسالة ذات الحمولة الإبلاغية، فعلى، كل ليس كل





الأصوات اللغوية وسيلة تواصل ميسرة بين أفراد المجتمع الواحد

نظام للتواصل لغة، كما أن اللغات الطبيعية تنفرد بخصائص لا يشاركها فيها كل نظام تواصل آخر (١٢).

ويتمثل الفارق الكبير بين اللغة والصوت في انفراد اللغة الطبيعية بالخاصية الصوتية التي تجبر الرسالة اللغوية على الاشتغال في الزمن؛ مما يستحيل معه ظهور وحدتين صوتيتين في نقطة زمنية واحدة، ضمن السلسلة الكلامية. فهذه الخاصية التي يطلق عليها اللسانيون «الخاصية الخطية» هي التي تميز اللغة الطبيعية من مجموعة من الأنظمة التواصلية، وفي مقدمتها الصوت. فوحدات الرسالة في الصوت تبرز كلها ملتحمة في المكان والزمان. ففي الخطاب اللغوي كل الملفوظات تتابع الواحدة تلو الأخرى في الزمن، وفي كل مرة تحصل على رسالة واحدة (١٣)، غير أن فكرة الخاصية الخطية للغة الطبيعية، إن كانت تشكل فارقًا حاسمًا وأساسيًا بين اللغة وباقي الأنظمة التواصلية فإن تركيز الأذن في الصوت لا يمكنه أن يمدنا دفعة واحدة بكل الرسالات والدلالات الممكنة؛ لأن ذلك يقتضي أن تقوم الأذن بميزة التركيز، وضمن هذا الاشتغال السمعي هناك تسلسل لوحدات الرسالة في الصوت حيث تشكل بلاغة الصوت وقوته في تقريب الدلالات والمعاني.

وظيفة السمع في تأصيل التراث العربي

كانت اللغة المنطوقة هي الأساس في حياة اللغة العربية. فقد كان العربي يكتسب مفردات لغته بالسمع والتقليد في أثناء محاوراته مع أهله وذويه، إذ لم يكن للعرب قانون للكلام يخضعون له (١٤)، فقانونهم في ملكتهم التي خلقت فيهم؛ ومعلمهم بيئتهم المحيطة بهم. ولا شك أن اللغة المحكية أو المنطوقة ذات قوانين يراعيها المتكلم

بدقة، ويصدر عنها في كلامه، ولكنه لا يشعر بالعناء، بل إنه لا يكاد يفكر فيها؛ لأنها عنده لا تزيد على عادات اعتادها منذ أن تعلم اللغة من المحيط الذي حوله، يسمعها ويحاكيها معتمدًا في ذلك على السمع الذي هو قوة في الأذن لإدراك الأصوات (١٥). وقد بيّن علماء العربية أهمية الأذنين وتأثيرهما في إنتاج صوت، ومده وخفضه وخشونته وجهاته في أثناء قراءتهم المتعددة والمختلفة للقرآن العظيم، فقد كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم في أثناء التلاوة، فيحركون الأصابع، كما يحركها لاعب الناي؛ للتحكم بطول الصوت وصفاته. وعليها اعتمد العلماء بمختلف تخصصاتهم وتوجهاتهم في تدوين علوم العرب، بدءًا بالقرآن الكريم الذي دوّن في الصحف، وحفظته الصدور، ثم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفعاله المنقولة عن المقرئ، عن شيوخه، وصحة نقل الشيوخ عن شيوخهم، حتى تصل الرواية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الشعر المأخوذ من الرواة المحترفين، والبداة الفصحاء (١٦). يدل ذلك كله على جهود العلماء العرب في تدوين اللغة العربية وتأصيلها، ثم استنباط قواعدها وتقعيدها، في أمة لم تعرف التدوين وتأريخ علومها إلاّ بمجيء دين حنيف، حفزها، ودعمها، وجعلها خير أمة، تدخر علومها وتجاربها للأجيال اللاحقة، معتمدة على الأذن وقوتها في التقاط

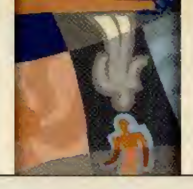
اللغات الصوتية المسموعة تقيم مع باقي اللغات الأخرى علاقات نسقية متعددة، ومعقدة، ولا أهمية لإقامة تعارض ما بين الخطاب اللغوي والصوتي، بوصفهما قطبين كبيرين يحظى كل منهما بالتجانس والتماسك في غياب أي رابط بينهما

الأصوات اللغوية، وسرعة الحافظة؛ وبهذا عنى العلماء باللغة المسموعة. فالقرآن ذو أسانيد صحيحة، والشعر يسمع من أفواه الفصحاء والرواة والثقات، والأمثال يتداولها الناس كما رويت عن أعراب البادية الموثوق بهم، والذين تؤخذ عنهم اللغة هم أبناء الخيام الذين لم يختلطوا بالأعاجم، فظلت العربية على ألسنتهم صافية غير مشوبة.

وهذه الخصلة في وظيفة الأذن والجهاز السمعي تدل على سلامة الدراسة اللغوية، التي قام بها العرب القدماء، كما تدل على وجه كبير من وجوه الشبه بين مناهجهم ومناهج المعاصرين، الذين يجدون في اللغة المحكية مصدرهم المهم، ويجعلون اللغة المدونة ثانوية أو مساعدة، ليس غير (١٧).

المراجع

١. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٥.
٢. الخصائص لابن جني، ١/٣٣.
٣. الخصائص، ١/٣٣.
٤. الأذن واللغة: ألفريد توماتيس، (مقال عبر الإعلاميات).
٥. اللغة وخصوصية الشخصية العربية: لبسام بركة (مقال عبر الإعلاميات).
٦. علم الأصوات اللغوية الفونيتيكا: لعصام نور الدين.
٧. علم الأصوات، ص ١٥٣. ودراسة السمع والكلام صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك: لسعد عبدالعزيز مصلوح، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
٨. لغة وثقافة وسائل الاتصال بين الأبجدي والسمعي والبصري: لبير بابان، ترجمة إدريس القري، ص ١٧. ١٨.
٩. الألسنية لميشال زكريا، ص ٣٦١.
١٠. ألفريد توماتيس ـ التجارب التي قام بها.
١١. المقدمة لابن خلدون.
١٢. قراءة في السيميولوجيا البصرية: لمحمد غرافي، عالم الفكر، العدد ١، مجلد ٣١، يوليو ـ سبتمبر ٢٠٠٢م، ص ٢٣٣.
13- G. Mounin, Pour Une Smiologie De Limage, in Commini-
p50. ١٩٧٤ , ٢٢ , cation et Langage, n
١٤. التوهم عند النحاة: لعبد الله أحمد جاد الكريم، مكتبة الآداب، الطبعة ١، ٢٠٠١م، ص ٩.
١٥. معجم مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني، ص ٢٤٨ (سمع).
١٦. أصول النحو العربي: لمحمد خير الحلواني، الناشر الأطلسي، ص ٣٠. ٣١.
١٧. ينظر هذا الأمر بتفصيل في تجربة فردينان دي سو سور فيقرأ مؤلفه «دروس في اللسانيات العام».



توحيد المصطلحات العلمية العربية وسيلة فعالة لتطوير البحث العلمي

عبدالرزاق كامل
جدة ـ السعودية

إن التقدم الهائل الذي شهدته البشرية خلال القرن العشرين في مجال العلوم والتقنية يعدّ بمنزلة بركان فجر الكثير من الحمم، وزلزالاً أدى إلى ظهور ينابيع جديدة تمثل علومًا ما كان المرء ليحظى بها أو يحلم بوجودها. وصار ميدان العلوم عالميًا يتنقل بين دولة في أقصى الشمال وأخرى في أقصى الجنوب، ومن أدنى الشرق إلى أقصى الغرب، بسرعة عجيبة ويحتاج إلى تعاون وتعاضد وأعمال مشتركة يكمل بعضها بعضًا..

فقد كانت العلوم محصورة في نطاق شخصي محدود، حيث يحتفظ العالِم بما توصل إليه من مستجدات علمية، ويعدّها سرًا له ينتقل معه إلى قبره حين موته، دون أن يستفيد المجتمع منها بشكل واسع، أو محصورة على نطاق وطني، إذ تجعل دولة ما حصيلة أعمال علمائها ثروة خاصة بها، وسلاحًا بيدها، يقوّي من شوكتها، ويزيد من إمكاناتها، ولا تسمح بتسريبه إلى أي دولة أخرى. بعد هذا الحال وجدنا أن الكثير من العلوم صارت تحتاج إلى تعاون بين الأمم والشعوب، وصار انتقال العلوم والمعارف أمرًا طبيعيًا مستساغًا عن طريق أقنية الاتصال بين مراكز الأبحاث والمعاهد والجامعات، وما تبثه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، بالإضافة إلى وسائل الاتصال الإلكتروني.

لا دور ملحوظ

وفي العالم العربي يوجد الكثير من الجامعات ومراكز البحث العلمي الموزعة هنا وهناك، يعمل فيها الكثير من المختصين، وتتوافر فيها التجهيزات المختلفة،



ولكنها لم تتمكن حتى الآن من أن تؤدي دورًا ملحوظًا في دعم العلوم العصرية، أو تطوير البحوث على المستوى العالمي، وذلك لعدة أسباب أذكر منها:

- عدم وجود إستراتيجية للتنسيق بين البلدان العربية في مجال البحوث، وعدم إيجاد مراكز امتياز Center of Excellence في واحد أو أكثر منها.

- عدم استقرار العناصر البشرية العاملة في المجال العلمي سواء في الجامعات أو مراكز البحوث في الدول العربية بسبب ضعف الحوافز المادية والمعنوية المقدمة لهم وبذا يكونون ضحايا هجرة داخلية أو خارجية تاركين وراءهم أبحاثهم ومنجزاتهم.

- عدم فتح أقنية اتصال سهلة وميسرة للتعاون العلمي بين الجهات العربية المتخصصة؛ وذلك بسبب الحاجز اللغوي الذي يتمثل في استخدام مصطلحات علمية مختلفة للتعبير عن أمور معينة، وهذا ما لا يساعد على إيجاد تعاون مثمر يعين على تراكم المعرفة العلمية في المجالات المتخصصة والنجاح في تحقيق منجزات مهمة تشكل تراثًا علميًا عربيًا يمكن تقديمه على المستوى العالمي.



انطلقت الدول الأوربية والأمريكية في تطوير العلوم الموجودة وتأسيس علوم جديدة

قرار سياسي أم برنامج؟

إن توحيد المصطلحات العلمية المستخدمة في مختلف الأقطار العربية من الأمور المهمة؛ إذ تعدّ الخطوة الأولى في عملية التنسيق في مجال البحوث. وموضوع تعريب العلوم ليس مجرد قرار سياسي تتخذه الدولة، أو نظام تعليمي تتبناه جامعة، بل هو برنامج متكامل من القاعدة إلى القمة، أو من القمة إلى

هناك صعوبة كبيرة في نقل المعلومات والأفكار بين الفرقاء الذين يحضرون اجتماعًا علميًا عربيًا، وهذا ما يضطرهم إلى استخدام لغة أجنبية، لتجاوز حاجز اللغة، وهو أمر محزن، ولا شك أنه لن يساعد على سرعة نقل المعلومات العلمية بين الأقطار العربية المختلفة

القاعدة، وينظر إليه من عدة جوانب. فقد تقدمت العلوم تقدمًا هائلاً، وظهرت علوم فرعية، فيها المزيد من التفصيل والتخصص، وأفرزت عبارات واصطلاحات جديدة ذات معانٍ ومغازٍ مختلفة لم تكن معروفة من قبل، وتوسعت الاختصاصات الموجودة فازدادت ثراء وتعقيدًا. وفي كل يوم تصدر عن مراكز البحوث في بلدان العالم الصناعي مئات الأبحاث والدوريات في موضوعات العالم المختلفة باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية والإيطالية والألمانية من ناحية، والروسية والصينية واليابانية من ناحية أخرى. وهذه اللغات اليوم هي لغات العلم الأكثر انتشارًا، التي تتحدث بها الدول الصناعية الكبرى ذات الباع الطويل في معظم العلوم الحديثة.

إلا أنه بسبب العلاقات السياسية والثقافية المتميزة التي ربطت بين دول العالم العربي بإنجلترا والولايات المتحدة وفرنسا خلال سني هذا القرن، فإن المصدر الأساسي للأبحاث العلمية في الدول العربية يكاد يقتصر على اللغة الفرنسية (في دول المغرب العربي وجيبوتي) والإنجليزية (في مصر والسودان والعراق وفلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية والكويت والسعودية والإمارات العربية المتحدة وقطر وسلطنة عمان وليبيا والصومال). أما سورية ولبنان فقد كانت الفرنسية هي المصدر الرئيس للعلوم فيهما حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، ثم دخلت الإنجليزية من باب واسع في مرحلة لاحقة.

إيجاد اللغة العلمية المشتركة ليس أمرًا سهلاً، خاصة بعد التطور الذي طرأ على العلوم في النصف الثاني من القرن العشرين. والفروع الجديدة من العلوم التي ظهرت، والتوسع الذي حدث في الفروع القديمة، ولكنه على الرغم من ذلك لن يكون أمرًا مستحيلاً

مفارقات التعريب

وقد اعتمد عدد من الدول العربية اللغة العربية للتدريس الجامعي في بعض المجالات. فبينما تبنت سورية اللغة العربية لتدريس مختلف العلوم فيها من طب - وهندسة وعلوم أساسية وزراعة وتجارة واقتصاد وحقوق، إذ اقتصرت مصر على اللغة العربية في تدريس الزراعة والتجارة والحقوق، وأبقت دراسة الطب والهندسة باللغة الإنجليزية.

وقد كانت تقدم في الندوات والمؤتمرات أبحاث باللغة العربية تستخدم فيها عبارات ومصطلحات يعتمدها أصحاب الأبحاث المقدمة والمنشورة، وعلى الرغم من أن سورية كانت أول من حمل راية تعريب العلوم، فإننا نجد في هذه التجربة مفارقات كثيرة. ففي الأربعينيات من القرن الماضي الميلادي كانت كتب الكيمياء تستخدم عبارة (مولد الحموضة) للدلالة على غاز الأكسجين، وعبارة (مولد الماء) للدلالة على غاز الهيدروجين وسبب ذلك أن الرواد في الكيمياء في تلك الفترة من أمثال: الأستاذ الدكتور مجدي الشوا، والأستاذ الدكتور خالد بوظو، والأستاذ الدكتور شكيب الجابري، والأستاذ الدكتورمحمد علي الهاشمي - رحمهم الله - درسوا الكيمياء في الجامعات الألمانية حيث يسمى الأكسجين Sauerstoff (وكلمة Sauer تعني الحامض بالألمانية)، بينما يطلق على الهيدروجين (Wasser Wasserstoff تعني الماء بالألمانية)، ثم درجت الكتب في مرحلة لاحقة على اعتماد عبارتي الأكسجين


الاختبارات العلمية هي أساس التقدم العلمي

والهيدروجين (الفرنسيتين والإنجليزيتين)، كما هما انطلاقًا من المبدأ الذي يتبناه عدد كبير من أساتذة العلوم بأن الألفاظ العلمية الأجنبية الفرنسية أو الإنجليزية لا ينبغي ترجمتها، بل تعتمد منحوتة في صخر العربية بالألفاظ نفسها تقريبًا شأن لفظة باي (TT) اليونانية التي تمثل العلاقة بين محيط الدائرة وقطرها. وهكذا وباختلاف اللغات التي درس بها أساتذة العلوم الذين قاموا بالتدريس في الجامعات والمدارس الثانوية السورية صرنا نجد عبارات ومصطلحات أجنبية متباينة معتمدة إلى جانب ترجمات مختارة هنا وهناك: فبعض الدارسين يستخدم عبارة النيتروجين (المأخوذة من الإنجليزية) بينما يستخدم آخرون عبارة الآزوت (المأخوذة من الفرنسية) وكلاهما يمثلان العنصر نفسه. وبينما يعتمد بعضهم في كتاباته عبارة Electrolysis (الإنجليزية) إذ اختار غيرهم عبارة Electrolyse (الفرنسية)، وقفز آخرون خطوة إلى الأمام فعربوا هاتين العبارتين بالتحليل الكهربائي، أو التحليل الكهرليتي، وفي حين يعرب بعضهم عبارة Calorie بعبارة كالوري يختار آخرون عبارة (حريرة، أو سعرة). كذلك يستخدم بعضهم (أسيد كلورهيدريك) Acide Chlorhydrique وبعضهم الآخر هيدروكلوريك اسيد Hydrochloric Acid وفريق ثالث حمض كلور الماء، وفريق رابع حمض كلور الهيدروجين للتعبير عن المركب نفسه. وأمام عبارة Atom (الفرنسية والإنجليزية) ظهر معسكران أحدهما يسميها (الجوهر)، والآخر يترجمها (الذرة)، وبينما يترجم فريق عبارة Molecule بـ (الذرة) يترجمها فريق آخر بـ (الجزيء). ونجد لعبارة Anion الترجمات الآتية: شاردة سالبة - شارشبية - أنيون. ولعبارة Cation: شاردة موجبة - شارسبية - كاتيون. كاتيون. ولعبارة Frequency ترجمات التناوب - التواتر عدد النوبات أو عدد الذبذبات في وحدة الزمن.

هذه الأمثلة التي عرضتها تمثل جزءًا من مجموعة كبيرة من الاختلافات التي تظهر في مجال الفيزياء الطبيعة والكيمياء، وتجد الكثير أيضًا في الفروع للعلوم الأساسية من الأحياء والرياضيات وعلم النبات وعلم الحيوان والجيولوجيا والعلوم التطبيقية من هندسة وطب وصيدلة وزراعة، وغيرها.

هذه الفروق بين المصطلحات المعتمدة قد نجدها في مقررات كلية واحدة، أو في مجموعة كليات تضمها جامعة واحدة. وتكون الفروق أكبر وأكثر



يشهد العالم طفرات علمية وتقنية هائلة

تنوعًا بين المصطلحات التي تختارها الكليات (التي تعتمد اللغة العربية) في جامعات موجودة في أقطار عربية مختلفة.

وعلى هذا الأساس فإن هناك صعوبة كبيرة في نقل المعلومات والأفكار بين الفرقاء الذين يحضرون اجتماعًا علميًا عربيًا، وهذا ما يضطرهم إلى استخدام لغة أجنبية، سواء كانت الفرنسية أو الإنجليزية لتجاوز حاجز اللغة. وهو أمر محزن، ولا شك أنه لن يساعد على سرعة نقل المعلومات العلمية بين الأقطار العربية المختلفة، ومن ثم لا يكون عونًا على إيجاد تعاون علمي عربي من شأنه الاستفادة من الأبحاث العلمية التي تجرى في الأقطار العربية المختلفة، وإيجاد تنسيق سليم يرفع صرح البناء عاليًا عن طريق لبنات تساهم فيها مختلف هذه الأقطار.

إن الأسباب التي وضعت اللغة العربية في هذا الوضع الحرج في ساحة العلوم مردها إلى أننا بقينا سنين طويلة بعيدين عن أي مساهمة رئيسة في مجالات العلوم المختلفة، في حين انطلقت الدول الأوربية والأمريكية في تطوير العلوم الموجودة، وتأسيس علوم جديدة، وتطوير فروع العلوم المختلفة، والقيام بالبحوث والوصول إلى الاكتشافات والاختراعات.

فحين يحدث اكتشاف جديد، أو يؤسس علم حديث، فإن المصطلحات الجديدة التي توضع حوله تكون عادة بلغة الباحثين المؤسسين أو المكتشفين. وكثيرًا ما يجرى تداولها واستخدامها من قبل الآخرين الذين ينهلون من هذا العلم، ويتابعون نتائج الاكتشاف الجديد.

صعب وليس مستحيلاً

إن الجامعات التي تدرس العلوم بالعربية هي مركز التوليد الفعلي للمصطلحات العربية للعلوم المختلفة. فالأساتذة الذين يلقون محاضراتهم على طلبتهم، ويؤلفون الكتب، وينشرون الأبحاث، لا بد لهم من اعتماد مصطلحات معينة يقتبسونها من أبحاث منشورة سابقًا أو يقومون بنحتها وترجمتها. ويتلقى طلبتهم هذه المصطلحات لتصبح جزءًا من خلفيتهم العلمية والثقافية، ويقومون بدورهم بنقلها إلى أعداد كبيرة من تلامذتهم إذا دخلوا ميدان التعليم الثانوي أو الجامعي، أو قاموا بالكتابة والنشر.

إن إيجاد اللغة العلمية المشتركة ليس أمرًا سهلاً، خاصة بعد التطور الذي طرأ على العلوم في النصف

الثاني من القرن العشرين، والفروع الجديدة من العلوم التي ظهرت، والتوسع الذي حدث في الفروع القديمة، ولكنه على الرغم من ذلك لن يكون أمرًا مستحيلاً. ولكي ينجح هذا العمل فإنه ينبغي أن ينطلق من القاعدة إلى القمة. وهذه القاعدة تتألف من:

- مجموعة الأقطار العربية التي يملك كل منها تراثًا علميًا بإحدى اللغات الأجنبية وحدها حينًا، أو متجاورة مع اللغة العربية أحيانًا أخرى.

- عدد من الجامعات والمعاهد ومراكز البحث العلمي الموجودة في كل قطر من هذه الأقطار.

- في كل مؤسسة من هذه المؤسسات المذكورة (جامعة - معهد - مركز) عدد من الأساتذة والمدرسين الذين استخدموا العبارات أو المصطلحات الأجنبية الموحدة، أو أنهم نحتوا مصطلحات عربية بالشكل الذي ارتأوه أو اعتمدوا مصطلحات عربية شائعة الاستعمال.

في مثل هذه الحالات، فإن عملية تنسيق تكاملي صاعد يجب أن تسود مختلف الأوساط العلمية في الأقطار العربية المختلفة، ويتم ذلك وفق برنامج متكامل يشمل مراحل مختلفة في مجال التنفيذ، يمكن أن تضم الخطوات الآتية:

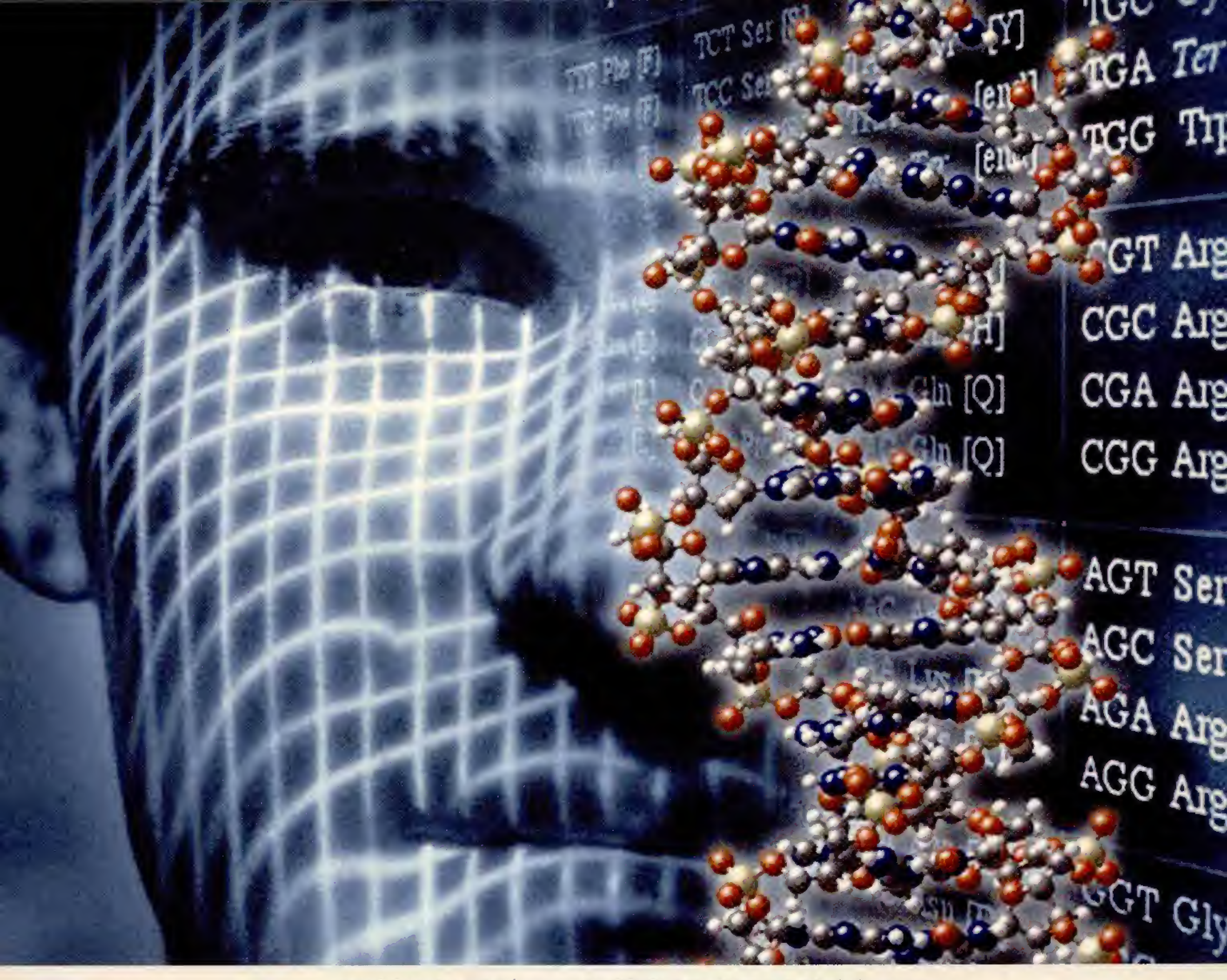
- ينشأ في كل بلد عربي إدارة لتعريب المصطلحات العلمية، تكون هي المنسق لعمليات التعريب في أرجاء البلد المعني، وحلقة الاتصال بين هذا البلد والجهاز العربي المشترك الذي ينسق بين جهود الأقطار العربية المختلفة ليصل إلى فهم مشترك يمكن عن طريقه أن يمر (عن طريق المصطلحات الموجودة) باحث من دولة عربية ما نتيجة أعماله إلى الباحثين في الأقطار العربية المختلفة. كما يمكن أن يتلقى منهم حصيلة أعمالهم بسهولة ويسر.

- يقوم الجهاز الوطني لتعريب المصطلحات بتشكيل مجموعة من اللجان تختص كل واحدة منها بأحد فروع العلم. فهناك لجنة للفيزياء. ولجنة لعلوم طبقات الأرض. ولجنة للبيئة .. إلخ تضم كل لجنة في عضويتها ممثلين عن الكليات الجامعية أو المعاهد العليا التي تدرِّس الفرع (موضوع اللجنة) باللغة العربية. ويشترط في الشخص المختار لعضوية اللجنة أن يكون مختصًا بهذا الفرع العلمي، ويملك ناصية اللغة العربية، بالإضافة إلى لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية الواسعة الانتشار في ذلك البلد.

- يقوم عضو اللجنة (ممثل الكلية أو المعهد العالي) بجمع المصطلحات العربية التي يستخدمها الأساتذة المختلفون الذين يدرسون هذا الفرع في الكلية أو المعهد وما يقابلها من الكلمات الإنجليزية أو الفرنسية، ويتم

اعتمد عدد من الدول العربية اللغة العربية للتدريس الجامعي في بعض المجالات. فبينما تبنت سورية اللغة العربية لتدريس مختلف العلوم فيها اقتصرت مصر على اللغة العربية في تدريس الزراعة والتجارة والحقوق. وأبقت دراسة الطب والهندسة باللغة الإنجليزية

صار انتقال العلوم والمعارف أمرًا طبيعيًا مستساغًا عن طريق أقنية الاتصال بين مراكز الأبحاث والمعاهد والجامعات، وما تبثه وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، بالإضافة إلى وسائل الاتصال الإلكتروني



تعريب المصطلحات العلمية وتوحيدها في مختلف الدول العربية ضرورة من أجل التنسيق في مجال البحوث

ترتيبها وفق تسلسل أبجدي (باللغة الإنجليزية أو الفرنسية)، وتدخل في قرص للحاسب الآلي (الكمبيوتر)، ويتم إرسالها القرص المذكور إلى أمانة اللجنة الوطنية للتعريب.

ـ تقوم أمانة اللجنة الوطنية بجمع المعلومات الواردة من الأعضاء المختلفين وتنسيقها بوضعها في جدول واحد يبين فيه المرادفات المختلفة المقابلة لمصطلح فرنسي أو إنجليزي معين يتم إرسالها إلى الأعضاء المختلفين لدراستها قبل اجتماع اللجنة بوقت كاف.

ـ تختار اللجنة في اجتماعها المصطلح الأكثر ملاءمة؛ وبذا يمكن وضع جدول المصطلحات المختارة على المستوى الوطني لاختصاص معين. وإن اعتماد هذه القائمة التي صارت رسمية في كل جامعات البلد الواحد يعدّ خطوة مهمة في توحيد لغة التخاطب العلمي بين كل المشتغلين في هذا الحقل.

ـ إن نجاح الخطة الوطنية لتوحيد المصطلحات في الاختصاصات المختلفة يسهل عملية التنسيق على المستوى العربي الذي يمكن أن يأتي كخطوة لاحقة. فإذا أمكن تحقيقها على مستوى التطبيق العملي يعدّ ذلك إنجازًا فائق الأهمية على طريق التقدم العلمي العربي.



ذكريات جنود اسرائيليين عن خدمتهم العسكرية في الخليل

ترجمة: صلاح يحياوي

ماديسون ــ أمريكا

يكتب إسحاق لاور Yitzhak Laor عن معرض صور جنود في تل أبيب. ويدخل للمرة الأولى بعض ذكريات الجنود عن خدمتهم العسكرية في الخليل (١)

صادف يوم استقلال إسرائيل هذا العام (٢٠٠٤م) السابع والعشرين من أبريل/ نيسان: كان الفرض المنزلي المخصص لابني البالغ التاسعة من العمر إجراء مقابلة معي عن ماضيّ العسكري. قبل توزيع المهمات (الواجبات المحددة) دعا الأستاذ والد أحد الأولاد، وهو كولونيل في قوات الدفاع الإسرائيلية إلى إلقاء محاضرة، وهو في كامل لباسه العسكري. فُتِن الأولاد بالمحاضرة، واندفعوا يطرحون أسئلة، رغبوا في المقام الأول في معرفة: هل كان خائفًا، مع ذلك سألوه أيضًا: هل كان قد قتل الشيخ أحمد ياسين، الذي كانت صورته وصورة كرسيه المُدَوْلَب المحطم عملاً ناجحًا جدًا على التلفاز الإسرائيلي. قال الكولونيل: إن ذلك قد نفذته وحدة أخرى، ولم تنفذه وحدتُه، وأضاف لقد استحق الموت، ووعد الأولاد قائلاً: إننا لا نقتل إن لم يكن هناك في الواقع سبب. ألقى المحاضرة مخبرًا الأولاد بأنه يأمل أن تتاح لهم أيضًا الفرصة لكي يغدوا ضباطًا أعلى مقامًا في الجيش.



ميزات بلا تفسير!

إن حياتنا تسوء، والفقر ينتشر، والتعليم والخدمات الصحية في انهيار، والطبقة الوسطى في حالة تقلص، وتحكمنا عصبة مسيطرة ازداد مالها وازدادت سلطتها إلى مدى يرفض الناس تصديقه، حتى عندما جوبهوا بالأرقام. يحصل الكولونيل المتقاعد من الجيش، وهو في الخامسة والأربعين من العمر على مبلغ إجمالي يقارب مليوني دولار، إضافة إلى راتب تقاعدي طوال العمر، ووظيفة أخرى، عادةً كمدير لإحدى الشركات الضخمة، أو في تعاطي بيع الأسلحة.

عندما يرغب الإسرائيلي المتوسط في تفسير هذه المميزات، فإنه يلفت النظر إلى أن «الكولونيل كان خلال مهنته قد عرض حياته للخطر». إلا أن هذا قد كان أسطورة خلال عقدين من الآن على الأقل. ما كان الكولونيل مخاطرًا بحياته؛ لأنه لم يعد هناك عدو خطير. هناك فقط رغبة فلسطينية في العيش كدولة حرة، رغبة تمثل على شكل حملة إرهابية كتهديد وجودي لدولة إسرائيل. إلا أنها دولة لا تهدد وجود إسرائيل. ولم

تهدده مطلقًا، إلا أنها بالتأكيد تساعد القوات المسلحة على ركوب موجة الذعر.

عودة الهولوكوست

إن النزاع الحقيقي في المجتمع الإسرائيلي اليوم ليس بين الحمائم والصقور، بل بين الغالبية التي تسلم جدلاً بصورة قوات الدفاع الإسرائيلية كمدافع عن وطننا، باقتباسات توراتية، أو من دونها، والأقلية التي لم تعد تؤمن بذلك. إن يقم الجيش بشيء رديء فهو دائمًا استثناء. إن هؤلاء الذين يعتقدون أننا نحارب من أجل حياتنا يعتقدون أيضًا أننا نبذل أقصى جهدنا، لأن نكون إنسانيين، ونجحنا تقريبًا. تتوقف هذه العقدة الهشة من بديهيات إما على تفاؤل سخيف (بأن كل شي سيحل قريبًا)، وإما على صور، لم تعد الحجج صالحة بعد الآن.

إن الصور الأكثر فعالية هي صور أجساد مبتورة الأعضاء، وأمهات صارخات، وآباء متفجعين. وذلك هو تمامًا السبب الذي يجعل الـ B B C، شركة التلفزة العالمية تعدّ «معادية» هنا. ليس نتيجة لفضيحة ڤانونو Vanuno (٢)، بل بسبب الصور التي تنشرها عن كل ألم يومي على الجانب الآخر من الطريق، على بعد عشر دقائق بالسيارة عن أمان منازلنا ومسابحنا، وحيواتنا السعيدة، حتى إن الـ C N N كانت تعدّ عدائية ما دامت «تسيء التصرف»، جالبة لنا صورًا ناقضت الصورة الأساسية لوجودنا. اقترفت أعمالاً شريرة ضدنا دائمًا، وكلما غدت إسرائيل أكثر وحشية، يزداد ارتباط صورتنا كالضحية الأبدية، لهذا السبب جاءت أهمية المحرقة Holocaust منذ نهاية الثمانينيات من القرن الماضي (الانتفاضة الأولى)، وعودتها إلى أدب يهودي (انظر كتاب ديفيد كروسمان Lovf: David Crossman) إن المحرقة جزء من الشهيد المجازي؛ لهذا السبب نشأت رحلات مدرسية تمولها الدولة إلى أوشوڤيتز Auschivitz (٣). إن لهذا شأنًا أقل في فهم الماضي منه في إعادة توليد بيئة نكون فيها كضحايا في الزمن الحاضر. ومع هذه التخيلات يأتي الجنود الأصحاء، الوسام، الحساسون.

هجوم على معرض صور

هذه هي البيئة على مفترقات الطرق بين حركة رفيوسنيك Refusenik (٤) المتوسط (ببطء، وربما هي صغيرة أكثر مما ينبغي، ومتأخرة أيضًا)، واليأس المتنامي في أي وقت، الواضح في معرض يدعى «كسر الصمت» Shovrim Shtika الذي افتتح في بواكير يونيو/ حزيران في مبنى كلية تل أبيب: معرض صور فوتوغرافية التقط أغلبها جنود خدمة إلزامية مجهولو الأسماء ممن أمضوا الخدمة العسكرية في الخليل. (كان آمر لوائهم الكولونيل الذي ألقى المحاضرة على تلاميذ صف (قسم ابني). تُسَجِّل ستون من التسعين صورة فوتغرافية أوجهًا من المعضلة بين الفلسطينيين والمستوطنين، غير أن ثلاثين صورة فوتغرافية تظهر الجنود في عملهم اليومي الرتيب. والرتابة تخبر بكل شيء. وبالفعل قامت الشرطة العسكرية في قوات الدفاع الإسرائيلي في نهاية شهر حزيران بمداهمة المعرض. كما جاء في صحيفة هاآرتز Haaretz . ومصادرة مصنف يحتوي على مشابك الصحف

ما دمت ترغب في الحفاظ على هؤلاء الـ ٥٠٠ من الناس في الخليل أحياء، وتمكنهم من الشروع في العيش بطريقة معقولة، فإن عليك أن تدمر الوجود المعقول لجميع الآخرين، لا بديل لذلك





وحشية واضحة!

التي تناولت المعرض، إضافة إلى شريط تسجيل تلفازي يتضمن تصريحات أعدّها سبعون جنديًا عن تجاربهم في الخليل،. استدعي للاستجواب أربعة من الشباب الذين نظموا المعرض، عن أي شيء استجوبوا؟ حسنًا، مشتبه بهم بأنهم اقترفوا الجرائم التي وثقوها على شريط

إن ما يحتاج إليه الجيش الإسرائيلي هو أن يُوَلِّد في جنوده إما عنصرية صرفة: أي: إيمانًا بـ "الطبيعة القاتلة جدًا للعرب". وإما وسمًا من الاعتقاد الديني في المسيح: إيديولوجية نازية جديدة متدثرة باليهودية

الفيديو الخاص بهم، مسيئين معاملة الفلسطينيين، مدمرين ممتلكات، ... إلخ.

مقارنة في الوحشية!

نادرًا جدًا ما تنشأ معارضة من داخل القوة المهددة لهذا السبب نشأت حركة جرأة الرفض، والرسالة التي وقعها في السابع والعشرين من سبتمبر/ أيلول ربابنة الطائرات الذين رفضوا مهاجمة السكان المدنيين في الأراضي المحتلة، والرسالة التي وقعتها في ديسمبر/ كانون الأول وحدة مغاوير النخبة رافضة القتال، وهكذا دواليك. مجتمع يعيش في الماضي كما لو أنه الحاضر، مجتمع غير حصين: يغدو الماضي/ الحاضر سيفًا ذا حدين. يمكن أن تُرفع ضدك دعوة هنا إن أطلقت على

أي كان اسم «نازي»، غير أن المرء يسمع ذلك كثيراً. قد تكون مقارنة الوحشية الإسرائيلية بالوحشية الفرنسية في الجزائر، أو بالوحشية البريطانية في السودان، أو ماليزيا أكثر ملاءمةً، غير أننا نتبنى مفهوم «ماضينا يتحول إلى حاضرنا».

مع ذلك ليس المقت الأخلاقي هو العامل الوحيد. إن الشباب الذين يلتحقون بالجيش يريدون القتال باستخدام أكثر الدبابات تطوراً، وإطلاق النار بأكثر المدافع إثارة للذعر، والطيران بالمقاتلات النفاثة الجديدة، وتشغيل حوامات الأباش Apache، وغزو أكثر مواقع العدو تحصيناً، والنزول بالمظلة خلف خطوط العدو. عندئذ، بعد كل تدريبهم المتناهي في الصعوبة، بعد كل المعاناة والطموح، لا يجدون هناك بطولة، ولا نصراً، ولا غطساً لمغاوير البحرية تحت مياه الخليج الفارسي. إن كل ما يقومون به بدلاً من ذلك هو طرد أسرٍ من منازلها في منتصف الليل، وتدمير بيوتها، وقنبلة بناء ذي ستة طوابق (أدوار) في غزة، وتجويع مدينة، وإرهاق نساء على حواجز التفتيش، ومشاهدة تعذيب موقوفي شين بت Shinbet، وإضفاء مزيد من الفاقة على مخيمات اللاجئين.

نازية متدثرة باليهودية

إن ما يحتاج إليه الجيش الإسرائيلي (حاله حال الدولة الإسرائيلية) هو أن يُولِّد في جنوده إما عنصرية صرفة؛ أي: إيماناً بـ «الطبيعة القاتلة جداً للعرب»، وإما وسماً من الاعتقاد الديني في المسيح: إيديولوجية نازية جديدة متدثرة باليهودية. عرض أحد المصورين الفوتغرافيين في المعرض قطعة من كتابات مستوطن على الجدران في الخليل كُتب عليها: «العرب إلى حجرات الغاز». إن لهذا النوع من الحديث نقاط ضعف: إنه يحتاج إلى جنود للقتال من أجله. هناك كثيرون لا يرغبون في ذلك.

الخدمة في المناطق المحتلة ليست تنملاً أو تمسحة. إنها قمة. نوع من قمة سلبية: تكون تعباً دائماً. جائعاً دائماً. ويترتب عليك دائماً أن تذهب إلى دار الخلاء. تكون خائفاً من الموت باستمرار

يعمل الجنود السابقون الذين اشتركوا في المعرض - الذي أغلق في بداية الشهر - على ما يدعى بحث صحافي، وعلى الرغم من ذلك يبدو كما لو أنهم يجمعون دليلاً لنوع من محاكمة تخيلية، الاستثناء يُجرِّم جندياً فرداً. إن هؤلاء الجنود السابقين يتصلون مباشرة بمجندين إلزاميين، وبجنود احتياط من ألوية أخرى، جامعين صوراً فوتغرافية، واعترافات، وشهادات من أجل معارض لاحقة. إن ما يخبروننا به هو معرفة شائعة وراء الهضبة، عبر حواجز التفتيش، في كل روضة أطفال فلسطينية مدمرة. إنهم يقومون بذلك؛ لأنهم لا يزالون يعتقدون - إلى حد ما - بالعدالة الإسرائيلية. وأخشى ألاّ

ظروف صعبة يعيشها الفلسطينيون





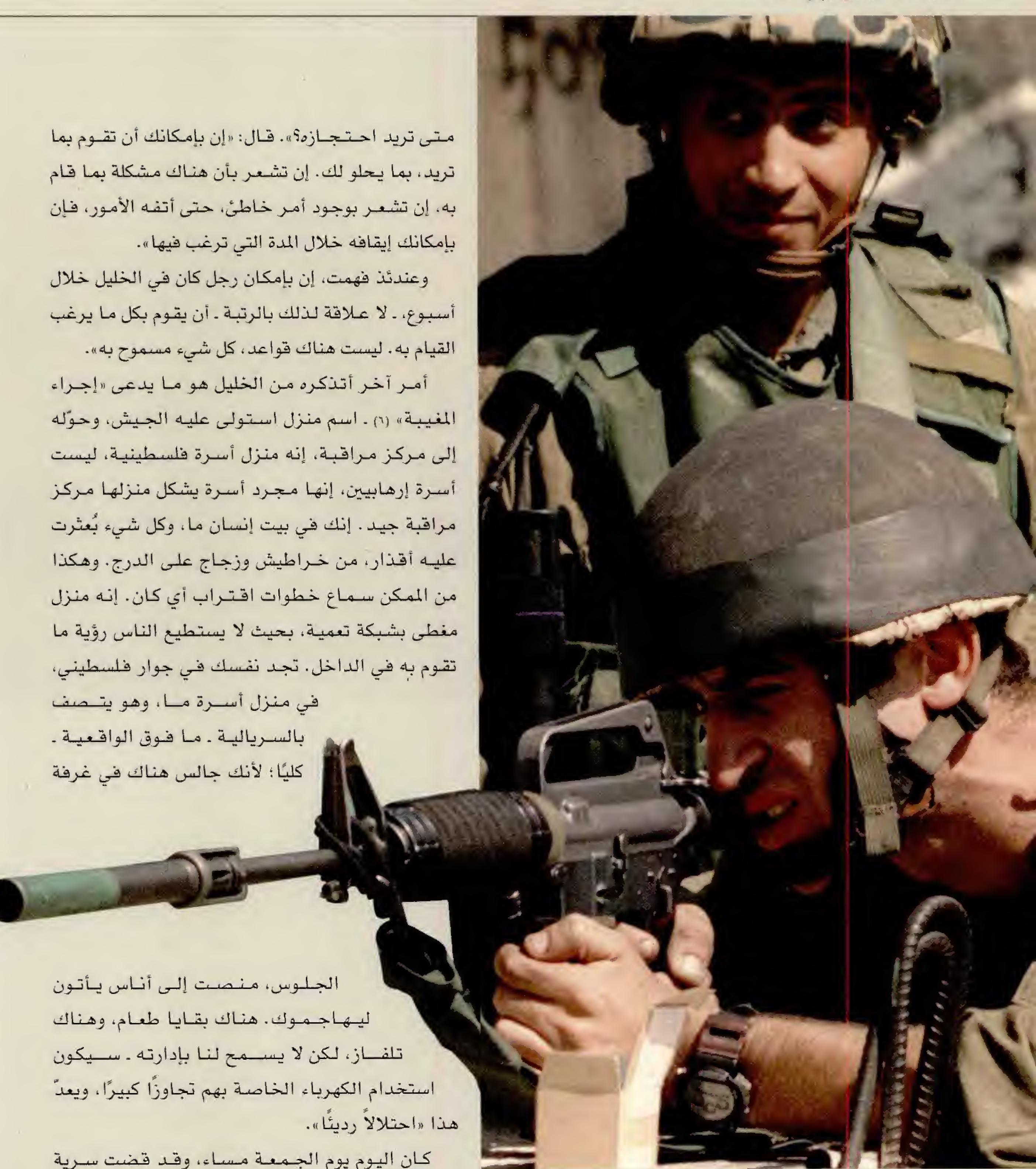
حواجز التفتيش الإسرائيلية وصور من الإهانة للشعب الفلسطيني

يكون لهذا الإيمان أساس في الواقع. من ناحية أخرى، كيف يستطيع أن يغدو رجلاً جديرًا بالاحترام إن لم يكن يعتقد بنوع من عدالة، بنوع ما من مكان للوصول إلى تفاهم مع السلطة؟ المكان هو أحد الأسماء الكثيرة للإله في اللغة العبرية.

قف ... قف !

في الأسبوع الأول، في أول مرة، عند حاجز التفتيش، عند الممر بين المنطقة الفلسطينية، وشارع لا يستطيع الذهاب إليه إلا اليهود، على هؤلاء الأشخاص أن يقفوا، هناك خط، ثم يناولونك بطاقاتهم الشخصية عبر الحاجز، تفتشهم، وتدعهم يمرون عبره. يصرخ الشخص المرافق لي: «قف! (٥)». لم يفهم الرجل، وخطا خطوة أخرى عندئذ صرخ به ثانية «قف!»، وتجمد الرجل. هكذا قرر الجندي .. لأن الرجل خطا خطوة أخرى .. أن يلقي القبض عليه. قلت له: «اسمع، ما هذا الذي نقوم به؟» قال: «لا، لا، لا تجادل، على الأقل ليس أمامهم. أنا لن أثق بك بعد الآن، إنك غير موثوق».

صدف في نهاية الأمر أن جاء أحد قادة الخفر (العسس) من مكان بعيد، وقلت: «ما هذه المعاملة ! إلى



متى تريد احتجازه؟». قال: «إن بإمكانك أن تقوم بما تريد، بما يحلو لك. إن تشعر بأن هناك مشكلة بما قام به، إن تشعر بوجود أمر خاطئ، حتى أتفه الأمور، فإن بإمكانك إيقافه خلال المدة التي ترغب فيها».

وعندئذ فهمت، إن بإمكان رجل كان في الخليل خلال أسبوع، - لا علاقة لذلك بالرتبة - أن يقوم بكل ما يرغب القيام به. ليست هناك قواعد، كل شيء مسموح به».

أمر آخر أتذكره من الخليل هو ما يدعى «إجراء المغيبة» (٦) - اسم منزل استولى عليه الجيش، وحوّله إلى مركز مراقبة، إنه منزل أسرة فلسطينية، ليست أسرة إرهابيين، إنها مجرد أسرة يشكل منزلها مركز مراقبة جيد. إنك في بيت إنسان ما، وكل شيء بُعثرت عليه أقذار، من خراطيش وزجاج على الدرج. وهكذا من الممكن سماع خطوات اقتراب أي كان. إنه منزل مغطى بشبكة تعمية، بحيث لا يستطيع الناس رؤية ما تقوم به في الداخل. تجد نفسك في جوار فلسطيني، في منزل أسرة ما، وهو يتصف بالسريالية - ما فوق الواقعية - كليًا؛ لأنك جالس هناك في غرفة الجلوس، منصت إلى أناس يأتون ليهاجموك. هناك بقايا طعام، وهناك تلفاز، لكن لا يسمح لنا بإدارته - سيكون استخدام الكهرباء الخاصة بهم تجاوزًا كبيرًا، ويعدّ هذا «احتلالاً رديئًا».

كان اليوم يوم الجمعة مساء، وقد قضت سرية



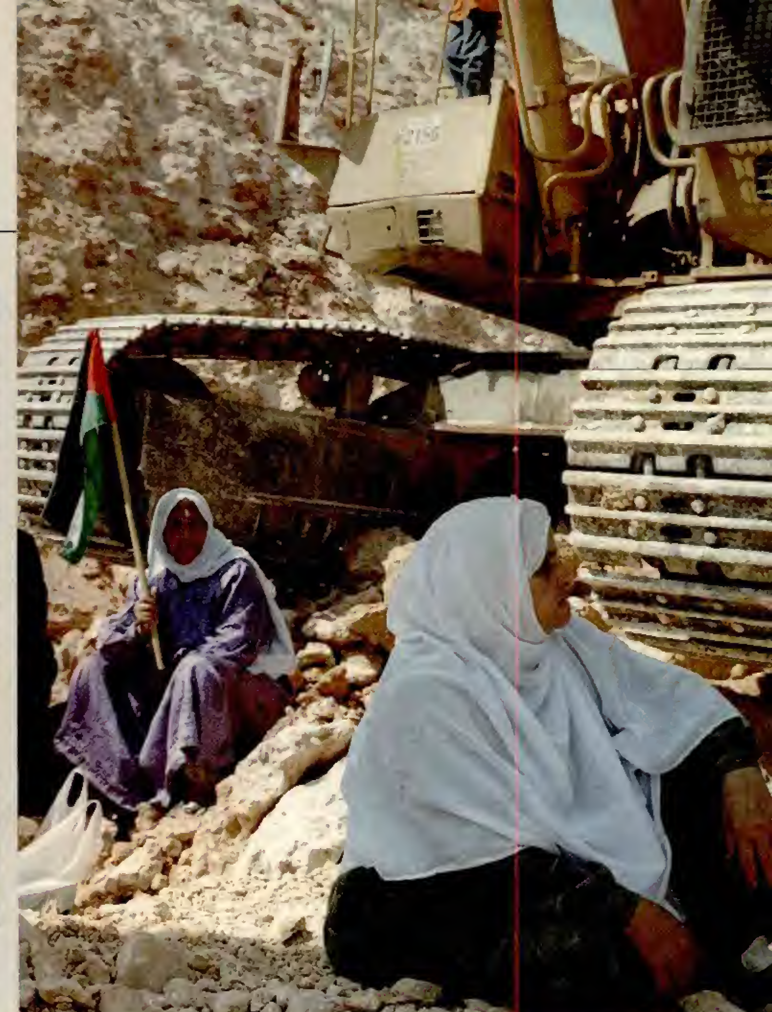
الدبابات تنتشر في كل مكان فلا مجال لالتقاط الأنفاس

خجلت من نفسي في اليوم الذي تبينت فيه أنني أستمتع بالشعور بالقوة. ليس مجرد الاستمتاع، بل بالحاجة إليها. وعندئذ، عندما يقول شخص ما فجأة لا، تقول: ماذا تعني لا؟ من أين حصلت على كذبة لتقول لي لا؟

احتياط كانت مقيمة معنا في هرسينا Harsina على إرهابيين اثنين. كان عشاء ليلة الجمعة، بطبيعة الحال، أمرًا سعيدًا جدًا، وكانت القاعدة بأجمعها في صخب مثلي. ما إن غادرت صالة العشاء حتى جاءت سيارة إسعاف مدرعة تحمل جثتي الإرهابيين، وقام ثلاثة أشخاص بوضع جثتي الإرهابيين في حال وقوف ليلتقط لها المصورون صورًا فوتغرافية. على الرغم من أنني صقعت من هذا المشهد، إلا أنني أغمضت عينيّ كيلا أرى، وغادرت، لم أشعر في الحقيقة بأنني أنظر إلى جثتي إرهابيين.

عقاب جماعي

كان منوطًا بنا إيقاف الفلسطينيين عند حاجز التفتيش، والقول لهم بأنهم من الآن فصاعدًا لا يستطيعون المرور من هذا الطريق. ربما كان بإمكانهم القيام بذلك منذ شهر مضى، لكنهم لا يستطيعون ذلك الآن. هناك من جهة أخرى هؤلاء السيدات العجائز اللواتي عليهن أن يمررن ليصلن إلى منازلهن، مما جعلنا نشير إلى جهة الفتحة (الثغرة) على الطريق حيث يستطعن الذهاب من دون أن نشعر بهن. إنه وضع سخيف مناف للعقل. عرف ضباطنا أيضًا بأمر هذه الفتحة، وأخبرونا عنها. في الحقيقة لا أحد يهتم بذلك. إن ما نقوم به عند حاجز





تدمير يومي للمنازل الفلسطينية

التفتيش يثير عجبنا. لماذا يمنع المرور؟ إنه في الحقيقة شكل من العقاب الجماعي. لا يُسمح لك بالمرور؛ لأنه لا يسمح لك بالمرور. فإن كنت تريد أن تقترف هجمة إرهابية فانقلب على عقبيك وعد من حيث أتيت.

أنا القانون هنا

خجلت من نفسي في اليوم الذي تبينت فيه بأنني ببساطة أستمتع بالشعور بالقوة. ليس مجرد الاستمتاع فحسب بل بالحاجة إليها. وعندئذ، عندما يقول شخص ما فجأة لا، تقول: ماذا تعني لا؟ من أين حصلت على كذبة لتقول لي لا؟ انس للحظة بأنني أفكر في أن جميع هؤلاء اليهود هم حمقى، وأنني حاليًا أريد سلامًا، وأعتقد أن علينا أن نتخلى عن الأراضي، كيف تجرؤ على أن تقول لي لا؟ أنا القانون!. أنا القانون هنا! كنت مرة عند حاجز تفتيش، حاجز مؤقت، ما يدعى حاجز تفتيش انحباسي يعيق الدخول إلى القرية. هناك من جهة صف من سيارات تريد الخروج، وهناك من الجانب الثاني صف من سيارات تريد الدخول، صف ضخم، وفجأة لديك قوة ضخمة على طرف أصابعك. أقف هناك، مشيرًا إلى شخص ما، أومئ إليك أن تقوم بهذا أو بذاك من الأمور، وتقوم أنت بهذا أو بذاك، تبدأ السيارة بالتحرك في اتجاهي، تقف خلفي. تتبعها السيارة التالية، تعطي أن إشارة، تقف السيارة. تبدأ باللعب بهم كلعبة حاسوب. تأتي إلى هنا، تذهب إلى هناك، كهذا. إنك لا تكاد تتحرك، تجعلهم يطيعون طرف إصبعك، إنه شعور بالجبروت.

عند الخفر في «أبو سنينا Abu Sneina» نقيم مخفر

تفتيش حيث تُوقف سيارات وتُفتش، أوقفنا شخصًا نعرفه، يتسكع دائمًا، لا يسبب إزعاجًا. تمت اتصالات، حتى عندما لا نتكلم اللغة نفسها، وحتى عندما يصعب الشرح. أوقفه الآمر قائلاً لي: «احميني من الجهة الأمامية، احميني من الجهة الخلفية».

هكذا حميته من الجهة الأمامية. يقول له الآمر: «استمر، تابع، أخرج رافق سيارتك».

لم يقم الشخص إلا بالوقوف هناك، وأخذ يحدق، لا يفهم ماذا يريدون، وهكذا صاح به الآمر بأن عليه أن يخرج الرافعة، وأن يبدأ نزع العجلات. أنا جالس بقرب جدار من حجر. يجيء الشخص نحوي، ويأخذ حجرًا ليضعه تحت السيارة، ويأخذ بعدئذ حجرًا آخر. في تلك اللحظة يأتي الآمر نحوي ويقول: «هل يبدو هذا إنسانيًا بالنسبة إليك؟» كانت على وجهه تكشيرة رهيبة، إنها توقع في النفس الرهبة، لا أستطيع القيام بشيء، ليس لدي ما يكفي من هواء لأقول أي شيء. أنزع خوذتي وأتكئ على الجدار الحجري، ولا تزال جهتي الأمامية محمية، وأبكي».

البوظة والقتل!

مر بي مرة طفل صغير وأنا في مخفري، صبي في السادسة من العمر تقريبًا قال لي: «أيها الجندي، أنصت لا تنزعج، لا تحاول أن توقفني أنا ذاهب لقتل بعض العرب». انظر إلى الصبي، ولا أفهم على وجه

ما كان الكولونيل مخاطرًا بحياته: لأنه لم يعد هناك عدو خطير. هناك فقط رغبة فلسطينية في العيش كدولة حرة، دولة لا تهدد وجود إسرائيل. ولم تهدده مطلقًا

الضبط ما المفترض بي أن أقوم به: ويقول أيضًا: «أولاً، أنا ذاهب لشراء بوظة (جيلاتي) من عند البقال» . هذا هو مخزن البقال . «ثم أذهب لأقتل بعض العرب». لم يكن لدي شيء لأقوله له. لا شيء. طُمس عليّ كليًا. ليست هذه بأمر بسيط، إنها مدينة، إنها تجربة هائلة، تستطيع إسكات شخص كان مربيًا، محاميًا، شخصًا آمن بالتربية، شخصًا آمن بالحديث إلى الناس، حتى لو اختلفت آراؤهم، لكن ليس لدى شيء لأقوله لصبي كهذا. لا شيء هناك ليقال له».

إن الوجود الحقيقي لحاجز التفتيش هو الإهانة. أنا أحرسه، أو أمكّن ٥٠٠ مستوطن يهودي من الوجود على حساب ١٥ ألف من الناس تحت الاحتلال المباشر في المنطقة، و١٤٠ ألف إلى ١٦٠ ألف آخرين في المناطق المحيطة بالخليل. لا يهم مدى لطفي. سأبقى عدوهم. ما دمت ترغب في الحفاظ على هؤلاء الـ ٥٠٠ من الناس في الخليل أحياء، وتمكنهم من الشروع في العيش بطريقة معقولة فإن عليك أن تدمر الوجود المعقول لجميع الآخرين، لا بديل لذلك. هذه هي في الأعم الأغلب الاعتبارات الأمنية الحقيقية. إنها ليست من الخيال. إن ترغب في حماية المستوطنين من أن يُستهدفوا من الأعلى، فإن عليك أن تحتل جميع الهضاب حولهم هناك أناس يعيشون على هذه الهضاب. على هؤلاء أن يكونوا مكبوتين، ينبغي اعتقالهم، ينبغي إلحاق الأذى بهم! أحيانًا. لكن ما دامت الحكومة قد قررت أن الاستيطان في الخليل سيبقى سليمًا، فإن القسوة هناك، ولا يهم إن نقم بذلك على نحو ودي أم لا».

كلما نشعر بمثل ذلك، نختار منزلاً على الخريطة. ونسلك إليه «جيش، جيش افتح الباب» ويفتحون الباب، نجمع جميع الرجال في غرفة واحدة، وجميع النساء في أخرى، ونضعهم تحت الحراسة ... ويقوم باقي أفراد

يواجهون الدبابة بالحجر

الوحدة بما يحلو لهم، باستثناء تخريب التجهيزات - يتم ذلك من دون قول - وليس هناك دعوة إلى أي شيء: علينا أن نسبب بعض الأذى للناس، أقل ما يمكن، وأقل ضرر جسدي ما أمكن. دعني أحاول تخيل الوضع العكسي: أن تدخل وحدة من الجنود منزلي - ليست قوة شرطة مع تفويض - وأن يندفع الجنود في منزلي، ويدفعون أمي وأختي الصغيرة إلى غرفة نومي، ويجبرون أبي وأخي الأصغر على الانتقال إلى غرفة الجلوس موجهين إلينا بنادقهم، ضاحكين، مبتسمين، ولا نفهم دائمًا ما يقول الجنود وهم يفتحون الدروج، ويعبثون بالأشياء، وفجأة

من الضحية؟



يسقط شيء وينكسر، وتتناثر جميع أصناف الصور، صور جدتي وجدي، وجميع أنواع الأشياء العاطفية التي لا ترغب في أن يراها أي كان، لا تسويغ لهذا. إن يكن هناك شبهة بأن إرهابيًا قد دخل دارًا، فليكن. لندخل أي منزل كان: هنا اخترت منزلاً، ما أمتع ذلك! دخلنا المنزل، وفتشناه، وألحقنا به بعض الظلم والجور. لقد حققنا وجودنا العسكري، ومن ثم رحلنا.

يحصل الكولونيل المتقاعد من الجيش، وهو في الخامسة والأربعين من العمر على مبلغ إجمالي يقارب مليوني دولار، إضافة إلى راتب تقاعدي طوال العمر. ووظيفة أخرى. عادةً كمدير لإحدى الشركات الضخمة

الخوف من الموت دائمًا

هناك ارتباط واضح جدًا وقوي بين المدة التي تقضي فيها خدمتك العسكرية في المناطق المحتلة، والمدة التي تُضرب بها ضربًا موجعًا على الرأس. إن يقض شخص ما نصف سنة في المناطق المحتلة فهو مبتدئ، ولا يسمحون له بالانتقال إلى الأماكن الممتعة. يقوم بخدمة عسكرية فعلية بالحراسة، وكل ما يقوم به هو أن يزداد في النمو، ويزداد في القسوة، والغضب من قبل اليهود والعرب والجيش والدولة. يطلقون على ذلك التَّنَمُّل أو التَّمْسَحة. لكنني لم أعد كذلك؛ لأن الخدمة في المناطق المحتلة ليست تنملاً أو تمسحة، إنها قمة، نوع من قمة سلبية: تكون تعبًا دائمًا، جائعًا دائمًا، ويترتب عليك دائمًا أن تذهب إلى دار الخلاء، تكون خائفًا من الموت باستمرار. تكون تواقًا دائمًا إلى القبض على الإرهابي. إنها حياة لا راحة فيها حتى إنك عندما تنام لا تنام ملء جفنيك ... إنني لا أتذكر - ولا مرة واحدة - أنني نمت نومًا هادئًا في الخليل. إنها مجرد تجربة لا ينبغي لكائن بشري أن يعانيها، إنها تصيبك بوجع في الرأس. إنها تجربة حيوان تم اصطياده، حيوان صيد حيوان وكفى!.

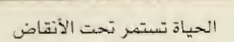
تصرف غير أخلاقي

عندما خدمت في الخليل، شعرت للمرة الأولى في حياتي بإحساس مخالف حول كوني يهوديًا، إحساس لا أستطيع تفسيره. غير أن مقام إبراهيم (الحرم الإبراهيمي) (٧) مدينة الأجداد تلبي حاجة لي. لا أعرف إن كنت أدافع عن دولة إسرائيل، غير أنني كنت مدافعًا عن اليهود الذين هم جزء من الدولة، وفي مدينة حيث النزاع مختلف عن المدن العربية الأخرى. كان طريق المصلين، في أحد الأيام، على نحو غير متوقع، بدأ فريق من ست نساء يهوديات مع ست أو سبع فتيات صغيرات فقط بالركض هنا وهناك، ثم أخذن بضرب المقاعد بأقدامهن، وقلبها رأسًا على عقب، والبصق على عرب وأناس مسنين. تناولت إحدى النساء حجرًا، وحطمت نافذة دكان حلاق، خرج رجل من الدكان، ووجدت نفسي، من جهة، محاولاً إبعاد الحجر منها وعنها. ومن جهة أخرى، الدفاع عنها بحيث لا تصاب بما لا تحمد عقباه. وهكذا من جهة تقول لنفسك، فليذهب الرجل إلى الجحيم، إذ من المفترض أن أدافع عن اليهود الموجودين هنا غير أن هؤلاء اليهود لا يتصرفون بالأخلاقية أو القيم نفسها التي ربيت عليها، فهم يكتبون على أبواب العرب: «اطردوا العرب»، أو «الموت للعرب»، وأن يرسموا على الأبواب نجمة داود، التي هي بالنسبة إلي عندما يرسمونها كذلك، كالصليب المعقوف (٨)، عندئذ تبدل المصطلح «يهودي» بعض الشيء بالنسبة إلي.



في كل بيت شهيد أو أسير





الحياة تستمر تحت الأنقاض

حالة لا تنسى

كنت مرة في الخليل، عندما جاء رجل في الخمسينيات أو الستينيات من العمر مع بعض النسوة والأولاد الصغار من بوابة خارجية قرب موقعنا تقود إلى القصبة، التي يمنع الدخول أو الخروج منها. تسير إليه وتقول له بالعربية: «قف، هناك منع تجول، اذهب إلى المنزل» .. عندئذ يبدأ في الجدال معك، ويغدو وقحًا، كما لو أنه يعتقد بأن سيمر في نهاية الأمر، إنه لا يحاول التسلل، إنه يعتقد في الحقيقة، يعتقد بأنه على حق. وهذا يربكك. تتذكر أنك بالفعل ترغب في السماح له بالمرور، لكن ، لا يفترض فيك أن تتركه يمر، وكيف يجرؤ على الوقوف هنا أمامك ... أخيرًا تصل دورية العسس، ومن جدال بين جنديين وعشرة من الناس يغدو النزاع بين عشرة جنود وعشرة من الناس، نزاع مع ضابط هو على نحو طبيعي أقل ميلاً إلى كبح نفسه. تُنْصَب أسلحة، لا توجَّه إليه، بل إلى ساقيه. «ابتعد من هنا، أذهب إلى الجحيم، كفاك كلام فارغ».

فريق ضم نحو ١٥ يهوديًا جاؤوا من فرنسا.التقطوا كل حجر رأوه، وأخذوا يرمونه على نوافذ العرب. ليست القصة هنا قصة رعب: لكن ما أزعجني هو أن يكون هناك من أخبرهم أن هناك مكانًا في العالم حيث يستطيع اليهودي أن يرمي بغيظه وكيده الشعب العربي

كنت أقف بالقرب منه .. على بعد نحو متر أو مترين. كان حسن الهندام، مرتديًا طقمًا، ومعتمرًا كوفية: كان يبدو في الحقيقة جديرًا بالاحترام. وكنت واقفًا هناك وسلاحي قريب من صدري، محاولاً الدفاع عن نفسي، وحماية لنفسي. كنت أخشى أن يحاول القيام بشيء ما. كان الجو مشحونًا أكثر من العادة. ثم يبرز صدره، وقبضتاه مغلقتان بإحكام. يتحرك إصبعي إلى مزلاج الأمان، وعندئذ أرى عينيه غارقتين بالدموع، ويقول شيئًا بالعربية، يدور حول نفسه ويذهب، وتلحق به جماعته. لست متأكدًا تمامًا لماذا انطبع هذا الحدث في ذاكرتي متقدمًا على كل ما انطبع فيها عبر كل السنين. أخبرت الناس بالانصراف حالاً عندما كان هناك منع تجول، لكن كان هناك شيء ما نبيل جدًا حوله، وشعرت كأنني غثاء على الأرض ماذا يماثل ما أقول به هنا؟!.

يقذفون العرب !

وصل صباح ذلك اليوم فريق كبير - إلى حد ما - إلى الخليل، فريق ضم نحو ١٥ يهوديًا من فرنسا، كانوا بأجمعهم يهودًا متدينين. كانوا في حالة نفسية جيدة، قضوا في الحقيقة وقتًا رائعًا، وقضيت كامل

السبب الذي يجعل الـ B B C. شركة التلفزة العالمية تعدّ "معادية" هنا. ليس نتيجة لفضيحة فانونو . بل بسبب الصور التي تنشرها عن كل ألم يومي على الجانب الآخر من الطريق

مناوبتي مراقبًا على نحو موصول هنا وهناك هذه العصابة اليهودية، ومحاولاً منعهم من تخريب المدينة. كانوا لا يقومون إلا بالتجوال، التقطوا كل حجر رأوه، وأخذوا يرمونه على نوافذ العرب، ويقلبون كل ما اعترضهم، ليست القصة هنا قصة رعب: لم يمسكوا بعربي ما ليقتلوه، أو ليقوموا بشيء مماثل، لكن ما أزعجني هو قد يكون هناك من أخبرهم أن هناك مكانًا في العالم حيث يستطيع اليهودي أن يرمي بغيظه وكيده الشعب العربي، وأن يقوم بكل بساطة بعمل أي شيء. يأتي إلى مدينة فلسطينية، ويقوم بكل ما يحلو له، وسيكون الجنود دائمًا هناك لدعمه ومساندته، أزعجني، لأن عملي هو حمايتهم والتأكد من عدم إصابتهم بأي مكروه !..

المراجع

1- London Revievi of Books 22 July 2004.

٢. فانونو هو اختصاصي الطاقة الذرية الإسرائيلي الذي فضح كتمان إسرائيل لأسلحتها النووية. (المترجم).

٣. Auschivitz في بولونيا قرب كاتوفيس Katovice حيث توجد أربع مقابر إبادة ألمانية من عام ١٩٤٠م إلى عام ١٩٤٥م (المترجم).

٤. Refusenik عالم سوفييتي وحظرت عليه الهجرة(المترجم).

٥. قالها بالعامية: «وَقِّفْ».

٦. المغيبة: امرأة زوجها غائب عنها مؤقتًا(المترجم).

٧. The Tomb of The Patriarchs مقام إبراهيم حيث قبر إبراهيم الخليل وزوجته سارة. وإسحق ويعقوب ورفقة، والذي استولى عليه اليهود ومنعوا المسلمين من الصلاة في الحرم.

٨. Swastika الصليب المعقوف (شارة الحزب النازي والرايخ الثالث) (المترجم).



مليلية المغربية وخمسة قرون من الاحتلال

محمد القاضي

طنجة ــ المغرب

كانت مدينة مليلية أول هدف رسمه الإسبانيون للنيل من الوحدة الترابية للمغرب عملاً بوصية عاهلة إسبانيا (إزابيلا) قبل وفاتها، إذ أوصت بما يأتي: "أرجو من ابنتي، ومن زوجي فيرناندو تجنيد أنفسهما كليًا لاحتلال إفريقية وخوض الحرب ضد المغاربة في سبيل العقيدة" (1). وقد تكلف بذلك القائد (بيدرودي إيسطوبينيان) الذي نال لقب "دوق مدينة شيدونة" وذلك يوم 17 سبتمبر/ أيلول1497م، ومنذ ذلك التاريخ وهي محتلة من طرف الإسبان الذين احتفلوا بالذكرى المئوية الخامسة للاحتلال في سبتمبر 1997م.

وتقع المدينة على الجناح الشرقي من الشاطئ المطل على البحر الأبيض المتوسط، على بعد عشرة كيلومترات من مدينة الناضور، وتبلغ مساحتها ما يربو على اثني عشر كيلو مترًا مربعًا. وتعدّ منطقة مليلية من أعرق المناطق المغربية؛ وذلك لاكتشاف آثار بها يرجع تاريخها إلى ما بين ٤٠٠٠ و ٤٥٠٠ سنة، فهي من أقدم ما خلفه الإنسان في القارة الإفريقية. وقد عثر في المغارة الواقعة قرب حي الدستور في طريق (فرخانة) على بقايا هياكل عظمية بشرية، ومواد خزفية، ربما رجعت - حسب بعض التقديرات - إلى أوائل عصر البرونز. والواقع أن تاريخ مليلية وكذلك سبتة التي لا ينفصل تاريخ إحداها عن الأخرى - يرجع إلى عهد الفينيقيين الذين جعلوا منهما مرحلتين في مسارهم نحو السواحل الإفريقية في المحيط الأطلسي. وكان تأسيس مليلية باسم روسادير Rusadir (رأس الدير الفينيقي) يدخل ضمن خلق مراكز حضارية فينيقية على الساحل المتوسطي، وهي التي ستتحول فيما بعد إلى حضارة بونيقية بعد سقوط الدولة الفينيقية في شرق البحر الأبيض المتوسط.. وكان القوطي آخر من



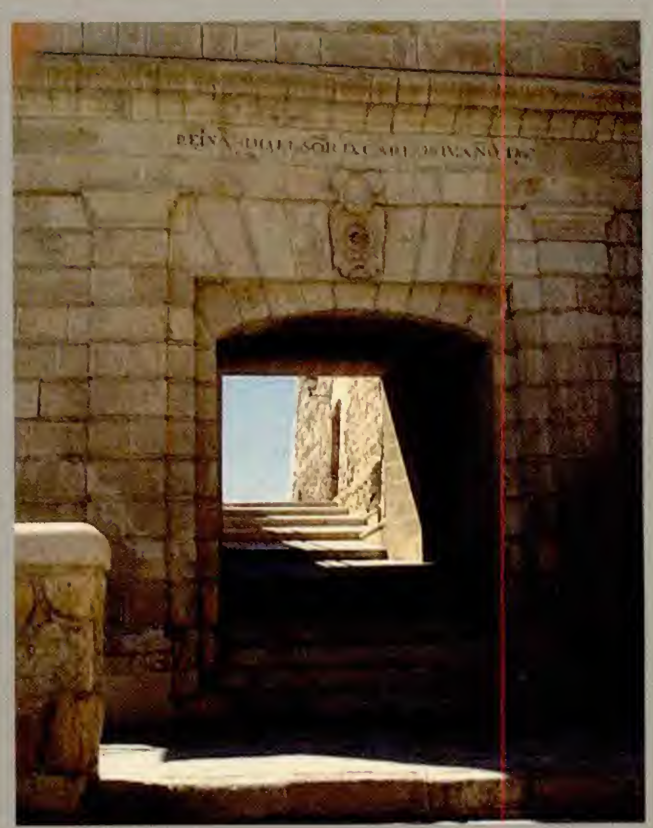
ملك العدوة الشمالية للبحر المتوسط طوال نحو أربعمئة سنة حسب ابن خلدون، ووصل موسى بن نصير إليها عام ٧١٠م /٩٢هـ (٢).

وتحيط بمدينة مليلية جماعة فرخانة، بالإضافة إلى جماعتين هما: بنو إنّقار، وبنو شيكير، وهي كلها قبائل ريفية بربرية، كما أن لها سبعة أبواب للدخول إليها، خمسة منها مغلقة بصفة دائمة، وهي: باب رُوسْيتر، وغُود، وباب بارْيُو تشيكو، وباب مَاري وَاري، وباب بني شيكيره، وباب أيَاسِينا، وبالإضافة إلى هذه الأبواب الخمسة هناك باب فرخانة الذي يفتح نهارًا فقط، وباب بني أنصار المفتوح باستمرار وبصفة دائمة والمؤدي إلى مدينة الناضور.

مليلية بعد الفتح الإسلامي

شملها الفتح الإسلامي للمغرب، ورحبت كباقي مدن المغرب بالفاتح الجديد، واعتنق سكانها الإسلام، وأصبحت منذ ذلك التاريخ تحمل اسم (مليلية). استقر بها في القرن الأول للهجرة أمراء بني يفرن، ثم جدد بناءها موسى بن أبي العافية، كما احتلها أمويو الأندلس عام ٩٢٦م، ثم



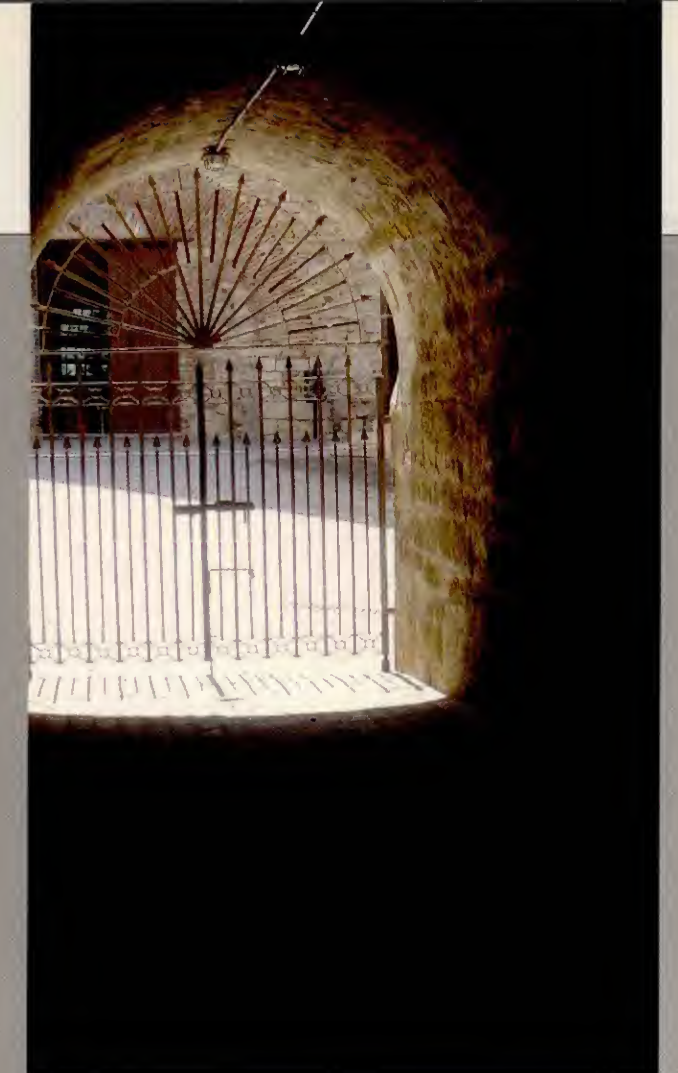


امتلك يوسف بن تاشفين أمير المرابطين جميع بلاد الريف من مليلية إلى سبتة حيث زحف سنة ٤٧٩هـ نحو الأندلس ليحقق انتصارًا على النصارى في معركة الزلاقة الشهيرة. كما أنشأ بها الموحدون والمرينيون عدة منشآت.

وقد ورد ذكرها عند البكري والحسن الوزان (ليون الإفريقي)، والزياني وغيرهم من جغرافيي المغرب والأندلس. فقد جاء في كتاب: «المغرب في ذكر إفريقية والمغرب» أن مليلية مدينة مسورة بسور حجارة. وداخلها قصبة مانعة، وفيها مسجد جامع وحمامات وأسواق. وأن عبدالرحمن الناصر قد احتل المدينة سنة ٣١٤هـ/٩٢٦م.

وكانت لمليلية وظيفة تجارية، وتؤكد هذه الوظيفة، زيادة على الأسواق المشار إليها بعض القوانين الصارمة التي كان يخضع لها التجار غير الأهليين، إذ إن هؤلاء كانوا بموجبها، موضوعين تحت مراقبة شديدة يقوم بها أحد سكان المدينة، والقوانين هذه تذكرنا في بعض الجوانب وإلى حد ما بالقوانين التي كان العمل بها جاريًا في بيزنطة في الفترة نفسها.

أما فيما يخص نشاط الميناء فيكتفي البكري بالإشارة إلى هذا الأخير بأنه شبيه بالموانئ الأخرى الواقعة في المنطقة الساحلية من البحر الأبيض المتوسط، وأنه (صيفي). وأن الميناء الذي يواجهه بالشاطئ الأندلسي هو مرسى مدينة (شلوبينة) وهي في الخرائط الحديثة تقع بين مدينتي (المُونيكاره) و(مُوترِيلْ) الإسبانيتين. أما سكان هذه الناحية فهم برابرة من غساسة، وهم من نفزاوة (٣).




ويذكر الحسن الوزان في كتابه «وصف إفريقية» بأن مليلية مدينة كبيرة قديمة، أسسها الأفارقة على رأس خليج بالبحر المتوسط وفيها نحو ألفي كانون، وقد كانت مزدهرة جدًا لأنها كانت عاصمة المنطقة، ولها إقليم كبير ينتج كمية مهمة من الحديد والعسل، ومنه اشتق اسمها مليلية الذي يعني العسل بالبربرية (تامنت) في لغة الأفارقة.

وفي القديم كان يصاد في المرسى نفسه صدف اللؤلؤ، وكانت مليلية حينًا من الدهر خاضعة للقوطي، لكن المسلمين فتحوها بعد ذلك، وهرب القوطي إلى الأندلس التي تبعد عن المدينة مئة ميل، وهو عرض البحر عن هذا المكان (٤).

ويرى الباحث الأستاذ عبدالعزيز بنعبدالله: أن مليلية لم تبرز طوال هذه الفترة كمرسى حربي وهي محاطة بموانئ على ساحل البحر الأبيض المتوسط لها أهميتها مثل ميناء (بني إنقار) قرب مليلية الذي جهز ليصبح من أكبر موانئ المتوسط، وكذلك المرسى الذي أطلق عليه الأتراك اسم الميناء الجديد، وهو حصن (مسار تشيكا)، ويوجد مرسى ثالث هو مرسى (غساسة) الذي كانت ترسو فيه أساطيل الأندلس الواردة إلى المغرب. ويوجد بجانبه مرسى (هرك)، وهو من مراسي (نكور)، ومرسى (ورك) الذي يبعد عن مليلية غربًا خمسة عشر كلم. تتوفر على ملاحات كانت تستخرج منها في الماضي أملاح تنقل إلى قبائل الريف بحرًا عن طريق الميناء المذكور.

أما مرسى مدينة الناضور الواقع على بعد أميال من مليلية فإنه يشكل مع المراسي المذكورة طاقمًا سياحيًا



واقتصاديًا بليغ الأهمية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، يعزز منطقة مليلية التي تزخر بالمراكز التجارية والصناعية، وخاصة منها مصانع الأسماك. وتشكل التجارة والصيد البحري عماد الاقتصاد في المدينة (٥).

مليلية والاحتلال الإسباني

لم يكد الإسبانيون ينهون ما يسمونه بحملة استرجاع الأندلس سقوط مملكة غرناطة يوم ثاني يناير/ كانون الثاني عام ١٤٩٢م في أيدي «الملكين الكاثوليكيين» حتى شرعوا يغيرون على الشواطئ المغربية والعمل على الاستقرار بها عملاً بوصية الملكة إزابيلا حتى لا يعود المسلمون إلى فتح الأندلس مرة أخرى. وكانت مملكة البرتغال قد شرعت حينذاك تنافس الدولة الإسبانية الناشئة في حملة الاعتداء على المغرب. وقد استطاع ملك البرتغال في معاهدة ALcagavas المبرمة يوم ٤ سبتمبر/ أيلول عام ١٤٧٩م أن يحمل إسبانيا على اعتبار مليلية جزءًا من المملكة المغربية بعد أن كانت تعدّها تابعة لمملكة تلمسان. وكان السلطان محمد الشيخ الوطاسي قد اتفق مع سلطان تلمسان على أن يهجر مدينة مليلية على أثر

مليلية مدينة، أسسها الأفارقة على رأس خليج بالبحر المتوسط. وقد كانت مزدهرة جدًا لأنها كانت عاصمة المنطقة. ولها إقليم كبير ينتج كمية مهمة من الحديد والعسل. ومنه اشتق اسمها مليلية الذي يعني العسل بالبربرية (تامنت) في لغة الأفارقة

الخلاف المحتدم الطويل الذي نتج بينهما حول ملكيتها. فاستغل الإسبانيون هذا الخلاف، وما نتج منه، فاغتصبوا مليلية في ١٧ سبتمبر ١٤٩٧م، وفتح الاحتلال الإسباني للمدينة باب الصراع بين السكان (الريفيين) والإسبان الذي ظل سجالاً بينهم، وأثّر في حياتهم اليومية.

وما إن نزل الجنود الإسبان بهذه المدينة حتى بدأ المغاربة سلسلة من المحاولات لاسترجاعها دون أن يكتب لها النجاح أبدًا حربًا وسلمًا.

وقد ضرب الحصار على المدينة بصفة تكاد تكون مستمرة خلال ما يزيد على أربعة قرون.

ففي سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م قاد المجاهد المرابطي محمد الكزنائي مسيرة شعبية سلمية نحو مليلية من أجل رد

الهزيمة الكبرى التي مني بها الإسبانيون طوال احتلالهم لمليلية نزلت بساحتهم عام ١٩٢١م في ساحة "أنوال" أو كارثة أنوال كما يسميها المؤرخون الإسبان. وانهيار القيادة العليا بمليلية في هذه السنة بعد هجوم القائد البطل محمد عبدالكريم الخطابي عليها

التحدي الإسباني وصيانة المنطقة من ترسيخ الاحتلال والتوسع. وظل المغاربة خلال القرن السابع عشر الميلادي يقومون بعدة أعمال عسكرية، تتفاوت خطورتها وأهميتها. فقام جيش السلطان إسماعيل العلوي بمحاصرة المدينة حولين كاملين في أعقاب القرن السابع عشر. إلا أن متانة التحصينات حالت دون تحقيق الانتصار والتحرير. وكثيرًا ما رددت المراجع الإسبانية أن مليلية لم تشهد حصارًا أعنف مما عرفته أواخر القرن السابع عشر، وأشارت بالذات إلى عامي ١٦٧٨و١٦٧٩م معلنة عن سقوط سلسلة من الأبراج المهمة، وتراجع الإسبان خلال هذه المدة إلى أسوار المدينة القديمة.

أما المحاولة الثانية لاسترجاع مليلية فكانت في عهد السلطان محمد بن عبدالله، وذلك خلال عام ١٧٧٠م ثم في عام ١٧٧٤م بعد ذلك. ولكنها انتهت بعقد الصلح، وعدم الاعتداء في ٣٠ مايو ١٧٨٠م.

وبذلك استمر احتلال إسبانيا للمدينة مرة أخرى؛ لأن سيطرة الأسطول الإسباني على البحر ضمنت تمويل المدينة، بالإضافة إلى نجاحه في الحيلولة دون وصول الذخيرة والعتاد إلى المغرب من الخارج. ولكن المغاربة لم ييأسوا من الجهاد، فقاموا عام ١٨٤٤م بمهاجمة المدينة، ومع ضعف السلطة المركزية، وجهت الحكومة الإسبانية إنذارًا إلى السلطان تطالبه بوقف أعمال الاعتداء حسب تعبيرها، وبتخويل إسبانيا أرضًا تمكنها من الدفاع عن المدينة، بالإضافة إلى إجبارها على إرسال كتيبة من القوات النظامية لتحول بين القبائل الريفية ومواصلة هجماتها على المدينة (٦).

مليلية: المقاومة والتصدي

في عام ١٨٩٣م نشبت الحرب المعروفة (بحرب مليلية) التي كانت بداية مرحلة جديدة في تاريخ المدينة اقترنت بتطورها ونموها.



تميزت المدينة القديمة بوجود أسوار وأبراج قديمة

وفي عـام ١٩٠٩م هجم أهل الريف على أحـواز مليليـة والسكة الحديدية التي مدّها الإسبانيون لحمل ما يستخرجونه من مناجم الحديد لتصديره من مينائها المهم. وكان رئيس المجاهدين الشريف محمد أمزيان بطل الريف الأول، قد أصدر أوامره بالهجوم على العمال الإسبانيين الذين كانوا يقومون ببناء الجسور ومدّ طريق السكة الحديدية، فصدع بالأمر الشيخ المختار بن بو عرفة البُويْفروري ومعه نحو خمسة وعشرين من مختلف رجال قبائل «قَلْعِيّة»، وهو أول اصطدام وقع بين المغاربة الريفيين والإسبان، فقتلوا قسماً منهم وجرحوا قسماً آخر وقبضوا على بعضهم، وفرّ الباقون إلى مليلية (٧).

أما الهزيمة الكبرى التي مني بها الإسبانيون طوال احتلالهم لمليلية فقد نزلت بساحتهم عام ١٩٢١م في ساحة «أنوال» أو كارثة أنوال كما يسميها المؤرخون الإسبان (٨)،

وانهيار القيادة العليا بمليلية في هذه السنة بعد هجوم القائد البطل محمد عبدالكريم الخطابي عليها، فكبدها أفدح الهزائم التي شهدها الجيش الإسباني بتراب المغرب على اختلاف عصور وجوده بهذه الديار وتفاوتها(٩)، إذ تمكن هذا الزعيم من ملاحقة القوات الإسبانية انطلاقًا من أنوال إلى جبل العروي على مدى ٧٠كلم، كان خلالها المنهزمون مرتبكين وهاربين في شكل فوضوي من دون رد فعل أو مقاومة، وعلى الرغم من محاولة الجنرال (ناقرو) المسؤول الثاني بعد (سلفستر) الذي انهزم في أنوال إيقاف هذا الاندحار العام بجمعه نحو ثلاثة آلاف جندي بمركز العروي، فإنه أخفق بعد حصار المجاهدين لهذا المركز وقضائهم نهائيًا على هذه المحاولة اليائسة، وحرروا باقي المناطق والمراكز إلى أن وقفوا عند أبواب مليلية نفسها. وكانت الأوساط الإسبانية تترقب في ذعر وهلع بين الفينة والأخرى دخول المجاهدين إليها وتحريرها. وقد وصف المقيم العام الإسباني (بيرنكير) في قصته (مليلية المرغوب فيها) الأجواء العامة للمدينة قائلاً: في صباح ٢٣ يوليو/ تموز عام ١٩٢١م نشر أحدهم خبر زحف المغاربة على الطريق الأمامي للناضور واستعدادهم للدخول إلى مليلية، وكانت بعض الدقائق كافية لينتشر الخبر في كل أرجاء المدينة، مما أدى إلى حركة لا تنسى، في الشوارع يهرع الناس طائشين طالبين ملجأ بالقلعة القديمة.. الناس يهرعون ويصرخون في الشوارع، وكأن المتمردين قادمون (١٠).

من خلال هذا النص يظهر جليًا أن ميزان القوى كان لمصلحة محمد عبدالكريم الخطابي والمجاهدين لتحرير مليلية، إذ إن دخولهم إليها كان مرتقبًا ومنتظرًا من قبل الإسبانيين الذين كانوا ينظرون إلى البحر استعدادًا للهروب باحثين عن باخرة تقلهم إلى مدينة مالقة الإسبانية. إذًا فالسؤال المطروح هو لماذا لم يقدم المجاهدون وزعيمهم على تحرير مليلية؟

سؤال بقي معلقًا من دون جواب شاف على الرغم من التبريرات والتصريحات والافتراضات، ربما قد يكشف عنه الزمن في المستقبل!.

وهكذا نرى أن قضية الوجود الإسباني بمليلية كانت مطروحة بحدة على المستوى الشعبي والمركزي، ولم يكن الاختيار سوى حل واحد وهو: الحث على الجهاد، ومحاولة التخلص من الاحتلال، وصد الاستعمار. وقد عانت إسبانيا الويلات من جراء هذا النوع من النضال، ولم يهدأ لها بال إلا بعد إبرام المعاهدة السرية الإسبانية الفرنسية لتقسيم المغرب وفرض الحماية عليه عام ١٩١٢م، والتي استمرت قرابة نصف قرن، عرفت فيها إسبانيا أحداثًا مهمة وتحولات خطيرة (المقاومة المغربية في الشمال، انهيار الملكية، قيام النظام الجمهوري، الحرب الأهلية (١٩٣٦ - ١٩٣٩م) استبداد فرانكو بالحكم، عودة الملكية في شخص الملك الحالي خوان كارلوس).

تشكل ساحة إسبانيا الدائرية الشكل القلب النابض للمدينة، ومنها ينطلق الشارع الرئيس الذي يصل إلى الحي التجاري المغربي، والمعروف بحي Rastro الذي يقطنه المغاربة، ويؤمه التجار المسلمون القادمون من مدينة الناضور أو من الجهات القريبة من مليلية

مليلية وتجدد الصراع بين المغرب وإسبانيا

ولكن المغرب ما فتئ يطالب باسترجاع مدينة مليلية، وشقيقتها سبتة، سواء في المحافل الدولية أو فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية بين البلدين، إلاّ أن إسبانيا تمعن في تجاهل الطرح المغربي، ويرى الباحث محمد العربي المساري أن المجادلين من الجانب الإسباني في حق المغرب في

استرجاع المدينتين يستعملون حججًا متنوعة، أشهرها نكتة طالما لاكتها الألسن فحواها أن المدينتين إسبانيتان (من قبل أن توجد الدولة المغربية) والواقع يدحض ذلك بطبيعة الحال، لأن إسبانيا في حد ذاتها كمملكة موحدة لم تظهر إلا في نهاية القرن الخامس عشر، أما المغرب ككيان دولي فهو يسبق ذلك بستة قرون (١١). والشيء الغريب في موقف

ذلك مخالف لرغبة السكان.

وكان المغرب قد اقترح في يناير عام ١٩٨٧م على إسبانيا تكوين خلية للتفكير في مشكلة الجيوب التي ما زالت تحتفظ بها هذه الأخيرة على السواحل المغربية الشمالية. وفي صيغة الاقتراح هذا جاءت عبارة: الحقوق الثابتة للمغرب والمصالح الحيوية لإسبانيا في



الحكومة الإسبانية، أنها تنظر بمنظارين مختلفين لمشكلة جبل طارق من جهة ومشكلة مدينة مليلية وسبتة من جهة ثانية. ففي الوقت الذي ترفض فيه إجراء استفتاء في جبل طارق، وتصر على إعادته رغمًا عن رغبة أهله إلى إسبانيا على أساس أنه جزء من أرضها، ترفض في الوقت نفسه إعادة المدينتين المغربيتين إلى الوطن الأم المغرب بحجة أن

المنطقة، إشارة إلى الإطار الذي يجب أن يوجد فيه حل لهذه الجيوب.

وفي نهاية مؤتمر الدار البيضاء الاقتصادي الدولي، صرح رئيس الحكومة الإسبانية السابق (فيليبي غونتاليت): أننا لا نستبعد أبدًا الإشارة إلى الحوار. ولا تعني (الخلية) شيئًا غير هذا، موضوعًا للحوار. ما لا

نعرفه هو إن كانت معاهدة صداقتنا تستوعب حواراً يسمح أيضًا بالتعاون مع مدينتي مثل سبتة ومليلية، وهذا شيء يمكن أن نأخذه في الحسبان (١٢).

أما الأديب الإسباني الكبير خوان غويتسولو فقد صرح عام ١٩٨٧م لصحيفة الاتحاد الاشتراكي المغربية بما يأتي: «إن معرفة الماضي هي من الأهمية بمكان للحكم على الحاضر وللوقاية من المستقبل لأن من لا علم له بأخطاء الماضي محكوم عليه بارتكابها من جديد، ومن ثمة فإنه من الضروري التوفر في آن واحد على معرفة تاريخية ونظرة تاريخية ولو كانت وجيزة للإلمام بهذه المشكلات بكيفية تعريفية وعدم اتباع سياسة النعامة التي كنت قد أدنتها ونددت بها منذ سنوات، وفي الوقت الذي لم يكن يوجد فيه، ظاهريًا أي مشكلة في مدينتي سبتة ومليلية. إذ ذاك كنت أردد أن تلك الظروف السياسية كانت ملائمة لفتح مفاوضات على المدى البعيد ومن دون أي استعجال، حول مستقبل هذه الجيوب التابعة للسيادة المغربية. وجدير بالذكر أن اقتراحي هذا كان قد لقي في تلك الآونة عدة عراقيل نتيجة الضجة السياسية التي أثارتها الأحزاب الإسبانية (١٣).



قضية الوجود الإسباني بمليلية كانت مطروحة بحدة على المستوى الشعبي والمركزي، ولم يكن الاختيار سوى حل واحد وهو: الحث على الجهاد، ومحاولة التخلص من الاحتلال، وصد الاستعمار

مليلية: الواقع والحلم

إن الزائر للمدينة لا بد أن يمر عبر إحدى النقطتين الحدوديتين: بني إنقار - أو فرخانة. وعلى الضفة الأخرى من الحدود ينتشر عدد من المتاجر الكبيرة لبيع المواد الغذائية والآلات الإلكترونية المستوردة من دول شرق آسيا، وذلك تسهيلاً لعملية التهريب وتجنبًا للاكتظاظ وسط المدينة التي شهدت في السنوات الأخيرة حركة عمرانية غير عادية وخصوصًا القسم الأوربي منها. أما الأحياء التي يقطنها المغاربة وتوجد في المدينة القديمة M. Vieja، فإن نصيبها الإصلاح والترميم فقط. وقد سمح لهم بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية الخامسة عام ١٩٩٧م ببناء منازلهم حتى ولو كانت عشوائية، بينما كان يمنع عليهم ذلك في بداية السبعينيات بدعوى أن ذلك قد يساهم في ترسيخ الطابع المغربي للمدينة!

وتشكل ساحة إسبانيا الدائرية الشكل القلب النابض للمدينة، ومنها ينطلق الشارع الرئيس الذي يصل إلى الحي



التـجـاري المغـربي، والمعـروف بحي Rastro الذي يقطنه المغـاربة، ويؤمـه التـجـار المسلمـون القـادمـون من مـدينة الناضـور أو من الجـهـات القـريبـة من مليلية، حيث تكثـر المحلات التجارية وبائعو الأرصفة الذين يعرضون بضاعتهم

على المارة!. كما يوجد بالمدينة القديمة مسجدان كبيران، ونحو خمسة مساجد صغيرة أو ستة منتشرة في الأحياء المغـربيـة ذات الأزقـة الضيـقـة الخـاليـة من أي مظهـر من مظاهر الفن المعماري العربي والإسلامي، كما توجد مقبرة

للمسلمين، ومدرسة إسلامية يتناوب عليها معلمون مغاربة تعينهم وزارة التربية المغربية.

إن أهم ما يميز المدينة القديمة هو وجود أسوار وأبراج قديمة، والقصبة التي تعدّ أول مكان تم احتلاله عام ١٤٩٧م. وتشكل الساكنة ذات الأصل الإسباني (ستون ألف نسمة يكوّن الجنود ورجال الأمن الإسبانيون نسبة هائلة منهم مقابل ثلاثين ألف نسمة من المغاربة)؛ إضافة إلى التجار الهنود واليهود الذين يشكلون جالية مهمة بالمدينة.

هذه هي مدينة مليلية المغربية السليبة. وقد احتفل مغتصبوها بالمئة الخامسة منذ أن وطئت أقدامهم أرضها. إنها الواقع والحلم! الكائن والممكن والمستحيل! ونردد مع الشاعر المغربي علي الصقلي على لسان ابن مليلية هذه الأبيات:

أمي، وليس بقلبي
يفيض غير هواك
ولا سنةٌ ملء عيني
يشع مثل سناك
ولا بهاء تصبُّه
روحي كسحر بهاك
ما لي أراك وما لوَّ
حتِ ببشرى يداك؟
ولا وشت ببريقٍ
من الرضا مقلتاك
تراك تطوين نفسًا
على جروح؟ تراك؟
غدًا أراك وقد أيـ
نع الهنا من ذُراكِ
وسار يسحب ذيل الـ
علا كأمس فتاكِ
وليس ما قد تردى
إلى نسيج عُلاكِ
عهد السماء على كلِّ
مغربيٍّ فداكِ(١٤)

الهوامش والمراجع

- مليلة) هو الاسم المغربي الأصيل الذي عرفت به في جميع المصادر المغربية والأجنبية والخرائط الأوربية إلى نهاية القرن السابع عشر، ثم بدأ التحوير بصفة رسمية فأصبحت (مليلية). وهو الاسم الذي فضلنا كتابته كما ينطق به اليوم.
١. انظر مجلة (البحث العلمي) عدد ٣٥ ص٢٦٣.
٢. انظر صحيفة (العلم) المغربية، عدد ٦، نوفمبر ١٩٩٤م، ص٤. مقال عبدالعزيز بنعبدالله عن (سبتة ومليلية).
٣. نقلاً عن صحيفة العلم، المرجع نفسه ص٤.
٤. انظر كتاب: وصف إفريقيا، الجزء الأول: ص ٢٦٥ و ٢٦٦.
٥. صحيفة العلم، مرجع سابق ص٤.
٦. انظر مجلة «دعوة الحق» المغربية، عدد ٨، السنة ٣، ١٩٦٠م (مليلية في تاريخ المغرب القديم والحديث) الأستاذ عبداللطيف الخطيب، ص٣٢.
٧. انظر كتاب: «الكشف والبيان عن سيرة بطل الريف الأول» للأستاذ العربي الورياشي، ص١١٩.
٨. انظر كتاب الصحفي الإسباني: Manuel Leguineche/Annual 1921, Madrid - 1996.
٩. انظر دراستنا عن معركة (أنوال) في مجلة «الدفاع الخليجي» عدد فبراير ١٩٩٦م.
١٠. لماذا نطالب باسترجاع سبتة ومليلية، محمد بن عزوز حكيم، ص٨٣، تطوان ١٩٧٩م.
١١. انظر صحيفة (القدس) عدد ١٨، نوفمبر ١٩٩٣م، ص١١.
١٢. انظر الجريدة الإسبانية EL Mundo عدد ٢، نوفمبر ١٩٩٤م، ص١.
١٣. عدد ٢٦ فبراير ١٩٨٧م، ص٨. أجرى الاستجواب الأستاذ بو غالب العطار.
١٤. مجلة المناهل، عدد ٢٥، ديسمبر ١٩٨٢م، ص ٢٠٨ و ٢٤٠.

لمزيد من المعلومات انظر:
- المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلية (١٦٩٧ ـ ١٨٥٩م) الدكتور حسن الفكيكي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ١٩٩٧م.
- المقاومة الريفية، د. محمد خرشيش، سلسلة شراع، عدد ٢٢، ١٩٩٧م.
- لماذا نطالب باسترجاع سبتة ومليلية، د. محمد بن عزوز حكيم، الجزء الأول، تطوان ١٩٧٩م.
- مجلة حفريات الريف، عدد ٢، ١٩٩٩م.
- Historia De Marruecos / Manuel Pablo Castellanos / Madrid 1916.
- Marruecos - Tomas Garcia Figueras, Madrid 1939.
- Ceuta Y Melilla / Doble Vertiente De Un Problema De Descoloniza Cion Documento.





ما قاله النغم الأثير

أحمد عبدالله السعد

الرياض ــ السعودية

تلك المساءات الجميلة ..
بالعذوبة والسرور ..
لملمتها في راحتيّ وصغتها ..
شعرًا لأغلى غاليات الروح ..
ألطف من رذاذ الغيم ..
بل أحلى .. وأجمل ما يصاغ ..
من العبير ..
أيان يا قمري ..
ما دار في حلم الزمان ..
وقاله النغم الأثير ..؟!
وحديثنا ..
والدرب الموشى بالأناقة.. والحرير ..
يا أنتِ ..
تكاد تقتلني الذكرى ..
وأصرخ .. آه ..
وآهٍ يا نهري النمير ..
عسلي .. صباي
أحلامي التي ..
تزهو بأفواف الزهور ..
أيان أنت ..
وكيف مرّ بك العمر القصير ..؟!
أَوَتذكرين الشَعرَ ..
والشّعرُ ..
والشغب المثير ..؟!
أوتذكرين ..
كيف كان لقاؤنا ..
أمسي .. ويومي ..
واقع العشق الأسير ..
أو كنت أحلم ..
بين رفراف المنى ..
أو كنت أنتظر المصير ..؟!
كلي رجاء ..
وانتظارات ..
تداعبها الرؤى ..
أن ترجعي ..
أن يملأ الأفق الهوى ..
والحب في إيماءاته ..
أن تُرجعي ..
تلك المساءات الجميلة ..
بالعذوبة والسرور ..!!

هكذا العشاق

عبدالله السمطي

الرياض ـ السعودية

نَهْــرٌ يســيلُ على يديّ حــواس لمـ
سكِ .. فالمسيني .. كلما اقتربَ الوداعُ
مـرّتْ كـذاكـرة السـراب .. كناي حُـزْ
نٍ قبلةٌ .. يَنبـوعُـهـا هذا الضّـياعُ
وأنا وأنتِ حـديقـةٌ .. لا قطْفُـهـا
يأتي ولا يعـوي بشـاطئـهـا شـراعُ
فنمـوتُ .. نولدُ وردتَيْنِ .. وفي التـمـا
هـي كل مـرآة، يؤرّجُـهـا قناعُ
لم يتّـعظْ أبدًا غـدٌ منا، ولم
يفـتحْ مـتـاهتَـه لوحْـشـتنا ذراعُ
هلْ هكذا العـشّـاقُ؟ حُلْمٌ بازغٌ
وخـيالهمْ دنيـا، وكـونُهم اخـتـراعُ؟
يا روعــة الأحــزان حين حظوظُهم
في قسـمـة الأقدار يكتبـهـا اقتـراعُ

لم نغْص نجـمـتَنا الوحـيـدةَ. في عـلا
قـتنا. ببـحْـر رمـادها كُنّا .. نُطاعُ
الأرضَ نهـجـرُ .. والسـمـاوات العلى
لم يتـسـعْ لجنوننا، هذا المتـاعُ
في ظلّ دمـعـةٍ مطلقٍ .. نُمـحَى .. ونُبـ
ـعثُ أو يقـدّسنا، بعـتـمـتـه، شـعـاعُ

❖❖❖

لو تلمـسـين الروحَ أكـثـر. لو تريْـ
ـنَ شهادتي والغيْبَ بي، لهـمـا اصطراعُ
إني لمســتُكِ في حـواس الأبجـديّـ
ـة فـالمسيني كلمـا .. انكتبَ الوداعُ

❖❖❖



قلبي قصيدة عشق

عزة رشاد

الإسكندرية ـ مصر

مـا للحقـول حـزينات مـغـانيـهـا
كـأنَّ دَمْـعَكَ يجـري في سـواقـيـهـا
أين الربيعُ الذي قـد كـان يسكنهـا
أين الظلالُ ودفءٌ نابضٌ فـيـهـا
وأين طائرُها الغـريدُ كـوثرُهُ
شـدوٌ يعـانقُ نجـمًا في لياليـهـا؟
تحكي الصبـابةُ عن قلبٍ به حُـرَقٌ
وعن ديارٍ بعـيـدات صـواريهـا
عن مـقلةٍ لم يزلْ في جـفنهـا أرقٌ
تغفـو النجـومُ ولا تنفك تحـصيـهـا
صَبٌّ يعـانقُ طيـفًا من حـبيـبتـه
فـمـا يطيقُ رحـيـلاً عن روابيـهـا
يا عـاشقًا خذل الإعصارُ مـركبـه
خُذني شراعًا وعش في خافقي تيها

تلك الصبـاحـاتُ في عـينيكَ مُطْفأةٌ
وكنت ضـاحكَ نجمٍ في لياليـهـا
إنْ كـان حـقْلُكَ قـد جـفتْ منابعُـهُ
فـفي فـؤاديَ نبعٌ سـوف يرويها
مـا أجـملَ الحبَ تصـريحًـا وتوريةً
وأعـذبَ الوجـدَ إيماءً وتنويهـا
حدّث فؤادي وكن في خافقي نَسَغًا
فـمـا تعـاني من البلوى أعـانيـهـا
الذكـرياتُ وقـد ألقتْ بزنْبَـقِـهـا
والفاجعـات وقد أبقتْ مـواضيـهـا
تئنُّ من شـغف شـوقًـا ومن عللٍ
ألقتْ عليك وشـاحًـا من مـراثيـهـا
نام السـرورُ فـهل صـحـوٌ يعـود به
والنفسُ مـا عـادتِ الأحـلامُ تغـريهـا
حـدث فـؤادي إذا مـا شـئت أمنيـةً
إني سـأنسـيكَ شكوى داؤها فـيـهـا
لعل قلبكَ يخـفي دونما سـبب
عني همـومًـا ولكن لستَ تعنيـهـا
قلبي قـصـيـدةُ عـشقٍ راح يكتـبـهـا
ظهـرٌ ويسكنُ نسكٌ في قـوافـيـهـا



الاعتراف

محمد الجلواح
الأحساء ـ السعودية

لا كان لي سفر أبدًا، يومًا ولا كنت المسافر
والركض في بهو الفنادق - رغم متعته - ركض لخاسر
والصوت - رغم حضوره في كل شيء - غائب في ظل
حاضر
والليل هذا الليل ديدنه يغوي الذي يقضيه ساهر
والناس تستبق الفرح الجميل فتنتشي، وبه تجاهر
لكن طيفك يا (سعاد) بعيدة .. أقوى من الزمن المكابر

....

في كل شهقة موقف .. حلّت .. فأشعلت المشاعر
في كل همسة عاشقين .. تعانقا .. رغم المخاطر
في كل ما خفق الفؤاد، وذاب في سحر المحاجر
أبدا بروحي تسكنين .. فلا أرى إلاك .. آسر ..
وسوى خيالك .. لا أرى .. رغم المفاتن، والمناظر
وذهبت أعزف .. يا (سعاد) عبارتي .. وبها أفاخر!

....

صمتت طواحين الكلام وأعلنت إفلاس تاجر
وتوقفت كل اللغات وسافرت من دون شاعر
ماذا بربك أن أقول .. وحبك المكشوف .. ضامر ..؟
ماذا؟، ويحتال الطريق إليك أغنية .. تسافر ..
والوقت في ساعاته .. يحتال صبرًا .. غير صابر
حتى أراك فتقترب .. كل المجرات السوامر ..!

....

والله لا يكفيك ما نزفت به كل المحابر
وأتت به كتب الهوى .. مُذْ كان مأمورًا، وآمر ..
أبدًا .. ولا رقص اليراع لعزف ما تحوى السرائر
كلا، ولا التلميح .. أهمسه إليك، ولا المباشر ..
فإليك .. تَختَصِرُ اللغاتُ حروفَها، وتكون عاقر ..
سأقول جهرًا .. يا (سعاد): أحبك .. فوق المنابر ..

....

يا شربة الظمأ الحزين، ونغمة اللحن المهاجر
يا صورة الأنثى التي جعلتني للصهبا .. أعاقر!
يا (مقطع الشعر الجميل) في (بوح عاشقة) تسامر
يا (صبح) يسكنه (البنفسج)، في ليالي الحب (بالتعب)
المقامر
يا (ظهر) أيامي، و (عصري) والمساء .. إليك سائر ..
يا (لهفة خجلي) وحشرجة .. (تبوح بحبها .. همسًا)
لشاعر ..

....

سأكون .. حين أراك .. يا (محبوبتي) طوفان ثائر!
سيكون مأواك العيون .. وهل سواها من سواتر ..؟
إن قلت ..: أنت جميلة .. فالقول يقصر في الخفايا
والظواهر
أو قلت: إني أحبكِ .. فالقول يا معشوقتي (تحصيل
صائر) ..
هذا اعتراف مشاعري، والقلب يشهد ما أجاهر أو أخامر
والبحر يشهد، والرذاذ .. وما تصاعد في البواخر ..





قصص قصيرة جدا

أوجستو مونتروسو*
ترجمة: حسين عيد
ميت عقبة ـ مصر

الشاة السوداء

منذ عدة سنوات في ذلك البلد البعيد، كانت هناك شاة سوداء.

أطلقت عليها النيران.

بعد مضي قرن من الزمان، أقام لها الجمهور الآسف تمثالاً حجريًا، كان يبدو جميلاً جدًا في الحديقة.

تبعًا لهذا المثال الناجح، سرعان ما كانت تطلق النيران على أي شياه سوداء بمجرد أن تظهر، حتى تتمكن الأجيال الجديدة من أن تتمرن على فن النحت.

المرآة التي لم تستطع النوم

يحكى أنه كانت توجد ـ ذات يوم ـ مرآة يد، حين تظل وحيدة، ولا يرى أي شخص نفسه فيها، تتتابها أسوأ مشاعر وكأنها لم توجد أبدًا. وربما كان ذلك صحيحًا، لكن المرايا الأخرى سخرت منها. وحين كانت تحفظ المرايا معًا خلال الليل، في نفس الدرج من مائدة التزين، كان نومها يبدو مرضيًا لأولئك البشر المستغرقين تمامًا في حياتهم.

الشعاع الذي سقط مرتين على نفس الموقع

يحكى، ذات مرة، أن شعاعًا فكر أن يسقط مرتين على نفس الموقع، لكنه وجد أن دمارًا كافيًا قد تسبب فيه فعلاً في المرة الأولى، لدرجة أنه لم تعد هناك ضرورة لأن يسقط ثانية.



الهوامش

* ولد الكاتب الجواتيمالي أوجستو مونتروسو في عام ١٩٢١م. وعاش في المكسيك منذ عام ١٩٤٤م، ونال جائزة خوان رولفو لأدب أمريكا اللاتينية والكاريبي عام ١٩٦٦م. ومن أشهر قصصه «الدنيا صور» التي صادفت انتشارًا واسعًا.

ابنة المطر

(الكذبة كاملة .. وبداية المطر)

أحمد البشري

الرياض ـ السعودية

هكذا ..!!

مثل فاصلة سوداء في جدار الليل .. تخرج فتاة من كنف هذا الظلام محملة بالرياح والوحدة، تطلع بيدين عاريتين إلا من دعاء صغير، وحلقة (لميدالية) مفاتيح حول خنصرها الأيمن كإثبات لارتباطها مع الغابة بعلاقة وثيقة.

وكـ إشارة مسكونة بالتفاصيل ـ أشد سوادًا ـ تكون السماء أشد بخلاً من الليل ومن الأمنيات المطروقة بكثرة تحت ضوء القمر المعلق من قدميه في ليالي الربيع الموعودة بالمطر المتأخر، والمشاوير المؤجلة ..

ومثل فداحة أخطاء المطر حين يأتي وهي نائمة ولا تتكفل رائحته بـ إيقاظها !! .. وتجد نفسها مثقلة بواجبات البيت والغسل والنفخ والبكاء على أمها أو على حظها بطريقة محايدة جدًا .. ثم تسند ركبتيها إلى سطح المنزل، وترفع رأسها في انتظار أول قطرة للمطر ..

ثم تتلاشى!!.

(الرواية من «طقطق إلى السلام عليكم» كما نقشها المطر)

تمامًا كالضوء وحكايات الغرف المغلقة تكبر علاقتها مع هذا البيت .. وكالصباحات المكررة والأطفال الذين يمارسون البكاء بتلقائية الفعل المعتاد تجدل ضفائرها وضفائر أخواتها ثم تعرضهن على النوم بثمن بخس .. ورغم تفاقم الليل وشعورها بالوحدة، وبقاء المطر بعيدًا بما يكفي لانشغالها بالطلب والرجاء .. إلا أن هناك ما يبرر مزيج الأدعية الجديدة التي تخرج بها كلما امتلأ المكان برائحة رطبة تشبه المطر ..

حقًا لا أدري ما الذي يجبرني أن أتذكر كيف يمكن للقرية التي على مشارف هذه الغابة أن تمارس فضولها على حياتها والسماح للكل بالتكهن بمكانها الآن.

لا أعرف سببًا مقنعًا جعلني أنبش نعش هذه القصة، أن أنثرها هكذا أمامي، أن أنفضها عن كل ذراتها وأستخرج مكنوناتها.

❖❖❖

تآلفت (خضراء) مع الرجال الأقزام بطريقة غريبة، ومع الأرض القاسية التي تحمل قريتهم .. كانت تجد في رائحة العنب وأزهار الرمان اليانعة مكانًا مناسبًا لكي تبقى بالقرب من الله، بالقرب من طبيعتها الساكنة، ويعطيها كل هذا مساحة لا بأس بها تتسع لأسئلتها وجدلية أفكارها وبؤسها الظاهر .. لم تترك للطيور سوى الزقزقة، حملت على عاتقها جلب فتات الخبز وصنع أعشاش من أوراق أخواتها وتزينها بأوراق سلوفان تجدها عادة في طريقها ..

(خضراء) رغم أني لا اعرف أباها جيداً، ورغم أن اسمه لا يتردد كثيرًا في القرية إلا أنني أحسست بشاعريته تجاه ابنته ومدى قدرته على اختيار الأسماء ووضعها بطريقة مناسبة على الأشخاص، تمامًا كلعبة وضع النقاط على الحروف، ولعبة اختيار الأرقام للأشكال المتشابهة.

أذكرها بقميصها الأخضر الزاهي المملوء بأوراق العنب الناضج .. والمقلم بالبني الفاتح وكأنه زبيب نضج ونُثر على ثوبها .. (لا شيء يتبادر إلى ذهني لأشبهها به إلا كرم صغير له فلاح واحد ويخلص في حرثه)..

كانت توقظ الرياح الطيبة .. وتوقظ القرية كلها على نغم أقدامها في ميدان القرية الصغير .. كانت تغري القرية لتظهر بأبهى حلة فتلبسها النعناع والقرنفل وتزين شعرها بأغنيات شعبية محببة، وترقصان معًا فتنسابان كجدول من اللآلئ البيضاء المخضبة برائحة الزيتون من كل الكروم القريبة ..

❖❖❖

مرعي هو أول من رآها تخرج إلى المطر وقد حلت شعرها الذي كان يثير كل الكائنات التي يمر فوقها، ويغوي السماء، وتستمر في العطاء .. ترك لأنفه بقية الأمر وجذبته رائحتها خلفها، ظلت تمشي دون أن تتوقف، دون أن تتعب، وجهها للأمام تمامًا لا يميل ولا يحيد عن الطريق الضيق الذي انتهجته، تابعها وهو يركز بصره في جسدها النحيل، ويسلي نفسه بأغنية قديمة، وعندما كانت تسرع في مشيها كان يقفز على أصابعه لئلا يفقدها فترتجف الأغنية في حلقه كما يرتجف ويخفق قلبه الصغير.

كان لعابه يسيل وهو يخبرني بأنه لم يفارقها حتى انتهى المطر وأقفلت عائدة، يقول: (خضراء)غزال، وحين أقول غزال فأنا أعني ذلك.

كنت أرى في عينيه حديثًا طويلاً وعاطفة تتشكل بسرعة في دمعة خجولة تنتظرني أن أدير رأسي لتخرج، يقول أيضًا: أنا أثق بك يا عدنان، ومتأكد من أن المدينة قد جعلتك أكثر قابلية للتفهم لذا سأشي لك بكل شيء ..

- «أحببتها، نعم أحببتها هكذا بكل بساطة، أحببتها من أول مشوار، لم يكن لدي خيار إلا أن أفعل، وأنا أراها تُشكل مع المطر لوحة زيتية سرعان ما تسيل على كل شيء حولها، وتكسو المكان بألوان ربيعيه، وعصافير مزهوة بنفسها»

- « يا اااه يا عدنان ليتك تراها وهي تعود، وترى الابتسامة وقد ملأت وجهها تمامًا، عيناها غائرتان، وفمها مشدود إلى أذنيها، تعود إذا انتهى المطر، إذا ذرفت السماء آخر دموعها ونفذ ما كتب الله لذلك اليوم، تجفف شعرها على أزهار الرمان فتكبر بسرعة وتنفلق قبل أن يحين قطافها»

- «لم ترني قط .. ظللت أتبعها فصل الربيع كله، لكني أحس بنظراتها تخترقني وتحرقني الآن، إذا كنت يا عدنان قد أحببت مسبقًا فستعلم ما أقصد»

❖❖❖

مثل ما كانت خضراء مؤمنة وتقية على طريقة البسطاء، على طريقة العجائز فـ مرعي على العكس تمامًـا .. فـ أنا نفسي لا أثق به، وحين يقول: إنه خصني وحدي بالكلام عن خضراء فذلك يقطع شكّي باليقين من أنه فعل هذا مع كثير غيري ..

❖❖❖

خضراء لم تهرب لأنها ضعيفة، ولم تهرب لأن كلام مرعي قد انتشر عن كونها تخرج، في الليل محلولة الشعر وترقص مع الغريب/ المطر وتعانقه وتقبله بشفتيها الكرزيتين، لم تهرب لأنها مريضة نفسيًا.

خضراء هربت لأنها لا تحتمل أن تبقى بعيدًا عن المطر، لا تحتمل أن يستمر المطر الليل كله ولا يتوقف

خضراء هربت لأنها خرجت وهي تعلم أنها حين تخرج فإنها لن تعود حتى يتوقف المطر تمامًا، وحين لا يتوقف المطر، وتطلع الشمس لتمارس لعبتها القذرة في كشف المستور فإن والدها سيكون قد أسلم نومه للشمس لتشرده أو تقتله.

المطر الأخير ... (النهاية كما يجب أن تقال)

خضراء لم تعد، فالسماء لا تريدها أن تعود.

ثلاثة أيام حتى الآن والمطر لم يتوقف، لم يمهلها ولو ثواني لتغير من اتجاهها وتواصل السير، كان يهطل كما لو أنه يريد سرقتها، وهو كذلك.

النساء بدأن في الاعتراض والسخط، فلم يحلبوا الماعز، الماعز أيضًا لم يخرج إلى المرعى، والأطفال لم يخرجوا للمطر كعادتهم.

الرجال والنساء جلسوا يتبادلون ملامحهم ويخفون غضبهم على السماء، كانوا يفردون سحناتهم على الحصى فهم لا يتحملون النظر إليها، ويحاولون تحاشي النظر إلى فوق لكيلا يتصادموا مع السماء فيخسرون كل شيء.



القطرة الأخيرة .. في نعش الماء (النهاية .. النهاية)

ظل مرعي مختبئًا ثلاثة أشهر، لم يكلمه أحد أو يحدثه بأمر خضراء فلا أحد ينوي الحديث عنه من قريب أو بعيد، كان يخرج ليلاً فيقضي حاجته ويسير ببطء يداري كرشه الذي ظهر مؤخرًا.

حين رآني أتى إلي وفي جيبه رائحة كلام يريد أن يخرج من عفن مرعي إلى الحياة مرة أخرى، وقال:

- «عدنان .. كنت هناك، خرجتُ وراءها كانت في أبهى حلّة، تلبس فستانًا جديدًا ومكحلة العينين.

تبعتها طويلاً، كانت تسرع أكثر من أي وقت مضى، وأنا أركض .. أركض .. ثم أمشي قليلاً إذا تعبت، وحين تبتعد أعود لأركض، مشينا الليل بطوله والغابة تبرد أكثر والمطر يدمي أقدامي وإذ أنظر إلى قدميها أجدها تتورد أكثر وأكثر، المطر لا ينتهي والغابة كذلك وكأنهما قد دخلا في تحد من يستمر أكثر وأنا المتضرر الوحيد، فرحها كان يتناقص مع كل دقيقة تمضي باتجاه الصبح، الفجر يقترب من عيني وأنا اقترب أكثر منها، الشمس بدورها كانت تتعاطف مع خضراء تأخرت هذا الصباح كثيرًا حتى إني ظننت أنها لن تخرج»

- «كنت أسمعها تبكي وصوت نشيجها يعلو على إيقاع المطر تقول: أريد أن أعود توقف أريد أن أعود، والمطر يمضي في تجاهله لها»

- «لم أستطع المواصلة يا عدنان، أعياني الليل تمامًا، أقف لأسقط مجددًا على الوحل الكريه الذي ملأ الغابة، كنت منتصبًا على ركبتي حين رحت اصرخ (خضراااااء) وهي تواصل اختفاءها في الضباب».



أديرة النساء: حياة الراهبات

حمادة إبراهيم محمد إسماعيل

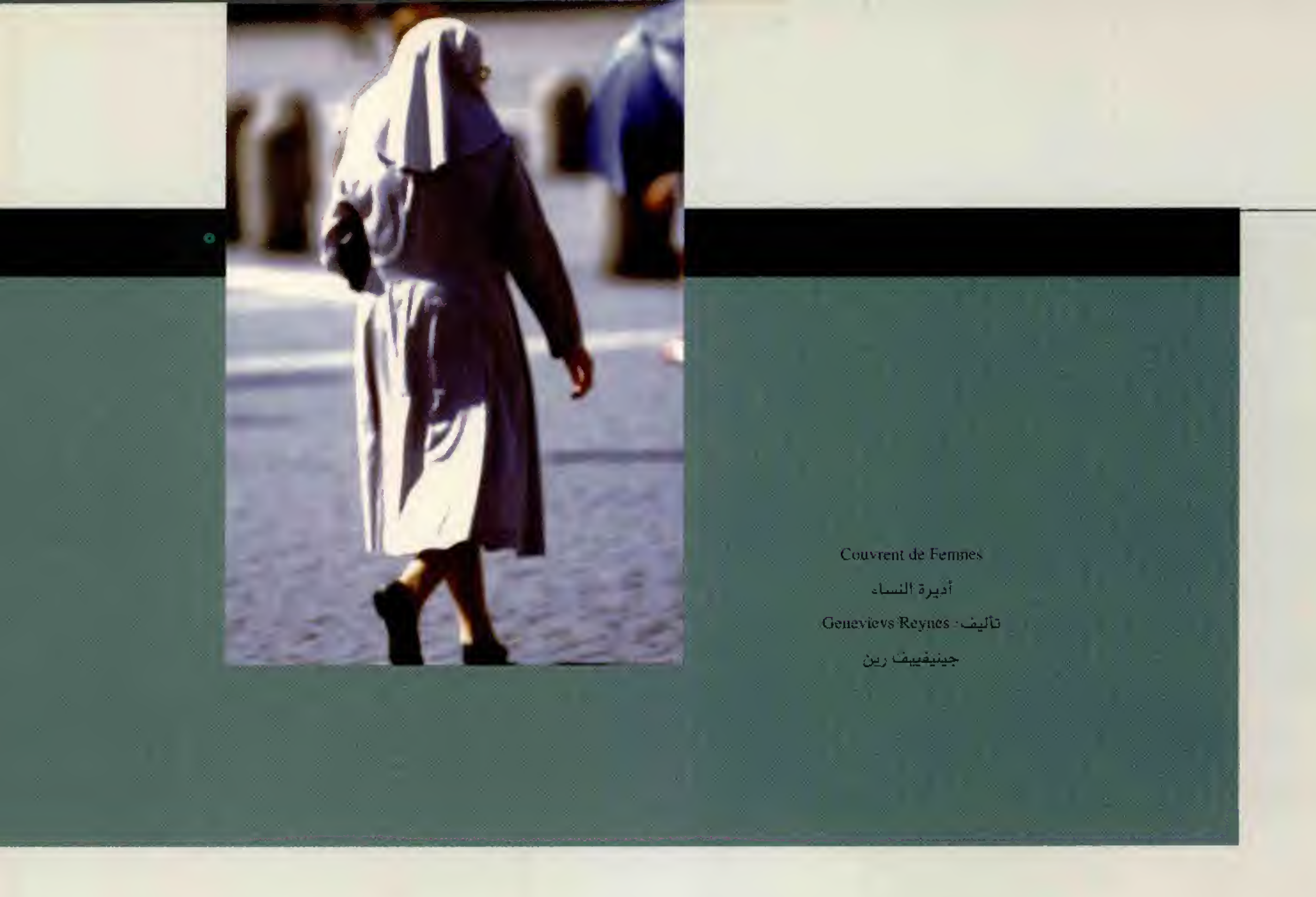
القاهرة ـ مصر

في هذا الكتاب الذي يتألف من ثلاثمئة صفحة موزعة على أربعة عشر فصلاً، تحاول الكاتبة أن تتتبع نشأة الأديرة النسائية في فرنسا من النواحي التاريخية والاجتماعية والدينية. في البداية تحاول الكاتبة أن ترجع هذه الظاهرة إلى تجربة السيدة العذراء بعد رفع المسيح عليه السلام إلى الرفيق الأعلى. فلم يبق أمام الأم شيء في هذه الحياة إلا أن تفي بالنذر الذي كانت قد قطعته على نفسها بأن تهب نفسها لله.

بعد ذلك تتحدث الكاتبة عن أصل هذه الظاهرة قبل نشوء الأديرة نفسها. فتقول: إن البداية الرهبانية عند النساء كانت على يد بعض النسوة أو الفتيات اللائي اعتزلن الحياة العامة: ولزمن بيوتهن، وقصرن أوقاتهن على العبادة وعلى بعض الأعمال المنزلية، أما نظام الأديرة بصورته الحالية فلم يظهر إلا في القرن الرابع الميلادي وكان ذلك في مصر على يد بعض النّسّاك الذين جعلوا حياتهم للعبادة، ووزعوا وقتهم بين الصلاة والصوم والعمل اليدوي تحت رئاسة أحدهم. هذه الصورة المصغرة للدير انتشرت بعد ذلك في الشرق الأوسط وأوربا.

وفي القرن السابع الميلادي ظهرت في فرنسا أوائل الأديرة النسائية. وقد شجع على ذلك ما اعتادته عائلات الطبقة الراقية من وهب بناتهم اللائي لا يريدون الاحتفاظ بهن لهذه الأديرة.

وكثرت الأديرة، ولكن أصابها نوع من الانحطاط، وخاصة في أديرة الرجال، حيث أصبحت مأوى للصوص وقطاع الطرق والمدمنين، وأصبحت مصدر خوف وفزع. أما عن أديرة النساء فاذا كانت



Couvrent de Femmes
أديرة النساء
تأليف: Genevievs Reynes
جينيفييف رين

أوضاعها أفضل فذلك لما كان يحيطها من التحفظ والكتمان الشديد.

حملات تطهير

وأمام هذا الفساد العام كان لابد من القيام بعدة حملات تطهير واسعة حتى قبل انعقاد مجمع الأساقفة الشهير، وذلك في بعض هذه الأديرة. ولعل أكبر الحملات كانت في مطلع القرن السادس عشر على يدي أسقف باريس «إتيين بونشيه Etienne Poncher»، الذي وضع بعض القواعد الملزمة للأديرة، ومن أهمها: العزلة داخل الدير - الفقر. العفة - الطاعة - زيارة المفتشين. ومع أن هذه القواعد لم تؤت جميع ثمارها، إلا أنها حققت بعض النجاح، وظل معمولاً بها حتى القرن السابع عشر.

أما مجمع الأساقفة الذي عقد في الفترة من عام ١٥٤٥م حتى ١٥٦٣م فقد اتخذ عددًا من الإجراءات لإعادة النظام إلى الأديرة. وفيما يختص بالأديرة النسائية فقد ركز المجمع على شرط العزلة داخل الدير. كما حدد سن بدء الرهبانية باثنتي عشرة سنة كحد أدنى، كذلك فقد فرض المجمع عقوبة على كل شخص يجبر أية فتاة على الرهبنة؛ وذلك بحرمانه من رحمة الكنيسة، كما حدد المجمع لتولي رئاسة الدير أن تكون الراهبة قد بلغت من العمر أربعين عامًا، وأن يكون قد مضى عليها في الرهبانية ثماني سنوات على الأقل.

هذه الإصلاحات تزامنت مع فترة قويت فيها المشاعر الدينية في سائر طبقات المجتمع؛ مما زاد من الإقبال على الرهبانية من ناحية، وعلى تأسيس أديرة جديدة من ناحية أخرى. ولم تعد الرهبانية مقصورة على الجوانب الدينية فحسب، وإنما اتسع مفهومها،



بحيث أصبح يتضمن جوانب أخرى اجتماعية، ومن ذلك، التدريس ورعاية الأطفال، والعناية بالمرضى.

لم يكن هذا التطور الذي أصاب الأديرة وضاعف من أعدادها ناتجًا من الحمية الدينية وحدها، وإنما كانت هناك مجموعة من الأسباب الأخرى لعل أهمها جميعًا ما درج عليه بعض الأمراء والنبلاء من التبرع ببعض القصور وملحقاتها لتحويلها إلى أديرة. كذلك كانت هذه الأديرة الجديدة تستفيد من تبرعات القادرين، ومن الهبات التي تخصصها الجمعيات الدينية. ومن ناحية أخرى كانت بعض الراهبات يلجأن إلى وسائل مختلفة لإثراء الدير وازدهاره، من ذلك محاولة تبني الدير لبعض أطفال الأغنياء الذين سيكون في يوم من الأيام ورثة لآبائهم فيؤول الإرث بذلك إلى الدير. وكانت الراهبات يلجأن إلى وسائل مختلفة في هذا المجال.

يوم الراهبة

تستيقظ الراهبة الساعة الرابعة صباحًا في الصيف أو الخامسة في الشتاء. وتبدأ يومها بصلاة الفجر، يعقب ذلك قداس بصوت خفيض. والجدير بالذكر أن الصلاة تستغرق من الراهبة ثلث اليوم، أما باقي اليوم فيوزع بين الأعمال اليدوية والخدمات، التي تكلف بها كل راهبة، وأخيرًا فترات الراحة أو الفسح. والذي يسترعي الانتباه في هذا الجدول اليومي أن الراهبة تكون في حالة انشغال دائم بحيث لا يترك لها لحظة للاختلاء بنفسها أو بأفكارها تجنبًا للسأم أو الملل الذي تكون نتائجه دائمًا وخيمة، فهو إما أن يستدرجها إلى الأفكار السيئة، وإما أن يجعلها تنصرف إلى أمور الدنيا الفانية. ومن أجل تحقيق ذلك نجد أن هذا الجدول يحرص على ألاّ يترك

كان تغيير الملابس الدائم علامة على الضعف، وهو أمر مرذول: فالملابس كالجسم سواء بسواء، تغير في أضيق الحدود، وذلك "خشية أن الاهتمام البالغ بالنظافة الظاهرة يدنس طهارة الباطن"

الراهبة فترة طويلة منصرفة إلى عمل بعينه (نصف ساعة أو ساعة) بل يجتهد في تنويع الأعمال.

فهناك الجرس يقرع كل فترة لينبه الراهبة إلى ترك العمل الذي تقوم به والانتقال إلى عمل آخر. والحكمة من وراء هذا التغيير المستمر هو ألاّ يصبح طول الوقت الذي يستغرقه نشاط معين باعثًا على الاستغراق في أفكار معينة غالبًا ما تتعارض مع الأهداف الدينية.

تنتهي الراهبة من يومها مبكرًا، نحو الثامنة مساء. أو التاسعة على أكثر تقدير. فتنصرف الراهبة إلى صومعتها، ثم يخيم على الدير جو من الصمت والظلام ليصبح أشبه بالقبر الكبير. ونشير هنا إلى أن هذا النظام يتعارض كثيرًا مع التسيّب الذي كان يسود في الماضي الأديرة بصفة عامة، ومنها أديرة النساء.

وفيما يختص بالملبس، فإن اللوائح المنظمة للأديرة في مطلع القرن السابع عشر فرضت على الراهبات ارتداء اللون الأسود. كما حظرت عليهن وضع المساحيق، ولبس ساعات اليد، والأحذية الفخمة. كذلك تمنع اللوائح الراهبة من وضع العطور، ولبس الخواتم والمآزر الجميلة، أو التي تكشف عن نحورهن. ولا يعني ذلك أن جميع الأديرة كانت تلتزم هذه اللوائح، فقد فوجئت إحدى الأميرات في زيارتها لأحد الأديرة عام (١٦٦٠م) بوجود راهبات يضعن المساحيق وأحمر الشفاة، بل كان بعضهن يفاخرن بأن لهن عشاقًا. هذا في الوقت الذي كانت توجد فيه بعض الراهبات اللائي يبالغن في التقشف، مثل جان شانتال Jeanne Chantal التي كانت ترتدي وشاحًا مكونًا من أربع عشرة قطعة، وثوبًا مهلهلاً مضى عليه أكثر من عشر سنوات، وحذاء عتيقًا تقوم الراهبة نفسها بترقيعه بقطع من الجلد.



تبدأ الراهبة يومها بصلاة الفجر. يعقب ذلك قدّاس بصوت خفيض. أما باقي اليوم فيوزع بين الأعمال اليدوية والخدمات. التي تكلف بها كل راهبة. وأخيرًا فترات الراحة أو الفسح

وإذا كان ثمة تباين واضح في أمور الثياب والزينة بين الأديرة المختلفة، فقد كانت جميعها تتبع نظامًا واحدًا فيما يختص بشؤون الصحة والنظافة. فالراهبة حينما تستيقظ من النوم تغسل وجهها ويديها بالماء فقط، وتنظف أسنانها على طريقة ذلك العصر، وذلك بدعكها بقطعة من القماش ثم شطفها بالماء المخلوط أحيانا بالنبيذ.

وليس من المسموح به التوسع في عملية النظافة هذه. ولكن بعض الأنظمة كانت تسمح ببعض الاستثناءات، فمثلاً حينما تكون اليدان في حالة قذارة شديدة لا يكفي الماء وحده لإزالتها، فيمكن استعمال الخبز أو النخالة، ولكن بعد أن تسمح الرئيسة بذلك. كما كان من الممكن أن تدعك الراهبة

راهبة تعمل على آلة غزل



أسنانها بكسرة من الخبز الجاف أو المحروق أو الهباب. أما بالنسبة إلى الأقدام، فإن النظام نفسه كان يبيح «غسلها مرتين في العام، مرة في مطلع الصيف، ومرة مع دخول شهر سبتمبر».

أما فيما يتعلق ببقية أعضاء الجسد، فلا ينبغي أن تُرى ولا أن تُمس، ومن ثم فلا ينبغي أن تغسل. فقد كان الأطباء أنفسهم يخشون من استعمال الماء، إذ كانوا يعتقدون أنه يسهّل من انتشار الأمراض المعدية، ويسبب «البلاهة» بل ويؤدي إلى الموت الفجائي. نضيف إلى ذلك، بالنسبة إلى الراهبات، اعتقادهن الراسخ بخطورة الماء على عفتهن وطهرهن. ولكن إذا كان المعاصرون لا يغتسلون أكثر من الراهبات في ذلك الزمان، فهم على الأقل كانوا يكثرون من تغيير ملابسهم، كما كانوا يكثرون من وضع العطور. أما الراهبات فكان يُحظر عليهن ذلك. فقد كان عليهن أن يتحملن رائحتهن الطبيعية بكل شجاعة وجلد، فهي رائحة القداسة والفطرة ومع ذلك فلم تكن جميع الراهبات قادرات على تحمل ذلك فكن يلجأن إلى استعمال العطور ضاربين عرض الحائط بالأنظمة واللوائح.

وكان تغيير الملابس الدائم علامة على الضعف، وهو أمر مرذول: فالملابس كالجسم سواء بسواء، تغير

الطعام كالثياب، له قيمة رمزية قبل أن يكون ضرورة مادية. فلا يكفي أن يكون الطعام بسيطًا رخيصًا، بل ينبغي كذلك أن يكون ماسخًا ليبرهن على التقشف الحقيقي الذي يجب ألا يكون تقشفًا ماديًا فحسب، بل تقشفًا روحيًا



تباين واضح بين الأديرة في أمور الثياب والزينة

في أضيق الحدود، وذلك «خشية أن الاهتمام البالغ بالنظافة الظاهرة يدنس طهارة الباطن». كان العرف السائد أن تغير الراهبة ملابسها مرة في الأسبوع في الصيف، ومرة كل أسبوعين في الشتاء، فقد كانت نظافة الملابس مظهراً من مظاهر الترف، والراهبة التي تبالغ في الاهتمام بالمظهر الخارجي إنما تبالغ في الاهتمام بالجسد الفاني؛ مما يدل على أنها لم تتشرب روح التقشف والزهد. هذا فيما يتعلق بالملابس الداخلية. أما الثياب الخارجية فهي لا تغير إلا مرتين كل عام: مرة في الصيف، ومرة في الشتاء.

في جميع الأديرة، تحتل الأعمال اليدوية جزءاً كبيراً من يوم الراهبة. بل إن هذه الأعمال تمثل ضرورة لا غنى عنها في الأديرة الفقيرة التي تجعل منها مصدراً للرزق، ومن ناحية أخرى فإن مثل هذه الأعمال تحتل مكانة كبيرة على المستوى الروحي

تقشف روحي

هذا التقشف في الملبس نجده أيضاً فيما يتعلق بالمأكل. فالطعام كالثياب، له قيمة رمزية قبل أن يكون ضرورة مادية. فلا يكفي أن يكون الطعام بسيطاً رخيصاً، بل ينبغي كذلك أن يكون ماسخاً ليبرهن على التقشف الحقيقي الذي يجب ألا يكون تقشفاً مادياً فحسب، بل تقشفاً روحياً أيضاً. فالنكهة الطيبة في الطعام حتى لو كان رخيص الثمن، هي نوع من الترف المرذول على مائدة الراهبات. ويقول أحد العارفين بهذا الصدد: إن تناول الطعام «عملية خطيرة» بالنسبة إلى طبيعتنا المادية، كما أنها عملية مهينة لطبيعتنا الملائكية. والقديسون كانوا مدركين تماماً هذه الحقيقة، فكانوا لا يتناولون الطعام إلا وهم يبكون، ويغمسون الخبز بدموعهم.

والراهبة عادة تتناول وجبتين في اليوم: الأولى في رائعة النهار، في نحو الساعة الحادية عشرة، والثانية في المغرب، في نحو السادسة مساء. وتنص بعض النظم على الاكتفاء بنوعين من الطعام، اللهم إلا إذا كان هناك فاكهة أو سلطة فيضاف نوع ثالث. الطبق الأول من اللحم يؤكل ثلاث مرات في الأسبوع إلاّ في أيام الصوم. أما الطبق الثاني فهو من الفول أو الحمص. في بعض الأديرة تتدخل الحالة الاقتصادية في تحديد نوع الطعام، بحيث إن بعض هذه الأديرة لا

يقدم للراهبات غير بيضتين وقطعة من الخبز. في حين أن بعض الأديرة الأخرى يسودها نوع من الإسراف والتسيب في موضوع الطعام.

وحتى لا تركز الراهبات في الطعام، تلك العملية التي تُعدّ حطّاً من قيمة الإنسان، وبهدف السمو بأرواحهن في أثناء تغذية أجسادهن، تقوم الراهبات درجة عالية في طريق إماتة الحواس، وإذلال النفس، يضعن بعض الرماد أو الشيح فوق طعامهن، ولكن هذه الحالات يأتي ذكرها في سير العارفين والعارفات لا عند الراهبات العاديات.

وبصفة أساسية لا يحق للراهبة أن تتناول أي طعام بين الوجبات. غير أن هذا النظام لا يسري في


راهبات في حالة تعبد


راهبة تنظف مدخل أحد الأديرة

في أثناء تناول الطعام بالاستماع إلى إحداهن وهي تتلو عليهن بعض النصوص الدينية. وإذا لم يكن هذا كافيًا لصرف انتباهن عن الطعام، تُنصح الراهبات بالتفكير في مادة الخل والصفراء التي اضطر المسيح إلى احتسائها فوق الصليب. وهن يشعرن بالسعادة حينما لا يروقهن ما يقدم لهن ويحزَنّ إذا كان يروقهن، بل إن بعض الراهبات اللائي بلغن جميع الأديرة. فقد جاء في بعض الروايات أن الراهبات يشربن الكاكاو والشاي والقهوة والمشروبات الأخرى بين الوجبات.

الأعمال اليدوية

وفي جميع الأديرة، تحتل الأعمال اليدوية جزءًا كبيرًا من يوم الراهبة. بل إن هذه الأعمال تمثل

ضرورة لا غنى عنها في الأديرة الفقيرة التي تجعل منها مصدرًا للرزق، ومن ناحية أخرى فإن مثل هذه الأعمال تحتل مكانة كبيرة على المستوى الروحي إذ إنها تحارب الكسل، وتقضي على الخمول، وتحض الراهبات ضد البطالة الضارة. فقد ورد في أنظمة بعض الجماعات الدينية حديث موجه إلى الراهبات

تفرض على الراهبات ساعات صمت طويلة

يقول: «عليكن بالقيام بأي عمل أو شغل بحيث إن الشيطان يجدكن دائمًا مشغولات ولا يجد له مدخلاً إلى نفوسكن مستغلا فراغكن». كذلك فإن التعليمات التنظيمية في الأديرة تشير إلى أن الأعمال اليدوية، لما تتضمنه من تحريك لأعضاء الجسم، وبذل للجهد، تؤثر تأثيرًا مفيدًا في الصحة، خاصة فيما يختص بالراهبات السمينات أو القواعد، كذلك فإن العمل

دليل على الطاعة والخضوع؛ لأن جميع الراهبات، أيا كان أصلهن أو انتماؤهن الاجتماعي يخدم بعضهن بعضهن الآخر بلا تمييز أو تفضيل.

بالإضافة إلى أعمال المطبخ والغسل والتنظيف والترتيب، تقوم الراهبات أيضًا بحياكة ملابسهن وأحذيتهن وصناعة بعض الأشياء التي يحتجن إليها في حياتهن اليومية، كالشموع والأواني والمصابيح والسلال، هذا بالإضافة إلى بعض العقاقير والأدوات التي يستعملنها في إماتة الحواس كالسياط والأحزمة من شعر الخيول.

كذلك فإن بعض الأديرة الفقيرة تقوم ببعض الأعمال التي تتكسب من ورائها لحساب الآخرين خارج الأديرة، وبخاصة أشغال الإبرة. ويلاحظ هنا أن رئيسة الدير لا تقبل تنفيذ الأعمال أو الأشغال التي توحي بالترف والبذخ، حتى لا تنصرف الراهبات إلى التفكير في متاع الدنيا الزائلة، فإنها ترفض القيام بعمل أشياء لاستعمال الجنس الآخر، مثل السراويل والقمصان، وغيرها، مما يخدش حياء الراهبات.

أما الأديرة الممتازة فهي تفضل الأعمال التي تدر أرباحًا، مثل تربية الفتيات، أو تأجير العقارات أو المساكن. وفي مجال الإنتاج فإنها تفضل المنتجات المهمة أو الراقية التي تحتاج إليها طبقات المجتمع الراقية. وتقوم بعض الأديرة بصناعة الأدوية وبيعها للمواطنين في الأحياء التي تقع فيها. ويحكى أن راهبات أحد الأديرة كن يحتفظن بسر تركيبة دهان معين يعالج الأورام والجروح. ومما يروى بهذا الصدد مأساة كاد يؤدي إليها عقار اشتهر به أحد الأديرة في القرن السابع عشر. فقد أصيبت إحدى سيدات البلاط بالحمى، فلجأت إلى راهبات هذا الدير لعلاجها، فقدمن لها دواءً زاد من مرضها أضعافًا



الأعمال اليدوية للراهبات ضرورة لاغنى عنها

عليها حياتهن، لذلك ففي الوقت الذي يقمن فيه بالإنتاج، كما هي الحال في أثناء تناول الطعام، تقوم أخت لهن بتلاوة بعض النصوص الدينية، ليس فقط لمنعهن من الثرثرة فيما بينهن، ولكن لصرفهن عن التفكير في أمور الدنيا الفانية؛ وذلك على حد تعبير الأب موسون Musson.

أما في الأديرة الفاخرة، فإن قاعة العمل تكون أشبه بحجرة الاستقبال الكبيرة، تجتمع فيها سيدات المجتمع؛ لإنجاز المنتجات الراقية أو للثرثرة، وأحيانًا يتخلل ذلك الاستماع إلى الموسيقا.

الصمت ولغة الإشارات

وخلال نهارهن الحافل بالعبادة، والأعمال اليدوية، تفرض على الراهبات ساعات طويلة من الصمت. فالراهبات عاكفات طوال اليوم في الأعمال المختلفة دون أن توجه إحداهن الحديث إلى زميلتها، فمن المحظور عليهن تبادل العبارات، حتى البسيطة منها، إلاّ في حالات الضرورة القصوى، وفي إيجاز شديد. ولمساعدتهن على التواصل فيما بينهن يتعلمن منذ بداية الرهبانية نظامًا دلاليًا صامتًا، يشتمل على أكثر الألفاظ والعبارات شيوعًا. وتختلف هذه الأنظمة باختلاف الجماعات الدينية؛ فبعضهن حين

لم تعد الرهبانية مقصورة على الجوانب الدينية فحسب، وإنما اتسع مفهومها، بحيث أصبح يتضمن جوانب أخرى اجتماعية، ومن ذلك التدريس ورعاية الأطفال، والعناية بالمرضى.

مضاعفة. والغريب أن المريضة رفضت الإفصاح عن مصدر الدواء، ولكن في النهاية عرفت الحقيقة؛ مما جعل الملك يتدخل شخصيًا، ويوجه التقريع الشديد إلى الراهبات المتسببات في المأساة، ومما قاله الملك في معرض هجومه عليهن: «أنا أعرف أنهن محتالات، خبيثات، متآمرات، لكنني لم أكن أعلم أنهن قاتلات».

ولكن العمل المنتج الذي تقوم به الراهبات قد يصرف تفكيرهن عن المهمة الرئيسة التي قصر

البداية الرهبانية عند النساء كانت على يد بعض النسوة أو الفتيات اللائي اعتزلن الحياة العامة، ولزمن بيوتهن، وقصرن أوقاتهن على العبادة وعلى بعض الأعمال المنزلية. أما نظام الأديرة بصورته الحالية فلم يظهر إلا في القرن الرابع الميلادي

تحررت الراهبات من لبس اللون الأسود الذي فرض عليهن

يتحدثن فيما بينهن عن رئيسة الدير ترفع الراهبة يدها إلى جبينها، أما إذا كان الحديث عن نائبة الرئيسة فإن الراهبة تشير إلى ذراعها اليمنى، وأما إذا كان المقصودة بالحديث رئيسة الخدمة فإن الراهبة تشير إلى كتفها اليمنى. كذلك فإن الاماكن المختلفة في الدير يُرمز إليها بإشارات خاصة، فإن أرادت إحدى الراهبات أن تتحدث عن قاعة الاستقبال فإنها تضع إصبعين فوق إصبعين آخرين على شكل صليب. أما إذا أرادت إحداهن أن تذكر الحديقة فإنها تشير بإصبعها إلى الأرض. أما عنبر النوم فالرمز إليه يكون بوضع الأصابع فوق العينين. وحينما يراد فتح النوافذ أو إغلاقها تقوم الراهبة بعمل صليب على العين اليمنى، وبالنسبة إلى الأبواب يكون الصليب على العين اليسرى.

ومما يروى في موضوع استعمال الإشارات الصامته بدلاً من الكلام المسموع، أنه حينما أطلق سراح أحد القديسين من سجنه، تزامن ذلك مع فترة الصمت الطويل في دير «بور رويال»، ولكن رئيسة الدير لم تتمكن من فرط فرحتها أن تحبس الخبر عن بقية الراهبات حتى تنتهي فترة الصمت، فلجأت إلى تمثيل ما تريد أن تقوله دون أن تنطق به، فتناولت حزامها، وقامت بحله أمام جماعة الراهبات تعبيرًا عن أن الله تعالى قد حل قيود عبده وخادمه، ولما كان الأمل يداعب الجميع في إطلاق سراح القديس، فقد فهمت الراهبات جميعًا معنى الإشارة، وارتسمت الفرحة على وجوههن دون أن تنطق إحداهن بكلمة واحدة، أو تأتي بحركة طيش أو سرف . وقد حاولت إحدى راهبات هذا الدير أن تخترع من الحركات والإيماءات ما استغنت به عن استعمال الألفاظ، غير أن زميلاتها كن يجدن بعض المشقة في التفاهم معها دون أي ألفاظ منطوقة.



أعـــلام



ابن سهلان الساوي: علم ظلمه الجهل

زياد عبدالدائم

الجيزة ـ مصر

يقول القزويني: إن القاضي الساوي كان أديبًا فقيهًا حكيمًا.

يقول نجيب الدين الطبيب النيسابوري: كنت أختلف إليه فأراه بحرًا موّاجًا من العلوم.

لقد أحرقتْ جميع كتبه ورسائله مع مكتبته في سَاوَهْ بعد وفاته حدادًا عليه.

ابتكر آلة رصد فلكية لم يسبقه إليها أحد.

من أقوال ابن سهلان الساوي: "لا تطمع فيما لا يكون. ولا تيأس مما يمكن أن يكون".

في قديم الزمان، كانت هناك مدينة كثيرة الخيرات والمياه والخضرة، تطل على بحيرة جميلة، استيقظ أهلها ذات يوم فاندهشوا لمّا رأوا مياه بحيرتهم التي كانوا يعدونها مقدسة قد غاضت، ولم يعلموا أنه في هذا اليوم كان مولد سيد الأنام وخير البشر رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، الذي انتشرت دعوته إلى دين الحق شرقًا وغربًا. ودخل أهل هذه المدينة في دين الله أفواجًا، ليشاركوا في بناء صرح الحضارة الإسلامية العربية. هذه المدينة هي «سَاوَهْ» وتقع في إيران حاليًا.

عمر بن سهلان الساوي

هو زين الدين عمر بن سهلان الساوي، الإمام القاضي الفيلسوف المؤرِّخ العالم الفلكي، المعروف بالقاضي الساوي. لم يُعرف تاريخ ولادته وقد تُوفي نحو سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨ ـ ١٠٥٩م). رحل إلى نيسابور فعاش وتعلم بها، وكان يأكل من كسب يده، ويرتزق بالنسخ، لأن خطه كان غاية في الحسن، ومما يُحكى في حقه أنه قال: «أردت الاشتغال بالعلوم، وما كان لي مال، فكتبتُ ثلاث نسخ من كتاب «الشفاء» لأبي علي بن سينا (٤٢٨هـ/



١٠٣٧م)، وكـان إذ ذاك للشـفـاء رواج عظيم، بعت كل نسخة بمئة دينار، وأودعتُ ثمنها ثلاثمئة دينار عند بزّاز (بائع ثياب) صديق لي، وكلما احتجتُ أخذتُ منها وأنفقت، حتى غلبَ على ظنّي أني استوفيتها فانقطعت عنه، فرآني الرجل وقال: ما لي أراكَ تأخرتَ عن طلب النفقة؟ قلتُ: لأني استوفيتها، قال: لا، بعد أكثرها باقٍ، فكنتُ أمشي إليه بعد ذلك مرة أخرى، ثم انقطعتُ لما علمت أني استوفيت أكثر من مالي، فرآني وقال: ما سبب انقطاعك؟، قلت: جزاك الله عني خيرًا، إني استوفيت أكثر من مالي، فقال: لا تنقطع فإنه قد بقي منها بعد كثير، فكنت أمشي مرة أخرى مستحييًا، ثم انقطعتُ بالكلية، فرآني الرجل وسأل ألاّ أنقطع فامتنعت، فلما أيس عن ذلك أخرج من كُمِّه ثلاثمئة دينار وقال: هذا رأسُ مالك، والذي أخذتَهُ مكسبها؛ لأني كنت أتَّجرُ لك عليها، ولله تعالى الحمد، إذ وفقني لبعض قضاء حاجة مثلك».

من أخباره وأقواله

يقول القزويني: «إن القاضي عمر بن سهلان الساوي

كان أديبًا فقيهًا حكيمًا خصّه الله تعالى بلطافة الطبع، وفطانة الذهن، وفصاحة الكلام، ومتانة البيان».

وذكر نجيب الدين أبو بكر الطبيب النيسابوري أنّ القاضي عمر قال له: «طالعي الميزان، وكان يومًا من الأيام قران الرأس والزهرة على درجة طالعي فقلت أفوز في هذا اليوم بحظ جسيم، وكان قد أشكل عليّ شكل من المقالة العاشرة من أوقليدس، فغلبني النوم فنمت، فرأيت في المنام شيخًا قيل: إنه أوقليدس النجار، فقلت له: أسألك عن شيء، فقال: سَلْ، فسألته عن الشكل المُشكل عليّ، فقال لي: عد إلى شكل كذا حتى يتبيّن لك ذلك الشكل، فانتبهت، وتوضأت، وتأملت هذا الشكل المرجوع إليه فتبين لي، وعلمت ما كنت أجهله».

ويقول الطبيب النيسابوري: «كنتُ أختلفُ إليه فأراه بحرًا موّاجًا من العلوم». وقد كتب إليه القاضي الساوي في إحدى رسائله: «كنْ من الزمرة المنسلخين عن جلدة النسب والألقاب، الواضعين عن أكتافهم أوزار الأعقاب، النافضين عن كواهلهم غبرة الدهور والأحقاب، فهذه عادة قد أفلح من زكّاها، وقد خاب من دسّاها».

ومما قال ابن سهلان الساوي:

- الخوف رمز ليس لأحد استقامة إلاّ به، فمن لم يخف الله خاف من كل واحد، ومن لم يخف عار الرذائل لم يكتسب الفضائل.
- اتقِ من الشر اليسير، فإن اليسير يدل على الكثير.
- لا تطمعْ فيما لا يكون، ولا تيأس مما يمكن أن يكون.
- ليس المحسن من توخّى بالإحسان، المحسن دون المسيء.

. مؤلفاته

لقد كتب القاضي الساوي في مجالات متعددة من العلوم والآداب، ومما يُؤسف له ويُعدّ خسارة علمية وتاريخية كبيرة أن جميع رسائله وكتبه قد أُحرقت مع مكتبته في ساوه بعد وفاته حدادًا عليه، وأتساءل أيّ جهل دفعهم إلى هذا الحداد الذي أعدّه ميتة ثانية لهذا العالم الجليل، رحمه الله.



أبدع العلماء العرب في مجالات متنوعة من العلوم

من كتبه ورسائله

- البصائر النصيرية: في علم المنطق، ويعدّ من أهم آثاره التي وصلتنا، وهو مطبوع في القاهرة بتعليق محمد عبده عام ١٨٩٨م، وهناك طبعة أخرى له في بيروت، دار الفكر اللبناني، بتعليق رفيق العجم عام

كان القاضي الساوي أحد هؤلاء العلماء الذين أبدعوا في مجالات متنوعة من العلوم. فقد كتب رسالة في تركيب آلة رصد فلكية لم يسبقه إليها أحد. تفيد في معرفة ارتفاعات الكواكب. وتوجد هذه الرسالة ضمن مخطوط يضم عدة رسائل في علم الفلك والهندسة



١٩٩٣م، وقد ذكَرَ الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه «الإشارات والتنبيهات» هذا الكتاب أكثر من مرة، مستشهدًا، به ومعلّقًا على آراء القاضي الساوي.

ويُذكر أن حكيم الإشراق شهاب الدين السهروردي (٥٨٧هـ / ١١٩١م) قد قرأ كتاب البصائر على أحد علماء أصفهان، ويدعى «ظهير الدين قاري».

- التوطئة في الطلسمات والنيرنجات: محفوظ في مكتبة أصغر مهدي في طهران في نسخة خطية من سنة ٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م.
- مختصر (أو منتخب) صوان الحكمة: محفوظ في المكتبة السليمانية في إستانبول، نشره D. M Dunlop في Den Haag عام ١٩٧٩م.
- تاريخ أصفهان.
- كتاب في الحساب.
- رسالة التبصرة: نشرها محمد تقي دانش پژوه في طهران سنة ١٣٣٧هـ /١٩١٩م.
- رسالة في تحقيق نقيض الوجود: نشرها محمد تقي دانش پژوه في طهران سنة ١٣٣٧هـ /١٩١٩م.
- رسالة من المنطق: نشرها محمد تقي دانش پژوه في طهران سنة ١٣٣٧هـ / ١٩١٩م.
- شرح رسالة الطير لابن سينا.
- الرسالة السنجرية في الكائنات العنصرية.
- رسالة في ابتكاره آلة رصد فلكية تفيد في قياس ارتفاعات الكواكب.

كتب القاضي الساوي في مجالات متعددة من العلوم والآداب. ومما يُؤسف له ويُعدّ خسارة علمية وتاريخية كبيرة أن جميع رسائله وكتبه قد أُحرقت مع مكتبته في ساوه بعد وفاته حدادًا عليه، وأتساءل أيّ جهل دفعهم إلى هذا الحداد الذي أعدّه ميتة ثانية لهذا العالم الجليل، رحمه الله

رسالته المخطوطة في آلة الرصد الفلكية

لقد كان العصر العباسي بحق عصر النهضة العلمية عند المسلمين، إذ تم التقدم والإبداع في شتّى فروع العلوم، وخاصة علم الفلك والأرصاد الذي كان ضرورة دينية علمية، وذلك للاستفادة من تطبيقاته في عدد من المسائل الشرعية: كتحديد اتجاه القبلة، وأوقات الصلوات بدقة، ومعرفة الحركات القمرية من أجل التقويم الدقيق لبدايات الشهور القمرية، وغير ذلك. وقد برز الكثير من العلماء في مجال الفلك، مثل أبي عبدالله البتّاني (٣١٧هـ/ ٩٢٩م)، وعبدالرحمن الصوفي (٣٧٦هـ / ٩٨٦م)، وأبي الوفا البوزجاني (٣٨٧هـ /٩٩٧م)، والحسن ابن الهيثم (٤٣١هـ /١٠٤٠م)، وغيرهم كثير.

كان القاضي الساوي أحد هؤلاء العلماء الذين


استفاد القاضي الساوي ممن سبقه من المسلمين

يستعملها أصحاب الأرصاد، ومنها ما ينوب عنها فيكون خفيف المؤنة في النقل والاستعمال، ويتيسر لكل أحد حصولها، وهي على وجوه، فمنها ما ينوب عنها نيابة غير كافية كالأسطرلاب وغيره من آلات الارتفاعات، ومنها ما ينوب عنها نيابة كافية، ويجب أن تكون هذه أيضًا على وجوه، فمنها ما يُسِّر لأبي علي الحسن بن الحسن بن الهيثم البصري، والناس في وجودها بين شك ويقين. وقد تهيّأ لنا استنباط آلة مقنعة لطالب الارتفاعات بأجزائها وكسورها، ويمكن أخذ ارتفاع مركز الشمس بها أيضًا».

كان العصر العباسي بحق عصر النهضة العلمية عند المسلمين، إذ تم التقدم والإبداع في شتّى فروع العلوم، وخاصة علم الفلك والأرصاد الذي كان ضرورة دينية علمية، وذلك للاستفادة من تطبيقاته في عدد من المسائل الشرعية

أبدعوا في مجالات متنوعة من العلوم، فقد كتب رسالة في تركيب آلة رصد فلكية لم يسبقه إليها أحد تفيد في معرفة ارتفاعات الكواكب، وتوجد هذه الرسالة ضمن مخطوط يضم عدة رسائل في علم الفلك والهندسة، وهذه النسخة مكتوبة في همذان سنه٦٩٧هـ /١٢٩٨م.

ومما لا شك فيه أنه استفاد ممن سبقه من العلماء في قياس ارتفاعات الكواكب، فقد جاء في مقدمة الرسالة: «إن الآلات التي ندرك بها الارتفاعات بأجزائها وكسورها كثيرة، منها ما لا يتهيأ وجودها وحصولها إلا للعظماء والملوك لعظمها وكثرة ما فيها من المؤنة كالحَلَقِ الكِبار وغيرها من الآلات التي

وتقع الرسالة في ١٥ صفحة. وهي مقسمة إلى ثلاثة أبواب رئيسة:

الباب الأول: في المقدمات. ويضم هذا الباب فصلاً واحدًا يَعرضُ فيه المقدمات الرياضية النظرية التي سيعتمدها في صنع الآلة.

الباب الثاني: في صنعة الآلة. ويضم ثمانية فصول، تحدث المؤلّف فيها عن مكونات الآلة وأقسامها المختلفة وهي:

- فصل في اتخاذ صفيحة الأم.
- فصل في كسور الارتفاع.
- فصل في الحُجرة وربع الارتفاع.

ابن سهلان الساوي: الخوف رمز ليس لأحد استقامة إلاّ به. فمن لم يخف الله خاف من كل واحد، ومن لم يخف عار الرذائل لم يكتسب الفضائل

- فصل في صفيحة الغشاء.
- فصل في المسطرة المرتّبة للكسور.
- فصل في البكَرَات.
- فصل في العضادة.
- فصل في القطب.
- الباب الثالث: في تركيب الآلة وامتحانها والعمل بها. وجاء في ثلاثة فصول.

وفي نهاية الرسالة توجد بعض الرسومات والأشكال التوضيحية لما ورد فيها من معلومات. وتجدر الإشارة أخيرًا إلى أنه قد تمت محاولة لإعادة تصنيع هذه الآلة في جمهورية ألمانيا الاتحادية، وهي معروضة في متحف معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت.

خاتمة

إن القاضي عمر بن سهلان الساوي كان من أولئك العلماء الموسوعيين الذي أفرزتهم الحضارة الإسلامية العربية، ولكن الجهل ساهم في إغفال ذكره وقتل شهرته، وأعتقد أنه لو لم تُحرق كتبه ومؤلفاته لكان من مشاهير أعلام حضارتنا الإسلامية العربية التي نحاول اليوم بناءها مرتكزين على تراثنا الغني الذي قدّم أسماء كبيرة للعالم تؤكّد أننا لسنا من أمة عقيمة علميًا وحضاريًا، وما نعيشه اليوم هو الاستثناء، ولا بد للقاعدة أن تعود إذا ما عُدنا نحن لمنابعنا الإسلامية العذبة التي أوصلتنا ذروة المجد ذات عصر.

مثل العصر العباسي عصر النهضة العلمية عند المسلمين



المراجع

١. ابن سينا، الإشارات والتنبيهات.
٢. جعفر السبحاني، رسالة في التحسين والتقبيح العقليين.
٣. جمال الدين أبو الفضل ابن منظور، لسان العرب.
٤. حاجي خليفة مصطفى بن عبدالله، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
٥. خيرالدين الزركلي، الأعلام.
٦. زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد.
٧. صديق بن حسن القنوجي، أبجد العلوم.
٨. صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات.
٩. ظهير الدين البيهقي، تاريخ حكماء الإسلام.
١٠. عبدالحسين خسروبناه، منطق استقراء علمي (مقالة فارسية من مجلة تخصصي كلام إسلامي).
١١. عبدالله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان.
١٢. فؤاد سيزكين، رسائل عربية في علم الفلك والرياضيات.
١٣. محمد ألتونجي، معجم الطلاب.
١٤. ياقوت الحموي، معجم البلدان.




قريباً العدد الثاني



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٤٤) صفر ١٤٢٦هـ مارس/أبريل ٢٠٠٥م

الفائز الأول: رشيد ناجمي ـ أغادير ـ المغرب.
الفائز الثاني: أحمد رجب أحمد ـ سيؤن ـ اليمن.
الفائز الثالث: فيصل عبدالله عثمان الشنقيطي ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الرابع: عادل حمدي سليمان ـ العريش ـ مصر.
الفائز الخامس: الدكتورة سعاد جلال الدين ـ دمشق ـ سورية.
الفائز السادس: ثريا زكريا بيلا ـ مكة المكرمة ـ السعودية.
الفائز السابع: نقاش خليل ـ قرارم ـ الجزائر.
الفائز الثامن: سهاد عمر رشاد الرومي ـ أبو ظبي ـ الإمارات.

حلّ مسابقة العدد (٣٤٤)

١- روائية إنجليزية أصيبت باضطراب عقلي فانتحرت هي فرجينيا وولف.
٢- قائد عربي لقي مصرعه في معركة «بواتييه» هو عبدالرحمن الغافقي.
٣- فيلسوف يوناني دعا إلى التقشف وعاش في برميل هو ديوجينوس.

أسئلة مسابقة العدد (٣٤٧) أجب عن الأسئلة الآتية:

(١) من قائل هذا البيت:

نعى نفسي إليّ من الليالي
تصرُّفُهُنَّ حالاً بعد حالِ

(٢) «الثلاثية» رواية شهيرة في ثلاثة أجزاء لنجيب محفوظ اذكر أسماء هذه الأجزاء؟

(٣) «الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا»

عبارة شهيرة لأحد الشعراء الإنجليز: اذكر اسم هذا الشاعر؟

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات بالحروف الأجنبية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

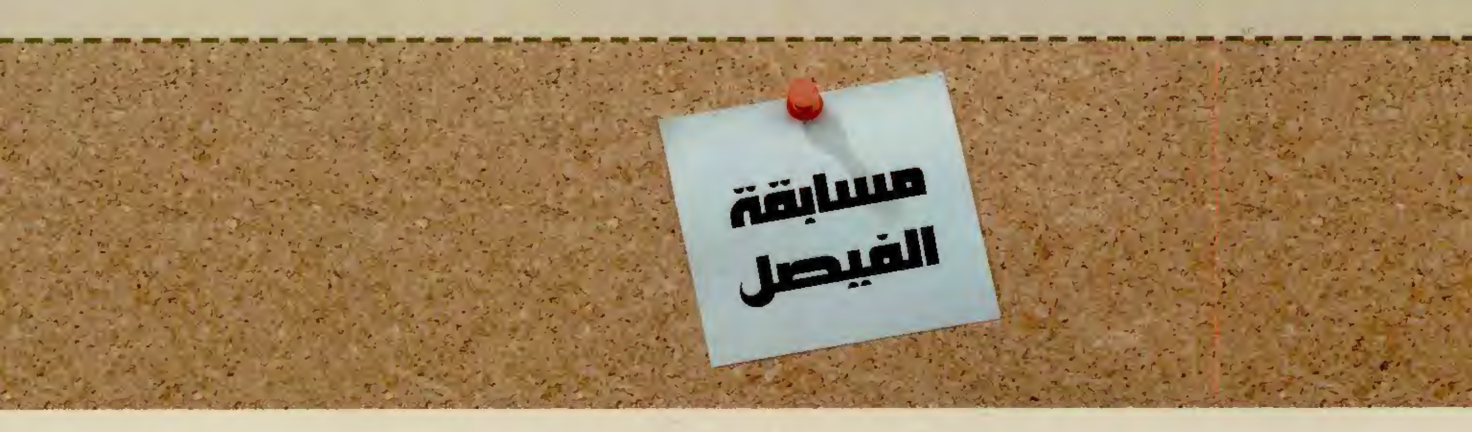
الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

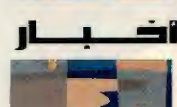
الملف الثقافي



- صدور أكبر موسوعة سعودية
- نشاط ثقافي حافل في مركز الملك فيصل
- رقمنة وصف مصر، وعودة مسلة أكسوم
- حملة تعريف بكنوز السودان

●● خاتمة المطاف: مقدمات ونتائج حضارية







الأمير عبد الله بن عبد العزيز

صدور أكبر موسوعة سعودية

برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني - تصدر مكتبة الملك عبدالعزيز قريبًا أكبر موسوعة توثيقية ترصد تاريخ المملكة العربية السعودية ماضيًا وحاضرًا، وسوف تصدر الموسوعة باللغتين العربية والإنجليزية، كما ستصدر على أقراص إلكترونية، وموقع متكامل على شبكة الإنترنت.

وتهدف المكتبة من إصدار هذه الموسوعة، التي تعدّ أول مشروع وطني ثقافي رصد المملكة جغرافيًا، وثقافيًا، وتاريخيًا، واجتماعيًا، إلى توثيق هذه المعلومات، ووصولها إلى كل من يعتني بالمملكة العربية السعودية ككيان له تاريخ عريق، وحاضر مؤثر في أنحاء المعمورة كافة. كما تهدف الموسوعة أيضًا إلى «توفير مادة علمية شاملة عن المملكة بكافة مناطقها، مستمدة من معلومات حديثة ودقيقة، ومدعّمة بالصور، والوثائق، والخرائط التوضيحية، والبيانات الإحصائية».

المنتدى العربي للأنظمة الآلية للمكتبات

يستعد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية لتنظيم لقاء علمي تحت عنوان «المنتدى العربي للأنظمة الآلية للمكتبات»، يجمع الخبراء والمتخصصين في قضايا الأنظمة الآلية للمكتبات ومراكز المعلومات في البلاد العربية، وذلك من منطلق الحاجة الماسة إلى ذلك، تزامنًا مع السعي الحثيث من المكتبات ومراكز المعلومات نحو ميكنة أعمالها وإتاحة مصادرها على الشبكة العالمية «الإنترنت».

وسيتيح هذا المنتدى فرصة علمية ومهنية للمتخصصين على مستوى العالم العربي، والخبراء من مختلف أنحاء العالم، لمناقشة قضايا الأنظمة الآلية وتطبيقاتها في المكتبات ومراكز المعلومات، إضافة إلى متابعة التطورات التقنية في مجال الأجهزة والبرامج الحاسوبية، وبرامج الاتصالات، واقتراح المناسب منها، خاصة تلك التي تضمن حماية البيانات، وكفاءة الأداء، وتسهيل مهمة المستفيدين في التعامل معها.

وسيقام بالتزامن مع هذا المنتدى معرض للأنظمة



الأمير تركي الفيصل



الآلية المتوافرة، تتاح فيه الفرصة للشركات والمؤسسات المهتمة بالأنظمة المعلوماتية لعرض منتجاتها للجمهور، خاصة تلك التي تدعم اللغة العربية. كما سيتم من خلال هذا المنتدى دراسة المشكلات والصعوبات التي تواجه النظم الآلية، والسبل التي يمكن التغلب بها على هذه الصعوبات وتجاوزها. والفرصة متاحة للشركات الراغبة في رعاية هذه المناسبة، أو المشاركة فيها من خلال الاتصال باللجنة التنظيمية على العنوان الآتي :

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
ص. ب : ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية
فاكس : ٤٦٥٩٩٩٣ «٩٦٦١+» / ٤٦٥٠١٤٣ «٩٦٦١+»
هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ «٩٦٦١+»
تحويلة ٦٦٢١ ، ٦٥٨٦ / ٢١٧٤٩٨٩ «٩٦٦١+»

عندما تكلم العلم العربية

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز ـ الأمين العام للهيئة العليا للسياحة، ورئيس اللجنة الاستشارية لواحة الأمير سلمان للعلوم ـ معرض «عندما تكلم العلم العربية» الذي نظمته مؤسسة الرياض الخيرية للعلوم بالتعاون مع مؤسسة التراث وسفارة جمهورية فرنسا بالمملكة، بخيمة أمانة مدينة الرياض، في الفترة من ٢٨ربيع الأول ١٤٢٦هـ (الموافق ٧ مايو/أيار ٢٠٠٥م)، حتى ١٢ ربيع الآخر١٤٢٦هـ (الموافق ٢٠مايو/أيار ٢٠٠٥م).

وهدف المعرض إلى التعريف بأهم المنجزات العلمية التي تحققت على أيدي العلماء المسلمين في مجالات: الملاحظة والقياس، والحساب، والتجريب، والتطبيب، والعمارة، ونقل المعرفة، من خلال مجموعة من النماذج الحية لأعمالهم، وبعض اللوحات المصورة التي تبرز بإيجاز ما قدّمه أولئك العلماء لإغناء المعرفة، ويأتي تنظيم المؤسسة له، انطلاقاً من دورها المتمثل في تقديم الخدمات التعليمية، والتربوية، والعلمية، والتثقيفية، والاستثمارية بجميع أنواعها.

وهذا المعرض امتداد لمعرض «عندما تكلم العلم العربية» الذي قام بتنظيمه مركز العلوم بفرنسا مستعرضاً فيه بعض مساهمات العلماء العرب في مجال المعرفة وازدهارها في العالم، وهو استلهام لمنهج العلماء العرب والمسلمين، في ذلك العصر، في نقل معارفهم وتقاسمها، من علوم الأرض إلى علوم الحياة، ومن الحساب إلى التجريب، ومن الملاحظة إلى المنهج العلمي، بالإضافة إلى اهتمامهم بعلوم الدين، واللغة، والأدب، وقد انطلق هذا المعرض من باريس، ومرّ في رحلته بعدد من الدول العربية، وسيستمر في جولته ليشمل دولاً عربية وعالمية أخرى، وقد حظي المعرض باهتمام رسمي وشعبي بالغ في البلدان التي زارها.

يذكر أن مؤسسة الرياض الخيرية للعلوم تقوم على إنشاء واحة الأمير سلمان للعلوم، وتشاركها في ذلك مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وتضم واحة الأمير سلمان للعلوم عددًا من الأجهزة والمعروضات العلمية التي تقوم على مبدأ التعلم بالتجربة الذاتية في إطار ترويحي مشوق، بالإضافة إلى عدد من العناصر المساندة، والأنشطة التعليمية المختلفة التي تكمل المهمة الفريدة لهذا الصرح العلمي، وتساعد على تحقيق أهدافه.

الأمير سلطان بن سلمان بن عبد العزيز



نشاط ثقافي حافل في مركز الملك فيصل

استضاف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الفترة الماضية عددًا من المحاضرات العلمية والثقافية والتاريخية، ضمن أنشطته الثقافية لهذا العام.

ومن هذه المحاضرات محاضرة بعنوان «عقود المعاملات الحديثة: البطاقات البنكية الائتمانية أنموذجًا» قدّمها الدكتور عبدالوهاب أبوسليمان، ثم قدّم الياباني د. جون أوبا محاضرة بعنوان «تجربة اليابان في التعليم العالي»، وقدّم الدكتور صالح

الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري



جواد الطعمة محاضرة بعنوان «ترجمة الأدب العربي الحديث: مسيرة نصف قرن»، وقدّم د. دومينيك شوفالييه محاضرة بعنوان «أدوات التواصل الإنسانية والروحية والتبادلات التضامنية بين دول الجامعة العربية ودول الاتحاد الأوربي».

وأقام المركز لقاءً علميًا للتعريف بكتاب «برديات قرة بن شريك العبسي» شارك فيه كل من: د. جاسر أبوصفية، ود. عبدالعزيز الهلابي، ود. محمد فارس الجميل.

وجاءت ندوة «ألمانيا والثقافة العربية» بمشاركة كل من: د. إشتيفان ليدر، ود. فالح العجمي، ود. توماس فيليب، ود. عبدالقادر عرابي، والدكتورة غودرون كريمر، ود. عبدالراضي عبدالمحسن، ود. مازن مطبقاني، والدكتورة أولريكه فريتاغ، ود. فؤاد فرسوني، ود. سعد الصويان، ود. يوهانس رايسنر.

وتوالت المحاضرات بعد ذلك فقدّم د. إليكسي فاسيليف محاضرة بعنوان «الأرشيف الروسي وأهميته في دراسة تاريخ دول الخليج العربي: الوضع الراهن واستشراف المستقبل»، وقدّم الدكتور عبدالله المطلق «منطلقات أساسية في فقه الواقع»، واللواء كمال سراج الدين «حقوق المتهم في ضوء الإجراءات الجزائية»، ود. جون لامبورت «المجتمع المدني: اليمن أنموذجًا»، وقدّم الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري «تفسير القرآن بين العقل والنقل»، والدكتورة كارول هيلينبراند «كيف نظر المسلمون إلى الفرنجة في القرن السادس الهجري».

ثم أقيم محاضرة بعنوان «داغ همر شولد والأمم المتحدة» بمشاركة كل من: السفير تورستن أورن (سويدي)،

آثار مصرية تعود

من المقرر أن تتسلم مصر من بلجيكا قريبًا إحدى اللوحات الأثرية المهمة التي يحتفظ بها المتحف الملكي للفنون والتاريخ بمدينة بروكسل، وكان المتحف قد اشترى اللوحة من أحد تجار الآثار عام ١٩٧٣م، واتضح فيما بعد أنها مسروقة من حفائر الدكتور عبدالمنعم أبو بكر بالجيزة عام ١٩٦٥م.

وقد صنعت اللوحة المسروقة، التي يبلغ طولها ٧٦,٦ سم، وعرضها ٣٦ سم، وسمكها ٣,٥ سم، من الحجر الجيري، وهي مقسمة إلى جزأين: يصور الجزء العلوي منها سيدتين، بينما يبين الجزء السفلي السيدتين، ولكن بصحبة طفل. وكان المتحف البلجيكي قد وافق على تسليم هذه اللوحة بعد أن ربطت اللجنة الدائمة للآثار موافقتها بالتصريح للبعثة البلجيكية باستكمال أعمال نقل النقوش الأثرية، وتسجيلها بمقبرة ستاوي من الأسرة العشرين في منطقة الكاب في مدينة أدفو بتسليم الحكومة البلجيكية اللوحة المسروقة.

وكانت السنوات الثلاث الأخيرة قد شهدت استرداد مصر

والعقيد بير أولوف هلكفيست «سويدي»، ود. صالح بن محمد الخثلان، ود. مازن مطبقاني، وقدّم د. نبيل لوقا بباوي محاضرة بعنوان «حرية العقيدة في الإسلام لغير المسلمين»، كما قدّم د. قاسم السامرائي محاضرة بعنوان «علاقات المستشرق سنوك هيروخرونية التجسسية»، ود. محمد الهدلق «نصوص النظرية النقدية في التراث العربي، وطريقة تقديمها إلى الدارسين المحدثين»، ود. نوزات كايا «المخطوطات العربية في تركيا: واقعها ومستقبلها».

ثم أقيمت ندوة علمية للتعريف بكتاب «الأمكنة والجبال والمياه والآثار ونحوها» لنصر الإسكندري، تحقيق: حمد الجاسر، تحدث فيها كل من: د. عبدالله يوسف الغنيم، ود. أسعد عبده، والأستاذ عبدالله محمد الشايع.

وكانت خاتمة النشاط الثقافي للمركز هذا العام محاضرة بعنوان «آفاق التعاون بين الصين والعالم العربي: الحوافز والمعوقات» قدّمها د. تشووي ليه.

وأقيم خلال هذه الفترة عدد من المعارض، هي: «معرض برديات قرة بن شريك»، و«معرض ألمانيا والثقافة العربية»، و«معرض الكتب المهداة إلى الملك فيصل».

د. جاسر أبو صفية (أقصى اليسار)



د. جون لامبورت



عددًا من آثارها المسروقة، إذ استردت مصر آنية فخارية ترجع إلى عصر الأسرة الأولى، ويبلغ عمرها نحو ٥ آلاف عام من متحف المتروبوليتان بنيويورك، كانت قد سرقت من مخزن المعادي، بكلية الآداب في جامعة القاهرة، كذلك استردت مصر مومياء الملك رمسيس الأول - مؤسس الأسرة التاسعة عشرة، وأول ملوكها - من متحف مايكل كارلوس بجامعة إمرى بأطلانطا، وتمثالاً للإله أنوبيس - إله الموتى - الذي كان معروضًا بصالة مزادات أيباي في الولايات المتحدة. من ناحية أخرى سلمت الأردن في الشهر الماضي ٢٤ تمثالاً نادرًا كان قد تم ضبطها في ميناء العقبة خلال محاولة تهريبها من مصر إلى الأردن مخبأة داخل «أجولة» من البصل، وتتكون التماثيل المسروقة من ١٦ تمثالاً تراوح أطوالها بين ١١ و ١٧ سم، ويصور أحدها «حورس» في الهيئة الأوزيرية، و٤ تماثيل تصور «إيزيس» في وضع الجلوس حيث تحمل ابنها «حورس»، وتمثال آخر لإيزيس وهي ترتدي التاج المزدوج، وفي مقدّمة رأسها «الصل» الملكي، بالإضافة إلى تمثالين صغيرين لمجهولين: أحدهما واقف، والآخر جالس على ركبتيه.

حملة تعريف بكنوز السودان



بمناسبة مرور الذكرى المئوية على تأسيس متحف السودان القومي، قامت الهيئة العامة للآثار السودانية بحملة واسعة بهدف التعريف بالآثار السودانية، وحث السودانيين على الوصول إلى أماكنها خاصة في الإقليم الشمالي من السودان، بالإضافة إلى معاينة ما يحويه متحف السودان من كنوز أثرية.

كذلك قامت الهيئة بإصدار عدد من المطبوعات تتناول الآثار والمقتنيات الأثرية القيمة للمتحف، والتعريف بالحقب التاريخية المتعاقبة على السودان، منها كتاب الخبيرة الآثارية البريطانية جولي أندرسون الذي جاء فيه: إن السودان هو أكبر بلد في إفريقية، إذ تبلغ مساحته تقريبًا مليونين ونصف المليون كيلومتر مربع؛ أي: ما يزيد على مساحة المملكة المتحدة «بريطانيا»، وقد ظل آلاف السنين منطقة تواصل بين شعوب إفريقية الوسطى، وشعوب عالم البحر الأبيض المتوسط».

عودة مسلة أكسوم

استعادت أثيوبيا في الشهر الماضي أحد رموزها الأثرية المهمة بعد غيبة دامت نحو ٦٧ عامًا، فقد وصلت إلى العاصمة القديمة أكسوم طائرة نقل ضخمة، وهي تقل القطع الثلاث التي تتكون منها «مسلة أكسوم»، التي استولت عليها القوات الإيطالية بقيادة موسوليني، ونقلتها إلى روما عام ١٩٣٧م، لتنصبها هناك طوال هذه الفترة.

ولقيت عودة هذا الأثر التاريخي استقبالاً حارًا على المستويين الرسمي والشعبي، إذ كان في مقدّمة مستقبليه الرئيس الأثيوبي جيرما ولد جرجس، ورئيس الوزراء ميليس زيناوي، ورئيس الكنيسة الأثيوبية الأرثوذكسية، وأعضاء الوفود الدبلوماسية، وجمع غفير من المواطنين الذين كانوا يغنون، ويرقصون فرحًا وابتهاجًا بهذه المناسبة.

وكانت أثيوبيا تطالب بإعادة هذه المسلة منذ زمن بعيد، ووافقت الحكومة الإيطالية على إعادتها بموجب الاتفاقية التي عقدتها مع الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م، لكن الحكومات المتعاقبة ظلت تماطل في تنفيذ هذا الاتفاق، حتى تولى رئاسة الحكومة سيلفيو بيرلسكوني عام ٢٠٠٣م، الذي قرر تنفيذ الاتفاقية، وإرجاع المسلة إلى بلدها.

كذلك قام المتحف القومي السوداني بالتعاون مع المتحف البريطاني بإعداد معرض بعنوان «السودان: كنوز عريقة» افتتح في المتحف البريطاني عام ٢٠٠٤م، ثم انتقل إلى مدن أخرى في بريطانيا وخارجها.

ويحتوي المعرض على مجموعة متنوعة من الآثار النادرة، يمتد تاريخها من ٨٥٠٠ قبل الميلاد، حتى القرن التاسع عشر الميلادي، يملكها متحف السودان القومي في الخرطوم، من ضمنها تماثيل ملكية ضخمة، ومجوهرات ذهبية دقيقة الصنع، وغيرها من التحف التاريخية النادرة. ويصاحب المعرض دليل تعريفي لهذه المجموعات التاريخية المعروضة.

ويعدّ متحف السودان القومي من أقدّم المتاحف في إفريقية، إذ قامت بإنشائه الإدارة البريطانية عام ١٩٠٤م، إبان حكمها للسودان خلال الفترة من عام ١٨٨٩ ـ عام ١٩٥٥م»، وأصدرت أول قانون للآثار عام ١٩٠٥م، وكانت القرارات الخاصة بالآثار تصدر مباشرة من الحاكم البريطاني الذي يمثل أعلى سلطة في الدولة آنذاك.

رقمنة وصف مصر

صدر عن مكتبة الإسكندرية مؤخرًا «نسخة مرقمنة» على أقراص مضغوطة من كتاب «وصف مصر»، وتعد هذه المرة الأولى التي تتم فيها رقمنة هذا الكتاب الذي يعد من أعمق وأقوى الكتب التي تتناول تاريخ مصر من كل جوانبه.

والمعروف أن كتاب «وصف مصر» جاء نتيجة تعاون أكثر من ١٥٠ عالمًا، وأكثر من ألفي متخصص من الفنانين والرسامين والتقنيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت على مصر خلال الأعوام ١٧٩٨. ١٨٠١م، وقد رصد هؤلاء العلماء كل أمور الحياة في مصر في تلك الفترة، بالإضافة إلى رصد كل ما يتعلق بالحضارة المصرية القديمة.

وقد عدّ هذا الكتاب، الذي يقع في ٢٠ جزءًا ما بين شرح وصور ولوحات، أكبر وأشمل موسوعة عن مصر، وأكبر مخطوطة يدوية قامت عليها كتيبة من الدارسين والأكاديميين، وقد نشر بين عامي ١٨٠٩ و١٨٢٩م، وجاء مشتملاً على صور ولوحات للآثار المصرية، والتاريخ الطبيعي المصري، بالإضافة إلى توثيق كل مظاهر الحياة والكنوز التاريخية والفنية والدينية المصرية، وتسجيل جميع مظاهر الحياة النباتية والحيوانية والثروة المعدنية في تلك الفترة.

وتزن المسلة نحو ١٦٠ طنًا، ويبلغ ارتفاعها نحو ٢٤,٦ مترًا، وهي تشهد على حضارة أكسوم التي ازدهرت في المنطقة بين القرنين الثالث قبل الميلاد والثامن الميلادي.

وكانت منظمة اليونسكو قد أوفدت عددًا من الخبراء في مهمة إجراء تقويم ميداني للموقع الأثري المدرج في قائمة التراث العالمي من أجل إعادة نصب مسلته، ولكن الخبراء فوجئوا بوجود كنوز أثرية ضخمة أخرى تضمها هذه البلاد، فقد تم اكتشاف تجاويف وقناطر تحت الأرض في جوار الموقع الأصلي للمسلة، وتشتمل هذه المكتشفات على مجموعة من المدافن الملكية تخص سلالات مختلفة مما قبل التاريخ الميلادي.





البادي، عوض/ الرحالة الأوروبيون في شمال ووسط الجزيرة العربية: منطقة حائل (١٨٤٥. ١٩٢١م) ـ بيروت: دار برزان للنشر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

تكتسب كتابات الرحّالين الأوربيين إلى الجزيرة العربية أهمية بالغة في مجال توفير معلومات في جميع الجوانب المتعلقة بها، ولا غنى عنها للباحث في التاريخ العام للجزيرة العربية، وفي التواريخ المحلية للمناطق التي زاروها، لا سيما في ظل عدم وجود كتابات مماثلة من أبناء البلاد أنفسهم، وانعدام السجلات والوثائق المحلية عن الفترات التي ارتحلوا فيها عبر الجزيرة العربية.

وتمثل منطقة حائل وعاصمتها مدينة حائل، إحدى أهم مناطق شمال ووسط شبه الجزيرة العربية التي اتجهت إليها أنظار أولئك الرحالين الأوربيين، وخصوها بعناية كبيرة في كتاباتهم وذلك للأهمية السياسية التي كانت تحظى بها زمن قيامهم برحلاتهم، إذ قامت فيها إمارة عربية استطاعت خلال إحدى مراحلها أن تضم أجزاء كبيرة من مناطق شمال ووسط وغرب الجزيرة العربية.

وزار منطقة حائل خلال الفترة الواقعة بين (١٢٦١ و١٣٤٠هـ) و(١٨٤٥ و١٩٢١م) اثنا عشر رحالة من الأوربيين خصوها باهتمام في كتاباتهم، وقدم هؤلاء الرحالون عن المنطقة الكثير من المعلومات التي تصف جغرافيتها، وتؤرخ لأحوالها السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، وتركيباتها السكانية، حاضرة وبادية.

ويقدم هذا الكتاب هؤلاء الرحالة، ونصوصهم كاملة باللغة العربية مترجمة من لغاتها الأصلية، ويتناول الكتاب هؤلاء الرحالين ، وهم: جورج أوغست وألن الفنلندي، ووليم جيفورد بلغريف الإنجليزي، وكارلو غوارماني الأيطالي، وتشارلز داوتي الإنجليزي.



الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك/ كشف الحال في وصف الخال، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن عمر العقيل ـ بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

إن أهم باعث على اهتمام المحقق، بموضوع الخال هو ما وجده من تفسيرات خرافية بعيدة عن روح العلم وتفسيره لتكون الخيلان في الجسد، مثل قولهم «عند ما تخاف الأم، أو تتعرض لتجربة مثيرة قبل ولادة الطفل، فإنه سيكون لديه خال على جسده، وهذا الخال كثيرًا ما كان يفترض أن يكون له تخطيط خاص، طبقًا لما أخاف الأم».

وما يردده العوام: أن حبة الخال في الوجه وغيره مردها تقبيل الخال (أخو الأم) لابن أخته في صغره، فمن كثرت خيلانه قالوا له «خالك يحبك»، ولعل مما ساعد على شيوع هذا التفسير لتكون الخال ـ علاوة على اتفاق لفظ الخال واختلاف معناه ـ خلطهم بين

الحبة أي: العدد المفرد و«الحبه»، أي: القبلة، واتخذ الخال عند القدماء، من ضروب الفراسات، حيث النظر في الخيلان مثل النظر في أسرار الكف.

وقام المحقق بالتعريف بالمؤلف الصفدي، ونسبه، ولقبه وكنيته، ونشأته، وأسرته، وتلقيه العلم، وشيوخه، وتلامذته، ومنزلته العلمية، وآثاره العلمية وما نسب إليه.

ثم أفرد فصلاً عن الكتاب ونسبته إلى الصفدي، ووصف المخطوطات المعتمدة، ثم نص الكتاب الذي يبين معنى الخال، وحقيقة الخال وسبب وجوده، وألوان الشامات، وكلام أرباب الفراسة على الخيلان، وأحسنها لونًا، وشكلاً، وعددًا، ثم ما قيل من الشعر في وصف الخال.

تشومسكي، نعوم/ الدول المارقة: استخدام القوة في الشؤون العالمية، تعريب: أسامة إسبر ـ الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م ٤٧٢ص.

وصفت صحيفة النيويورك تايمز تشومسكي بأنه مفجر الحقائق المستقبلية، فهو يكشف الادعاء الخلقي في السياسة، ومباغتة الدول، واستغلال القوة، وحسب قول تشومسكي، فإن الولايات المتحدة تحافظ هي وحلفاؤها على سرية معينة لاعتداءاتها الكثيرة على القوانين الدولية التي تدعي أنها تدعمها.

ويحلل نعوم تشومسكي حملة الولايات المتحدة ضد العراق، وتدخل الناتو في كوسوفو، ودعم الولايات المتحدة لنظام تيمورالشرقية الإرهابي، والمشكلات السياسية في كولومبيا، كما يشير إلى تورط الولايات المتحدة التصاعدي منذ حلول الأمم المتحدة، والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، والمواثيق الدولية عبر الاستعانة بدوافعها وتصرفاتها، كما يحلل قدرات أمريكا الواسعة على البدء في حرب للوصول إلى أهدافها، فقاعدة القانون قد قلصت لتصبح مثاراً بسيطًا للإزعاج في الولايات المتحدة الأمريكية التي لم تخجلها تصرفاتها، بل على العكس هي فخورة بما تقوم به.

يشار إلى أن نعوم تشومسكي هو بروفسور في معهد ماساشوتس للتكنولوجيا، وعالم اللسانيات ذو الشهرة العالمية، وعرف بمعارضته للسياسات الأمريكية حول العالم، والانتقاد لحكومة إسرائيل.



أسد، محمد/ الطريق إلى مكة، ترجمة: رفعت السيد علي، تقديم: الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ، ٥٠٤ص.

يروي هذا الكتاب قصة شاب خرج من بلاد الغرب معتزًا بعاداته وتقاليده، موفدًا من إحدى الصحف الغربية إلى بلاد الشرق ليقدم تقارير صحفية عن المنطقة عامة، وفلسطين خاصة، فتفاعل الرجل مع أحداث المنطقة، وزار عدة مدن عربية وإسلامية ،

واطلع على عادات الناس، وخالطهم ، فحلّ عليه الإيمان دون أن يسعى إليه.

لذا يروي الكتاب حكاية اكتشاف رجل أوربي للإسلام من دون قصد، واندماجه مع المجتمع الإسلامي، وتفاعله مع المجتمع الذي عاش فيه حتى أصبح جزءًا لا يتجزأ من تاريخ عدة دول إسلامية، ارتحل إليها، وعاش فيها ردحًا من الزمن كأحد أفرادها، مثل: السعودية ، وباكستان، وإيران.

ويقول المؤلف «أحسست بضرورة فهم روح تلك الشعوب المسلمة؛ لأني وجدت لديهم تلاحمًا عضويًا بين الفكر والحواس، ذلك التلاحم الذي فقدناه نحن الأوربيين، واعتقدت أنه من خلال فهم أقرب وأفضل لحياتهم يمكن أن أكتشف الحلقة المفقودة التي تسبب معاناة الغربيين، وهي تآكّل التكامل الداخلي للشخصية الأوربية، لقد اكتشفت كنه ذلك الشيء الذي جعلنا نحن أهل الغرب ننأى عن الحرية الحقة بشروطها الموضوعية التي يتمتع بها المسلمون حتى في عصور انهيارهم الاجتماعي والسياسي»

وتأتي أهمية الكتاب - حسب الشيخ الحصين - من كونه يمثل قيمة أدبية، فهو رواية واقعية، لقدرة المؤلف التعبيرية التي تجعل الألفاظ نابضة بالحياة والحركة، كما يمثل قيمة تاريخية، إذ يتضمن وصفًا صادقًا، ودقيقًا ومعبرًا عن الشرق الأوسط قبل ثمانين عامًا، لا من حيث المظاهر المادية فحسب، بل من حيث الملامح الاجتماعية والثقافية والنفسية للسكان، وكذلك قيمة فكرية، لعمق تأملات المؤلف وقدرته على التحليل، وصرامته في التحيز إلى التفكير العقلاني، ومعارفه في علم النفس، التي جعلت تفسيره للظواهر يستحق احترام القارئ.



الحربي، فائز موسى البدراني/ وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة - القسم الأول - وثائق وادي الفرع، مج٢ - الرياض: دار البدراني للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ١٨٠٤ص.

هذا هو الجزء الثاني من هذا الكتاب الوثائقي الذي يخدم منطقة المدينة المنورة وتاريخها، وأشار الباحث في مقدمته إلى أهمية الوثائق الأهلية في المصادر التاريخية، وأنها تكشف جوانب مهمة من تاريخنا المحلي، وتفيد في دراستها مثل: الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والحياة الفكرية والدينية، والمذاهب السائدة، وأعلام الفقهاء، وأئمة المساجد، وشيوخ الأسر والقبائل وأعيانها ، واللهجات المحلية والمراحل التي مرت بها، والعملات النقدية المستخدمة، والقضاء العرفي والقوانين القبلية، والحياة السياسية والأوضاع الأمنية، وتحقيق الأنساب، ومعرفة تسلسل الجدود، والكتابة والمراحل التي مرت بها.



وقد وضح المؤلف منهجه في البحث، وطريقة التعامل مع الوثائق الواردة في البحث، وكيفية التعامل مع قراءة الوثائق، وتصنيفها، وترقيمها، وقراءة تاريخها، وتوثيق مصادرها، وبيان أنواعها، والتعريف بموضوعها، وأسماء الواردين فيها، وعرض نصوصها، ثم عرف بمنطقة البحث وتحديدها جغرافيًا، وإعطاء عرض تاريخي لها.

وألحق المؤلف بالكتاب كشافاً للاستدراكات على الجزء الأول منه، وكشافاً للمفردات، وللمصطلحات اللغوية، وللأفراد والأعيان، وللأسر والقبائل، وكشافاً لأسماء المواضع، ولأسماء العيون وتقسيماتها، والعملات النقدية، وأسماء النخل، وكشاف للمذاهب الفقهية، ولمصادر الوثائق.

أبو مغايض، يحيى بن محمد/ الحكومة الإلكترونية: ثورة على العمل الإداري التقليدي ـ الرياض: المؤلف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

يؤكد المؤلف أن مفهوم الحكومة الإلكترونية هو مفهوم إداري من حيث التنظير والممارسة، ولذا فإن هذا الكتاب يتناوله من هذا المنظور دون الخوض في تفصيلات الجانب التقني.

ويتضمن الكتاب عدة أبواب رئيسة، يقدم الباب الأول مدخلاً تمهيديًا لموضوع الحكومة الإلكترونية، إذ يناقش في ثلاثة فصول مظاهر التحول التي ساعدت على بروز فكرة الحكومة الإلكترونية التي تعدّ امتدادًا لتطبيقات نظم المعلومات الإدارية، وتشكل تطبيقات نظم المعلومات الإدارية قاعدة لمفهوم الحكومة الإلكترونية.

ويناقش الباب الثاني على مدى سبعة فصول موضوع الحكومة الإلكترونية، من خلال التعريف بمفهوم الحكومة الإلكترونية، وعناصرها الرئيسة، وطموحاتها، ثم تكوينها وأبعادها، ثم بنيتها التقنية التحتية ومتطلباتها، والتحديات التي تواجه مشروع الحكومة الإلكترونية.

ويتناول الباب الثالث بعض التطبيقات والتجارب الدولية، وجهود المملكة العربية السعودية في مجال تقنيات الحكومة الإلكترونية، ثم عرض بعض الرؤى والوقفات حول مفهوم الحكومة الإلكترونية.



صابان، سهيل/ مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٥هـ، ٣٠٠ص.

بدأ مشروع هذا العمل المتخصص منذ عام ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ويتناول فيه المؤلف موضوعاً حيوياً ومهماً لشريحة كبيرة من الباحثين والمتخصصين في تاريخ الجزيرة العربية، خاصة تلك الوثائق الموجودة في الأرشيف العثماني.

ويهدف هذا الكتاب إلى إيراد مداخل الأعلام المعنيين من خلال وثائق الأرشيف



العثماني بغية تسهيل وصول الباحثين إليها، إذ يحوي أعلام الجزيرة العربية الذين كان لهم احتكاك بالعثمانيين، سواء كانوا من أهالي الجزيرة، أو من غيرها من العثمانين الذين عملوا في مناصب حكومية إدارية أو عسكرية.

وركز المؤلف في الأعلام الواردة اسماؤهم في الوثائق العثمانية دون غيرهم، مع العلم أن هناك أعلاماً مشهورين من داخل الجزيرة العربية لا يقلون أهمية عمن وردت أخبارهم في هذا العمل، وبناء على ذلك فقد هدف البحث إلى إيراد الأعلام المتعلقين بالدولة العثمانية، ممن يمكن أن نجد لهم تعريفًا أو تعلقًا بالدولة العثمانية بوجه من وجوه العلاقة، في الأرشيف العثماني، وإلا فإن المشهورين من الأعلام معروفون في كثير من المراجع العربية، وقد يكون هناك أعلام لم ترد اسماؤهم في هذا العمل، إما لأن الباحث لم يصل عنهم إلى معلومة؛ وإما لعدم وجود معلومات عنهم في الارشيف، وإما لأن الباحث لم يطلع عليها ضمن التصنيفات التي رآها.

السوسوة، عبدالمجيد محمد/ أسس العلاقات الدولية في الإسلام، تقديم: سعيد عبدالله حارب ـ بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ١٣٥ص.

تلقى هذه الدراسة الضوء على أسس العلاقات الدولية في الإسلام من خلال بيان طبيعة مبادئ العلاقات الدولية وأهدافها في الإسلام، ويتطرق المؤلف إلى تبيان قواعد العلاقات الدولية في حالة الحرب، والإجراءات التي تسبق الحرب، والقواعد الشرعية في أثناء الحرب، وبعد انتهائها، ثم تتناول الدراسة قواعد العلاقات الدولية في حالة السلم مبينة مفهوم الدولة الإسلامية، والأحكام العامة للمعاهدات، وأنواع المعاهدات، وخلص الباحث إلى أن نظام العلاقات الدولية الإسلامي يرتكز على مبادئ مهمة هي: احترام الإسلام لكرامة الإنسان، وحمايته له، وسعيه إلى إقرار العدل والمساواة ونشرهما بين الناس في حقوقهم وواجباتهم الإنسانية، وحثه على التزام الفضيلة والرحمة في سلوكهم وتعاملهم مع الآخرين في حالة السلم والحرب.

. تسعى الدول الإسلامية في علاقاتها مع الدول الأخرى إلى نشر الدعوة الإسلامية في الدول الأخرى، وحماية أمن الدول الإسلامية وسياستها من الاعتداءات الخارجية.

. الأصل في علاقة الدولة الإسلامية مع غيرها هو السلم، ودعوة الآخرين إلى الإسلام، وإنما شرع الحرب لدفع العدوان، ودرء الظلم، وتأمين الأمة، وحماية العقيدة، واتقاء الخطر وإزالة الطاغوت.



أبو سليمان، عبدالحميد/ أزمة الإرادة والوجدان المسلم: البعد الغائب في مشروع إصلاح الأمة ـ دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م، ٣٤٤ص.

يحاول هذا الكتاب فهم الأسباب التي تحول حتى اليوم دون نجاح مشروع الاصلاح

الحضاري الإسلامي، وإحداث التغيير النفسي المطلوب في الأمة، والذي يتمثل في عدم فهم الجانب النفسي الوجداني في الخطاب التربوي للطفل، وهو البعد الغائب في مشروع الإصلاح.

ويوضح الكتاب الأدوات المنهجية والثقافية اللازمة للإصلاح التربوي، وأسسه ومنطلقاته، ودور الأسرة المحوري الفطري، في توجيهه، دون أن يقلل من أهمية جهود مشروع الإصلاح الإسلامي في المجتمعات المسلمة في الجوانب الاقتصادية، والسياسية، والدعوية.

ويلقي نظرة على الأسباب التي أصابت روح الحضارة الإسلامية التي سادت العالم المتمدن عدة قرون، وارتقت بالإنسان إلى آفاق واسعة، وبيّن أسباب الضعف والقصور التي أدت بالأمة إلى العجز والتخلف. ويدرس المؤلف جوهر أزمة العقل المسلم في إشكالية المنهجية، وأحادية المعرفة التي أدت إلى تلوثات في الثقافة، وسوء للممارسة في التربية، ويوضح أن الجهل بالطفولة وإهمالها هو جوهر أزمة الإرادة والوجدان المسلم.

ويدعو المؤلف إلى جدية التعامل مع أزمات العقل والمنهج والفكر والثقافة والوجدان والتربية، على أساس من التوازن بين السياسي، والفكري والتربوي في جهود حركات الإصلاح، ولتحقيق قدرة وتحرير نفسية المسلم، وتفعيل وجدانه.

كما يدعو المفكرين والمربين والآباء والأمهات إلى القيام بمسؤوليتهم في بناء مستقبل أجيال الأمة ثقافيًا ونفسيًا، ووجدانيًا على أسس علمية إسلامية بحتة.



لازار، برناردي/ مناهضة السامية تاريخها وأسبابها، ترجمة: ماري شهرستان - دمشق: الأوائل للنشر، ٢٠٠٤م، ٢٥٦ص.

إن المؤلف هو يهودي مناهض للسامية، إذ قال: اقرؤوا، وستجدون أني كتبت بتجرد بحيادية، دراسة تاريخية اجتماعية، إذ تحدث عن أسباب مناهضة السامية الحقيقية منذ القديم حتى العصر الحديث، وتحدث عن الهكسوس والرواقيين، وروما، وأنطاكية، واصطدام الديانة الرومانية باليهودية، ومن ثم بالمسيحية، ثم اصطدام الكنيسة في القرن الثامن باليهودية، ثم تحدث عن محاكم التفتيش ضد اليهود وتعذيبهم وقتلهم ردًا على ما كانوا يفعلون من جرائم لعل أبسطها تسميم المياه كي يموت المسيحيون في الغرب.

ثم تناول المؤلف الأدب المناهض لليهودية، وتحدث عن الثورة الفرنسية، والثورة الروسية، وأثر اليهود فيهما، وفصّل الحديث عن العرق اليهودي، وعن القومية ومناهضة السامية، وعن الروح الثورية في اليهودية، وعن اليهود وتحولات المجتمع، وختم بالحديث عن مصير مناهضة السامية.

التقدم العلمي (ع٤٨، صفر ١٤٢٦هـ مارس ٢٠٠٥م).

مجلة ثقافية فصلية تصدر عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، وقد تنوعت محتويات هذا العدد، إذ جاء ملف العدد بعنوان «دور المؤسسات العلمية في دعم الإبداع والمبدعين» الذي يسلط الضوء على الجوائز التي توزعها عدة جهات في الكويت ومنها: جائزة الدكتورة سعاد الصباح، وجائزة عبدالعزيز البابطين.

واحتوى العدد مقابلات للفائزين بجائزة الكويت لعام ٢٠٠٣م، في مجال العلوم الأساسية، إذ فاز بالجائزة مناصفة كل من: الدكتور علي حسين السيد، والدكتور يوسف علي المنسي.

وفي مجال العلوم الاقتصادية والاجتماعية فاز الدكتور سليمان شعبان المقدسي عن بحثه في التعليم وأسواق العمل في الوطن العربي.

وفي مجال الفنون والآداب فاز الأستاذ ألفريد مرقش فرح، أما جوائز معرض الكتاب العربي الـ ٢٨ لعام ٢٠٠٣م، فقد فاز بها كتاب «تاريخ التعليم في دولة الكويت دراسة توثيقية في ٦ مجلدات»، وفي مجال أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في العلوم فاز كتاب «التميّز في التربية البيئية» للأستاذ الدكتور محمد سعيد الصباريني، وفي مجال أفضل كتاب مؤلف في الفنون والآداب والإنسانيات باللغة العربية» فاز بالمناصفة كتاب «ضوابط فصل العامل لأسباب اقتصادية في القانون الفرنسي» للدكتور سامي عبدالله الدريعي، وكتاب «تاريخ الفنون الإسلامية» للأستاذ محمود يوسف خضر.

وفي مجال «أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في الفنون والآداب والإنسانيات» فاز كتاب «هروبي إلى الحرية» ترجمة الأستاذ إسماعيل أبو البندورة، وفي مجال أفضل كتاب مؤلف للطفل العربي فاز كتاب «أبناؤنا رسوم وكلمات» إعداد أمل الغانم، وجائزة الإنتاج العلمي التي توزع على حملة الدكتوراه من أبناء دولة الكويت.

وتضمن العدد مقالات علمية مثل: «التصريف لمن عجز عن التأليف» لأبي القاسم خلف بن عباس الزهراوي، وكتب الدكتور خليفة عبدالمقصود زيد عن «الجراد: الأضرار والنتائج»، وتناول الدكتور محمد عايش الشمالي عن التسمم الغذائي، وتطرقت الدكتورة سناء التنرري إلى مرض «القناع الأحمر: غول النساء الأخطر»، وكتب محمد فيض الله الحامدي عن «المصابيح الحية وطرز الإضاءة الحيوية، وبين الدكتور عبدالرحمن عبداللطيف النمر أهمية المصباح الكهربائي وكيفية اكتشافه، وجاء مقال الدكتور طارق البكري عن جائزة نوبل، وختم العدد بمقال للمهندس عمر عبدالخالق البناي عن «حماية واستثمار الإبداعات الوطنية في الكويت».



العنوان: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي

ص . ب: ٢٥٢٦٣ ـ الرمز البريدي: ١٣١١٣ ـ الصفاة ـ الكويت.

هاتف: ٢٤١٥٥١٠

ناسوخ: ٢٤١٥٥٢٠

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (س١٧، ع٦٦، المحرم ١٤٢٦هـ / مارس - مايو ٢٠٠٥م).

مجلة علمية محكمة متخصصة في الفقه الإسلامي.

حفل هذا العدد بمجموعة من البحوث وفتاوى الفقهاء، ومسائل فقهية. إذ بدأت ببحث للدكتور عبدالفتاح محمود إدريس عن التخلص من الخلايا والأجنة التي بها تشوه وراثي، وتناول الدكتور محمد بن حسين الجيزاني حقيقة الوسائل وما يقاربها، وكتب الدكتور نزيه حماد عن المفهوم الاصطلاحي للربا بين دلالات النصوص، وبيّن الدكتور عصام بن عبدالمحسن الحميدان أحكام رحبة المسجد، وناقش الدكتور عبدالله بن إبراهيم الموسى الدية بين العقوبة والتعويض، وكتب الدكتور فهد بن عبدالرحمن المشعل عن أختلاف النية بين المأموم والإمام.

وفي باب فتاوى الفقهاء فتوى «موافقة الشهادة للدعوى إما بصورة مطابقتها لها بالتمام أو يكون المشهود به أقل من المدعى به» لعلي حيدر الحسني (١٢٨٠ - ١٣٥٣هـ)، وفتوى «قاعدة اليد المعتبرة المرجحة لقول صاحبها وقاعدة اليد التي «تعبر» للإمام شهاب الدين أبي العباس القرافي»، وفتوى «جواز شراء علو بيت دون أسفله» للإمام أبي الحسن الماوردي، وفتوى لا يشترط في مدة الإجازة أن تلي العقد، ولا تقدر أكثر من مدتها» للإمام بن قدامة.

وفي باب مسائل في الفقه الذي يرد على أسئلة القراء: جاءت الإجابات الآتية عن مدى حق المقلد لمذهب من المذهب الأخرى، وختان البنات وما قيل فيه، ونفي الولد وما يترتب عليه، وحكم هل يجوز للمحتاج أخذ قرضًا بفائدة، وحكم هل من الجائز سب غير المسلمين، أو الدعاء عليهم، وختم العدد بالرسائل الواردة إلى لمجلة.

العنوان:

المملكة العربية السعودية: الرياض

حي العقيق ـ شارع التحلية.

هاتف: ٤٨٥٣٧٠٢/٤٨٥٣٧٠٥

ناسوخ: ٤٨٥٣٦٩٤

موقع المجلة على الإنترنت: www.fiqhia.com

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (س٣١. ع١١٧، صفر ١٤٢٦هـ/ أبريل ٢٠٠٥م).

مجلة فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي في جامعة الكويت، وتعنى بنشر البحوث العلمية المتعلقة بشؤون منطقة الخليج، والجزيرة العربية.

احتوى هذا العدد على مجموعة من البحوث والدراسات، بدأها مرسل فالح العجمي عن ملامح الرسم في شعرية العنوان في قصص سليمان الشطي، وتناولت خيرية رمضان يوسف فعالية الألغاز الرياضية في تنمية التفكير الابتكاري والاتجاه نحو الرياضيات لدى طالبات المرحلة المتوسطة بدولة الكويت، وبيّن كل من: أسماء علي أبا حسين، وأنور شيخ الدين عبده، ونادر عبدالحميد موسى، وعلى جاسم الحسابي الآثار البيئية للاستخراج المنجمي للرمال البحرية في مملكة البحرين،وأوضحت فريدة عبدالوهاب آل مشرف أثر التدريب الميداني في بعض السمات الشخصية لعينة من المرشدات الطالبات بجامعة الملك سعود، وكتبت نعيمة حسن جبر مرزوقي عن إدار ة المعرفة وهندستها لتحقيق مشروع الحكومة الإلكترونية، وأشار عمر بن سالم إلى بعض الاعتبارات التخطيطية للسياحة البيئية في المملكة العربية السعودية.

وتضمن العدد عروضًا للكتب ومراجعاتها فقد قدمت صدقة يحيى الفاضل عرضًا لكتاب «الشائع والمعلوم في تاريخ بني مخزوم» لعبدالله سعود القباع، كما راجع مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية كتاب «ملامح الإستراتيجية القومية في الفكر السياسي لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة» لأحمد جلال التدمري.

ويضم العدد ببليوجرافيا العربية أعدته سهيلة فهد المالك الصباح. كما تضمن العدد بحوثًا باللغة الإنجليزية ليوسف محمد الفيلكاوي عن سلوكيات مشاهدي التلفزيون الكويتيين، وختم العدد بملخصات باللغة العربية الإنجليزية للبحوث المنشورة باللغة العربية.

العنوان: ص.ب: ١٧٠٧٣ الخالدية ـ الرمز البريدي: ٧٢٤٥١ ـ الكويت.

هاتف: ٤٨٣٣٢١٥

ناسوخ: ٤٨٣٣٧٠٥



الرابطة (ع٤٦٧، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ، الموافق مايو ٢٠٠٥م)

مجلة فصلية علمية ثقافية تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

اشتمل هذا العدد على مجموعة من المقالات المتنوعة، وبدأ العدد بتغطية لقاءات

الدكتور التركي بقيادات الجامعات الأمريكية وأساتذتها، وإعلان إنشاء الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام، ورحلة العشرين يومًا مع منكوبي تسونامي.

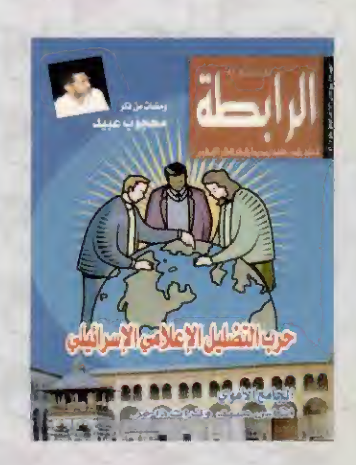
وتضمن العدد مقالاً لإلياس بلكا عن الرؤى والأحلام: رؤية شرعية ونفسية، وتناول علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل بعض الظواهر غير الشرعية في حفلات الزواج، وبيّنت نادية محمد السعيد خطورة التدخين عند النساء الذي يعدّ خطرًا اجتماعيًا إنسانيًا، وكتب محمد خليفة صديق عن «المسلمون ومجتمع المعرفة»، وتطرق منير كمون إلى حرب التضليل الإعلامي الإسرائيلي، وجاء مقال مصطفى رجب عن التعليم الإسلامي في جنوب إفريقية، وأعد نزار عبدالباقي ملف «متابعات» الذي يهتم بأحوال المسلمين في الصحافة العالمية.

واوضح الدكتور إبراهيم جاد إسهام الأقليات المسلمة في الحوار الحضاري والثقافي، واستشرف الدكتور مصطفى مستقبل الحوار بين الحضارات والثقافات، وناقش الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي موضوع الحضارة الإسلامية وجريمة العبث بالتاريخ، وكتب الدكتور عبدالعزيز بن عثمان التويجري عن الحوار الحضاري الثقافي: أهدافه ومجالاته، وتناول خضر محمد الشيباني ومضات من فكر محجوب عبيد طه، وجاء مقال عبدالله الشيعاني بعنوان «الجامع الأموي .. أساس عنيد .. وتراث زاخر» وناقش محمد وقيع الله مقاصد الشريعة الإسلامية».

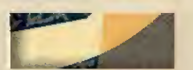
كما تضمن العدد قصيدة بعنوان «أم القرى» لماجد إبراهيم العامري، وكتب نعمان السامرائي مقالاً بعنوان «حكاية داعية متجول» وجاء مقال محمد محمود الشردوب بعنوان من ثمار الدعوة، وختم العدد بقصة بعنوان «جماد» لعماد الدين خليل.

العنوان: ص.ب: ٥٣٧ مكة المكرمة

هاتف وناسوخ: ٥٦٠١٠٧٧







مقدمات ونتائج حضارية

حمد عبدالرحمن الراشد
الرياض ـ السعودية

إذا كان لدينا هدف هو معرفة تنمية أي مجتمع وتطوره فإن المعيار المهم الذي يتم الرجوع إليه هو عقل الفرد، وما أنتجه من فنون وآداب، وفكر وعلوم وتقنية، وما قام به من أبحاث ودراسات، وما أثبته من جودة صناعات ... إلى غير ذلك من متغيرات الحضارة.

وهناك وضعان ـ يمكن عدهما شرطين ـ لا بد من وجودهما لوصول إبداع الفرد إلى المؤشر الحضاري الذي يحتوي على هذه المجالات: الأول هو امتلاك الفرد للوعي والثقافة، والثاني وجود بيئة اجتماعية تتفاعل مع هذه المتغيرات الحضارية إيجابًا وتركز اهتمامها في الجوانب الثقافية والفكرية والإنتاجية، وكل ما له علاقة بمجالات المعرفة الإنسانية.

وإذا كان الوضع الأول واضح التعريف، ويتحقق من خلال نمو مطرد لإطلاع الفرد واتقاد ذهنيته ونفاذها، فإن الوضع الثاني صعب قياسه، ومع ذلك فهناك مؤشرات دالة عليه بروزها ظاهريًا هي الإحصاءات، ووسائل الإعلام، وتحليل الوقائع المشاهدة.

توازن

وإذا تصفحنا التاريخ الإنساني ـ فلسفيًا ـ نجد أن التطور الفكري الذي أدى بدوره لوصول المجتمعات إلى التطور الحضاري، له خاصية التوازن في مجال الإبداع الفردي والجمعي، ومن جهة أخرى، نجد أن هذه الخاصية ترافقت أفقيًا مع الحفاظ على التوازن النسبي لمختلف مجالات المعرفة، ومن خلال هذا التوازن تمكنت الحضارات من استمرارية التطور دون حدوث فجوة زمنية.

وعند القيام بالتحليل الإبستمولوجي لبعض الحضارات الأوربية ـ مثلاً ـ نجد جليًا النتيجة التي تحدثنا عنها، فالموضوعات الفلسفية في بداية العصر الإغريقي منذ طاليس ـ مرورًا بسقراط وأفلاطون وأرسطو ـ وحتى العصر الحاضر لها الدرجة نفسها من الاهتمام، والفروق الحضارية بين العصور تميز درجات النتائج لما توصل إليه الإنسان في هذه المجتمعات، ولها مسوغاتها المنطقية، إذ لا بد من تطور اللغة والوعي والمنهج، وما تبع ذلك من تصنيف وترتيب لأولويات الفكر، وإن بقيت المقدمات والتساؤلات والقضايا بمستوى أهميتها نفسه، وهذا التصور حاول بلورته بعض المفكرين في أوربا، ومنهم هيجل عندما تناول تحليل المعطيات الحضارية، والنتائج الفكرية لمختلف العصور بتطبيق المنهج الجدلي، وعند باشلار محاولة الوصول إلى النتائج نفسها التحليل تطورات الإبداع الفردي عبر المنهج الإبستمولوجي باتجاه فلسفة العلوم، وتأسيس فكر علمي جديد.

تفاعل

وإذا نظرنا إلى مؤشرات الوقائع الاجتماعية في مختلف المجتمعات المعاصرة، وعددنا هذه المؤشرات هي الدالة على مدى تحقق المعيار الثاني، والمعرف بمدى تفاعل البيئة الاجتماعية مع عدة متغيرات للجوانب الثقافية والحضارية، نجد أن بعض المجتمعات المعاصرة تتميز بالجدية والاهتمام لأعلى نسبة من مجالات متعددة بنسب فردية متفاوتة ـ داخل مجتمعها ـ لا تؤثر في الطابع الكلي قيد الدراسة، فنجد نسب الاهتمام متوازنة لديها بين عدة مجالات: ثقافية

وفكرية وعلمية وحضارية، وبعض المجتمعات يكون تركيزها في عدد محدود من المجالات لا يتعدى الثلاثة على الأرجح؛ لذا تفتقد لخاصية الربط، وبذا لا تحقق تقدم المعيار الثاني، كما تم توصيفه.

وجميع المجالات التي ذكرت - دون استثناء - ضرورية لكي تنتج العقول الفردية إبداعًا يؤثر إيجابًا في سير التنمية الحضارية، والنمو الاقتصادي، والتطور الاجتماعي، وأخيرًا الحصيلة الانتاجية الإيجابية لهذا المجتمع القادر على استيعاب هذه المجالات.

إفراغ حلقي

وإذا نظرنا إلى مجتمعات تأخرت عن التطور الحضاري وشروطه، بدلالة المؤشرات الواقعية لها، وبدليل ثباتها على جوانب محددة بعينها، وعلى أنماط محددة دون التفاعل أو المشاركة مع المجالات المؤثرة إيجابيًا في التطور، فسنجد لهذه الدلالات أسبابًا رئيسة أدت إلى التأخر الذي بدوره أحدث ظاهرة الفجوة بين المجتمعات في عصر واحد.

ومن الأمثلة على ذلك ازدياد نسبة الاهتمام في المجتمعات العربية المعاصرة بالتركيز في مجالات بعينها - مثل الدين أو السياسة - أو حتى مجالات هامشية مثل الرياضة، فقد طغت هذه المجالات على عناصر الثقافة والإبداع والحضارة، وأدت إلى تكون بيئة اجتماعية مغلقة بدائرة مفرغة من المفاهيم العميقة، وهذا الإفراغ الحلقي ينطبق أيضًا على محدودية استيعاب المجالات الثابتة نفسها والمركز فيها؛ مما يعني طغيان ظاهرة الفجوة على إنتاجية الإنسان التي - كما قدمنا - تعدّ شرطًا ضروريًا للتطور والحضارة، إذ من المؤكد (تاريخيًا) أن الفرد يدرك إنسانيته، ويعي المدلولات الثقافية، ويتطور حضاريًا بشرط وجود بيئة اجتماعية مساهمة - ولو بنسب محدودة ومعقولة - بهدف الدخول تفاعليًا مع المتغيرات الإنسانية والعقلية وخاصة المعاصرة منها.

تبادل أدوار

ومن منطلق أن الإنسان كائن اجتماعي تداخلت مستويات كثيرة تربوية وبيئية واجتماعية وتاريخية مع مجالات الثقافة والفكر، وهذا التداخل لم يثبت، أو يعرف بناء على التأثر والتأثير فقط - وهو الأمر الطبيعي في مختلف الحضارات - وإنما حصل تبادل أدوار، وإحلال تدريجي لهذه المستويات مستقلة أو مجتمعة، بحيث لم تتضح معالم المحاولات الثقافية، وما تنتجه من إبداع وفكر بفعل حصر التصنيف المعرفي بهذه المستويات السلوكية.

ومع أن السلوك الفردي والاجتماعي مؤشر ونتيجة لمستوى حضاري ما، خاصة إذا ارتبط بأبعاد أخلاقية وإنسانية، إلا أنه من الضروري عدم الخلط بينه وبين التوجه المعرفي الذي يعدّ الأساس في التقدم الحضاري في مختلف العصور التاريخية، كما حللنا سابقًا.

ومن البديهي أن أي فرد يتسم سلوكه بناء على نوعية النشاط، فإن كان مرتبطًا بتوجيه أسري أو تعليمي فهو سلوك تربوي، وإن كان مرتبطًا بعادات ونمذجة وتقاليد فهو سلوك اجتماعي، وإن كان تأثرًا ببيئة وانطباعات فهو سلوك نفسي ... وهكذا يتم الربط التوصيفي.

وإذا نحن حللنا سمات السلوك التي ذكرت مع ربطها بعللها، نجد أنها تلقائية ومباشرة، لذا فإن طبيعتها مختلفة عن طبيعة البعد الثقافي والفكري، وعلى الرغم من ذلك فقد تم دمج الطبيعتين في مجتمعات متعددة لتأخذ الدور الآخر المتمايز عنها جذريًا، خاصة في المجتمعات التقليدية التي لديها الثوابت تفوق المتغيرات إحصائيًا.

وإعادة تحليل المصطلح، وتشريح الظواهر المعرفية يؤديان بالضرورة إلى إعادة النظر في أوجه التبادل الفعلي الحاصل للأدوار، ومع محاولة تطبيق الاتجاهات الفكرية لتمكين إعادة التحليل سيتم التمييز بين التصنيفات فلسفيًا وعلميًا.


تعاني من هذه المشاكل
لدينا
الحل ...
الدار العربية للطباعة والنشر
ARABIAN PRINTING & PUBLISHING HOUSE